مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
سلسلة الأدلة والكشافات

ملف رقم (١٩٢)

التكشيف الاقتصادي للتراث

نفقات الخلفاء والأمراء(٢) ــ نفقات الدولة
موضوع رقم (١٧٣-١٧٤)

إعداد
الدكتور / أحمد جابر بدران
إشراف
أ . د / علي جمعة محمد

فهرس محتويات ملف (١٩٢)
نفقات الخلفاء والأمراء (٢) موضوع (١٧٣)
نفقات ادولة موضوع (١٧٤)

السرخسى ، كتاب المبسوط

١- أصلاح القناطر والجسور والرباطات وكراء الأنهار يتم على نفقة بيت المال جـ٢٣ ص ١٧٥

أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ج ٤ / ٢٠

١- معاوية بن أبى سفيان يأمر لأروى بينت الحارث بستة آلاف دينار جـ ١ ص ١٨٨، ١٨٩ .

٢- عبد الرحمن الداخل ينفق مائة ألف دينار على بناء جامع قرطبة جـ٢ ص١٢ .

٣- المأمون يأمر للنضر بن شميل خمسين ألف ديرهم جـ٢ ص ٢٧ .

٤- مبلغ ما أنفق فى بغداد سنة ٣٠٥ هـ على استقبال رسول ملك الروم جـ٢ ص ٦٩ .

٥- الخليفة القاهر ينفق على المنجمين ومفسرى المنامات جـ٢ ص ٩٠ .

٦- الخليفة المتقى يعطى سيف الدولة أربعمائة ألف دينار مقابل مساعدته على منع دخو الترك الى بغداد جـ٢ ص ٩٠ .

٧- سيف الدولة يعطى أبا الفرج الأصفهانى ألف دينار جـ ١ ص ١٠٨ .

٨- معز الدولة بن بويه ينفق علي بناء داره ألف ألف دينار وثمانية آلاف دينار جـ٢ ص ١٥٦ .

٩- مبلغ ما أنفقه المستنصر فى مصر لمواجهة الغلاء الذى عم مصر سنة ٤٦٢ هـ جـ٢ ص ١٨٦ .

١٠- مبلغ ما كان يعطيه محمود ن شبل الدولة صاحب حلب لشعراء جـ٢ ص ١٩٢، ١٩٣ .

١١- ما أنفقه نور الدين زنكى على تجهيز جيش أسد الدين شيركوه الى مصر جـ ٣ ص ٤٥ .

١٢- الخليفة العاضد يعطى صلاح الدين الزيوبى أثناء حصاره دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب جـ ٣ ص ٤٩ .

١٣- مبلغ ما أنفقه الملك الظاهر صابح حلب على استقبال الملك الأشرف موسى جـ ٣ ص ١١٠، ١١١ .

١٤- نفقات السلطان الناصر فى موسم الحج على الجند والأمراء سنة ٧١٩ هـ جـ٤ ص ٨٦.

١٥- السلطان الناصر يعطى رميثة بن أبى نمى نصف متحصل مكة والنصف الآخر لاخيه عطيفة جـ ٤ ص ٩٠ .

١٦- نفقات زواج الملك محمد ابن السلطان الناصر صنة ٧٣٣هـ جـ ٤ ص ١٠٦ .

١٧- أحد الفقهاء بدمشق يعمل سنة ٧٣٥ هـ ستر ديباج مذهب على المصحف العثمانى بأربعة آلاف وخمسمائة درهم جـ ٤ ص ١١٤ .

١٨- القاضى جلال الدين القزوينى (ت٧٣٩هـ) قاضى دمشق يبنى دارا على النيل وينفق عليها ما يزيد على ألف ألف درهم جـ ٤ ص ١٢٩ .

١٩- الأمير صلاح الدين ابن الملك الأوحد (ت٧٤١هـ) ينفق على ضايفة تنكز نحو ستين ألف درهم كل سنة جـ ٤ ص ١٣٤ .

٢٠- ما أعطاه الملك الناصر ليلبغا التجباوى نائب حلب من الأموال والخيل جـ ٤ ص ١٤٠ .

المقرى، نفح الطيب ج٤ / ٣٥

١- الأمير عبد الرحمن الداخل يبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وينفق فيهما ثمانين ألف دينار جـ ١ ص ٣٠٨، جـ ٢ص٨٣.

٢- ما أنفقه عبد الرحمن بن الحكم ن هشام على جاريته طروب جـ ٢ ص ٣٢٦، ٣٢٧ .

٣- مبلغ الهدية التى قدمها الوزير أحمد بن عبد الملك ان شهيد الى الأمير عبد الرحمن الناصر جـ ٢ ص ٣٣٣- ٣٧ .

٤- الأمير عبد الرحمن الناصر يهب جارية له ثلاثين ألف دينار جـ ٢ ص ٣٣٨ .

٥- الحكم المستنصر يشترى كتاب الأغانى بألف دينار من الذهب اعين جـ ٢ ص ٣٦٢، جـ ٤ ص ٧٢ .

٦- المنصور بن أبى عامر يبنى قنطرة على جسر قرطبة وينفق فيه مائة ألف وأربعين ألف دينار جـ ٤ ص ٣٨٥ .

٧- مبلغ ما أنفقه المنصور بن أبى عامر على القوامس المعاهدين له بعد تحه لمدينة شنت ياقب على البحر المحيط جـ ٤ ص ٣٩٢، ٣٩٣ .

٨- السلطان يعقوب المنصور بن يوسف يعطى شمس الدين بن منقذ أربعين ألف دينار على قصيدته التى مدحه فيها جـ ٤ ص ٤١٩ .

٩- مبلغ ما أنفقه الأمير عبد الرحمن الناصر على بناء مدينة الزهراء سنة ٣٥٢هـ جـ ٢ ص ٦٧، ٦٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢.

١٠- نفقات الأمير الحكم المستنصر على توسعة جامع قرطبة جـ ٢ ص ٨٤، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ٩٩.

١١- بلغت نفقات المسجد الجامع فى قرطبة خمسة وثلاثين ألف وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم جـ ٢ ص ٨٨، ٨٩.

١٢- مبلغ ما خصص من الخبز والحمص الأسود لحيتان بحيرة الزهراء جـ ٢ ص ١٠٣.

١٣- نفقات ال ؟؟ اصقالبة فى مدينة الزهراء من اللحم والدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب احيتان جـ ٢ ص ١٠٢، ١٠٣.

١٤- كان المنصور بن أبى عامر يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا (علفا) لدواه الخاص به جـ ٢ ص ١١٨.

١٥- بلغت نفقات المنصور بن أبى عامر من اللحم اثنا عشر رطلا سوى الصيد والطير الحيتان جـ ٢ ص ١١٨.

١٦- مبلغ ما أنفقه المنصور بن أبى عامر على ختان أولاده وخمسمائة صبى من أولاد أهل دولته جـ ٢ ص ١٨.

١٧- الملك العادل بن أيوب ينعم على أحمد بن عبد الكريم دتر خوان (يقرأ الدفاتر بين يدى العادل) بمائة دينار جـ ٣ ص ٦٧.

١٨- كانت مطابخ اسكر والصابون فى الفساطاط، لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند جـ ٣ ص ١٠٦.

١٩- كانت جوامك (مخصصات(المدارس فى القاهرة ليلة وزكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج جـ ٣ ص ١١٣.

٢٠- مبلغ ما أنفقه الأمير عبد الرحمن بن الحكم على أبى الحسن عبى بن نافع (زرياب امغنى) من الأموال والطعام جـ ٤ ص ١٢١، ١٢٨.

٢١- مبلغ الهدية التى أرسلها السلطان أبو الحسن على بن عثمان المرينى صاحب فاس الي السلطان الناصر بن قلاوون جـ٦ ص ١٣٧-١٣٩.

٢٢- مبلغ ما أنفقه السلطان الناصر ن قلاوون علي الحرة أخت صاحب فاس أبو الحسن علي بن عثمان المرينى جـ ٦ ص ١٣٩.

النعيمى، الدارس في تاريخ المدارس

١- الأمير سيف الدين تنكز (ت٦٤١هـ) ينفق على دور القرآن والحديث والرباطات فى القدس بالأضافة الي الحمامات والبيمارستانات والخانات جـ ١ ص ١٢٦.

٢- المظفر ملك اليمن يعطى صفى الدين الهندى (ت٧١٥هـ) أربعمائة دينار جـ ١ ص ١٣١.

٣- كانت نفقات المدرسة الشامية البراية فى ليلة النصف من شعبان من كل سنة ثمانمائة درهم فضة ناصرية تصرف فى ثمن بطيخ ومشمش وحلوى جـ ١ ص٣٠٣.

٤- ما أنفق من الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت فى حلب يوم ولادة املك المنصور محمد بن الظاهر صاحب حلب جـ ١ ص ٣٤٢، ٣٤٣.

٥- ما أنفقه الملك الظاهر غازى (ت٦١٣هـ) يوم زواجه جـ ١ ص ٣٣٤.

٦- الأمير ناصر الدين القيمرى (ت٦٦٥هـ) ينفق علي عمل الساعات فى المدرسة القيمرية أربعين ألف درهم جـ ١ ص ٤٤١، ٤٤٢.

٧- نفقات الملك العادل أبى بكر بن داود (٦٨٢هـ) على العلم وبناء سور دمشق ومدرسة القدس ومسجد جعفر الطيار وحمامات ومضافة معان جـ ١ ص ٥٨٢، ٥٨٤.

٨- نور الدين زنكى ينفق على بناء جامع بالموصل سبعين ألف دينار وفى رواية ستين ألفا جـ١ ص ٦٠٨، ٦١١.

٩- نور الدين زنكى يعطى زوجته ثلاثة دكاكين بحمص كان كراؤها فى السنة نحو عشرين دينارا جـ ١ ص ٦٠٩.

١٠- كان لنور الدين زنكى برسم نفقة الخاص فى كل شهر من الجزية ما يبلغ ألفى قرطاس يصرفها فى كسوته وما حوله وأجرة خياطة جـ ١ ص ٦١٢.

١١- كان الملك الظاهر اذا جاء الشام أعطى أتباع الشيخ محمد البلخى (أبو عبد الله بن أبى بكر ٦٥٣هـ) ألف درهم وشقتى بسط ويرتب لهم ثلاثين غرارة قمح فى السنة وعشرة دراهم فى اليوم جـ ٢ص ٢١٠،٢١١،٢١٢.

١٢- شمس الدين ابن المزلق (ت٨٤٨هـ) يقيم على درب الشام الي مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب وينفق عليها ما يزيد على مائة ألف دينار جـ ٢ ص ٢٩٠.

١٣- مبلغ ما أنفقه الوليد بن عبد الملك على بناء جامع دمشق من الدنانير المصرية أنة مائة قنطار وأربعين قنطارا بالدمشقى كما أنفق على الكرمة بجواره سبعين ألف دينار جـ ٢ ص ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣.

١٤- الوليد بن عبد الملك يشترى العامودين الاخضرين اللذين تحت بة النسر في مسجد دمشق من حرب نب خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار جـ ٢ ص ٣٨٤ .

النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب

١- رصد ثلث خراج مصر لعمارة الجسور جـ ١ ص ٢٦٥ .

٢- ما أنفق علي عمارة مسجد دمشق أربعمائة صندوق وفى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار جـ ١ ص ٣٤٢ .

٣- مقدار ما أنفق المتوكل فى بناء القصور جـ١ ص ٤٠٦، جـ ٥ ص ٨ .

٤- من وجوه النفقات أيام الرشيد جـ٤ ص ٢١٥ .

٥-النفقة على بناء المدرسة المؤيدية سنة ٨٦٩هـ (٤٠ألف دينار) جـ ٢ ، ص٢٧٢ .

ياقوت الحموى، معجم البلدان

١- مقدار ما أنفق المتوكل فى بناء قصر الجعفرى قرب سامراء جـ١ ،ص ١٤٣ .

٢- مقدار ما أنفق المنصور فى بناد مدينة بغداد جـ ١ ص ٤٥٩ .

٣- مدار ما أنفق الوليد بن عبد الملك فى بناء مسجد دمشق جـ ١ ص٤٦٦ .

٤- نفقات بناء القصور فى سامراء جـ٣ ، ص١٧٥ .

٥- مقدار ما أنفق على مسجد ابن طولون فى الفسطاط بمصر جـ٤، ص٢٦٤ .

٦- عامل المصر مسؤول عن حفر الأنهار العام من بيت المال جـ٥، ص٣١٥، ٣١٦ .

٧ - ادولة تعنى بدفع نفقات حفر الأنهار العامل لأهل الخراج جـ ٥ ص ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٤٨ .

١٧٤ نفقات الدولة ج٥

الكتانى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية

١- ارتفاع نفقات البريد زمن العباسيين حتى قبل أن نفقة فرع اليمن كانت نحو أربعة ملايين درهم سنويا، جـ١ ص ١٩٣ .

٢- الرسول (ﷺ) أجاز رسول فروة بن عمر الجذامى عامل قيصر على عمان باثنتى عشر أوقية ونش وذلك خمسمائة درهم جـ ١ ص ٢٠١، ٤٥١ .

٣- الرسول (ﷺ) يجيز كعب بن زهير بمائة من الابل وبردته جـ ١ ص ٢١٣ .

٤- الرسول (ﷺ) يهب لقيم الدجاج، دجاج خيبر عن آخرها جـ ١ ص ٣٨١ .

٥- أسامة بن زيد التنوخى صاحب خراج مصر زمن الوليد بن عبد الملك يشترى فلفلا بعشرين ألف دينار جـ ١ ص ٣٩٠ .

٦- أول من بنى المارستان الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ وجعل فيه الزطباء وأجرى عليه الانفاق جـ ١ ص ٤٥٤ .

٨- أبو بكر الصديق ينفق على النبى (ﷺ) أربعين ألف درهم جـ ٢ ص ٨٧ .

٩- كانت القراطيس توزع على الولاة، وعمر بن عبد العزيز يكتب الى عامله على مصر بالاقتصاد فى استخدام القراطيس لأنها مكلفة جـ ٢ ص ٢٤٣ .

١٧٤ نفقات الدولة ج١

أبو البقاء البدرى، نزهة الأنام فى محاسن الشام

١- مصاريف بناء المسجد الاموى أيام الوليد بن عبد الملك ٥٢-٥٣ .

ابن جبير، رحلة ابن جبير ج ٤ /١

١- نفقات مساجد القاهرة

ابن خرداذية، المسالك والممالك ج ٤ / ٢

١- مقدار نفقات ديوان بريد الخلافة سنويا ١٥٣

ابن رجب الحنبلى، الاستخراج لأحكام الخراج ج ٤ / ٣

١- تحديد مصاريف الزكاة ١١٥

٢- صرف مال الخراج والجزية فى المصالح العامة ١١٥- ١١٧ .

قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة

١- الاتفاق على الثغور الشامية (القرن ٤ هـ) ١٨٦

٢- الانفاق على الثغور الجزية (القرن ٤ هـ) ١٨٧

٣- الانفاق على ثغر قاليقلا ١٨٨

٤- الانفاق على الثغور البحرية ١٨٨ .

٥- الدولة تنفق على اصلاح الأنهار العامة ٢٤٨ .

٦- انفاق الدولة على قناة بردة لأهل الرملة ٣٠٢ .

قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة

١- ما ينفق على الثغور الشامية (القرن ٤ هـ) ٢٥٣ .

٢- ما ينفق على الثغور الجزرية ٢٥٣- ٢٥٤ .

٣- ما ينفق على ثغر قاليقلا ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٤- ما ينفق على الثغور البحرية (الشامية والمصرية) ٢٥٥ .

١٧٤ نفقات الدولة ج٢

الأزدى، تاريخ الموصل ج ٤ / ٥

١- هشام بن عبد الملك يأمر بحفر نهر فى الموصل ينفق عليه ثمانية آلاف ألف درهم ٢٨,٢٧، ٤٣ .

٢- الدولة تحفر القناطر على الأنهار ٣٨٥ .

٣- شراء المعتصم مكان مدينة سر من رأى ٤١٦ .

البلاذرى، أنساب الأشراف، القسم الثالث ج ٤ /

١- توسيع المسجد على نفقة بيت المال ١٥ .

٢- جعل الرفادة والسقاية لجميع من بيت المال أيام العباسيين ١٦ .

٣- موقف عمر بن عبد العزيز من رزق الشمع للعمال أيام بنى أمية ٢٤١ .

ابن حجر العسقلانى، كتاب الاصابة فى تمييز الصحابةج ٤ /

١- الرسول (ﷺ) يشترى من نجد الخيل والسلاح بالغنائم جـ٣، ص٦٢ .

السيوطى ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

١- مبلغ مصروفات عمارة مصر (أراضيها) ١٢٠ ألف دينار جـ١، ص١٤٥ .

٢- حفر خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر لتسهيل نقل الطعام من مصر الى مكة والمدينة واستمرار ذلك حتى أيام عمر بن عبد العزيز ١٥٧ - ١٥٨ .

٣- النفقة على بناء جامع ابن طولون سنة ٢٦٦هـ (١٢٠ألف دينار) جـ٢, ٢٤٦، ٢٤٧ .

٤- النفقة على المارستان أيام ابن طولون (٦٠ألف دينار) ج٢ ص ٢٤٧

كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي

المحتوى على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيباني
عن الامام الاعظم أبي حنيفة رحمهم الله تعالى ونفع بهم

هذا الكتاب رقى علا وبجمعه * فاق السرخسي سائر الاقران
وتكاملت فيه قواعد مذهب * لابى حنيفة ذى التقى النعمان
نشر التعامل والعبادة نشره * فى كل آونة وكل مكان
لا ومعتمد القضاة مقاله * وأئمة الافتاء والعرفان

(تنبيه) قد باشر حضرة العلامة الفاضل الجهبذ الشهير الشيخ محمد راضى الحنفي تصحيح هذا الكتاب بمساعدة جماعة من ذوى الدقة من أهل العلم والله المستعان وعليه التكلان

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

كتاب
المختصر في أخبار البشر
ابو الفداء

(وفيها) توفي أبو هريرة واختلف في اسمه ونسبه وهو ممن لازم خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الكثير فاتهمه بعض الناس لكثرة ما رواه من الاحاديث والاكثر يصححون روايته ولا يشكون فيها (ثم دخلت سنة ستين)

﴿ ذكر وفاة معاوية ﴾

فيها في رجب توفى معاوية بن أبي سفيان وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما منذ اجتمع له الامر وبايعه الحسن بن علي وكان عمره خمسا وسبعين وقيل سبعين وقيل غير ذلك وأنشد معاوية وقد تجلد للعائدين

وتجلدي للشامتين أريهم　　اني لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية انشبت اظفارها　　ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولما توفي معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى أتى المنبر فصعده ومعه أكفان معاوية فأثنى على معاوية واعلم الناس بموته وان هذه اكفانه ثم صلى عليه الضحاك وكان يزيد غائباً بقرية حوارين من عمل حمص فكتبوا اليه وطلبوه فحضر بعد دفن أبيه فصلى على قبره

﴿ ذكر أخبار معاوية ﴾

أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته واقره عثمان مدة خلافته نحو اثنتي عشرة سنة وتغلب على الشام محاربا لعلي أربع سنين فكان أميرا وملكا على الشام نحو أربعين سنة وكان حليما حازما داهية عالماً بسياسة الملك وكان حلمه قاهرا لغضبه وجوده غالباً على منعه يصل ولا يقطع ومما يحكى عن حلمه من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل ان أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة فقال لها معاوية مرحبا بك ياخالة كيف أنت فقالت بخير ياابن أختي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك وكنا أهل البيت أعظم الناس في هذا الدين بلاء حتى قبض الله نبيه مشكورا سعيه مرفوعا منزلته فوثبت علينا بعده تيم وعدي وأمية فابتزونا حقنا ووليتم علينا فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى فقال لها عمرو بن العاص كفى ايتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك فقالت وأنت ياابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغي بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فالحقوك به فقال لها معاوية عفا الله عما سلف هاتي حاجتك فقالت أريد ألفي دينار لأشترى بها عيناً فوارة في أرض خرارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب وألفي دينار أخرى أزوج بها فقراء بني الحارث

والفي

والفي دينار أخرى أستعين بها على شدة الزمان فأمر لها معاوية بستة آلاف دينار فقبضتها وانصرفت ومعاوية أول خليفة بايع لولده وأول من وضع البريد وأول من عمل المقصورة في مسجد واول من خطب جالساً في قول بعضهم وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من يرى سماع الاوتار والغناء وهو رأي أهل المدينة وكان معاوية ينكر ذلك عليه فدخل ابن جعفر يوما على معاوية ومعه بديح المغنى فقال ابن جعفر لبديح غن فغنى بشعر كان يحبه معاوية وهو

يالبيني اوقدي النارا　　ان من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها　　تقضم الهندي والغارا
ولها ظبي يؤججها　　عاقد في الخصر زنارا

فطرب معاوية وتحرك وضرب برجله الارض فقال له ابن جعفر مه ياأمير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم لطروب وقال معاوية اعنت على علي بثلاث كان رجلا ظهرة علنة وكنت كتوما لسري وكان في اخبث جند وأشده خلافا وكنت في أطوع جند وأقله خلافا وخلا بأصحاب الجمل فقلت ان ظفر بهم أعددت ذلك عليه وهنا وان ظفروا به كانوا أهون شوكة علي منه (أخبار يزيد ابنه) وهو ثاني خلفائهم وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبية بويع بالخلافة لما مات أبوه في رجب سنة ستين ولما استقر يزيد في الخلافة أرسل الى عامله بالمدينة بالزام الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر بالبيعة فأما ابن عمر فقال ان أجمع الناس على بيعته بايعته وأما الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا وأرسل عامل المدينة جيشا مع عمرو بن الزبير أخي عبد الله بن الزبير وكان شديد العداوة لاخيه عبد الله لقتال أخيه عبد الله فانتصر عبد الله بن الزبير وهزم الجمع الذي مع أخيه وأمسك أخاه عمرا وحبسه حتى مات في حبسه

﴿ ذكر مسير الحسين الى الكوفة ﴾

وورد على الحسين مكاتبات أهل الكوفة يحثونه على المسير اليهم ليبايعوه وكان العامل عليها النعمان بن بشير الانصاري فأرسل الحسين الى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة عليهم فوصل الى الكوفة وبايعه بها قيل ثلاثون ألفاً وقيل ثمانية وعشرون ألف نفس وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير مالا يرضيه فولى على الكوفة عبيد الله بن زياد وكان واليا على البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد ابن معاوية واستمر مسلم بن عقيل عند قدوم عبيد الله بن زياد على ما كان ثم اجتمع الى مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره ولم يكن مع عبيد الله في القصر أكثر من ثلاثين رجلا ثم ان عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية حتى ان المرأة لتأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف

من الكوفة لايملك مايلبسه الا فروة لم يكن تحتها قميص (وفي هذه السنة) مات مطيع بن اياس الشاعر وفيها توفي نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرى أحد القراء السبعة وروى عن نافع راويان وهما ورش وقنبل وكان نافع امام أهل المدينة في القراءة ويرجعون الى قراءته وكان محتسبا فيه دعابة وكان اسود شديد السواد وقرأ مالك عليه القرآن وهذا نافع بن عبد الرحمن المقرى غير نافع مولى عبد الله بن عمر المحدث فليعلم ذلك وفيها مات الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه (ثم دخلت سنة سبعين ومائة)

ذكر وفاة الهادي

وفي هذه السنة توفي موسى الهادى بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور في ليلة الجمعة منتصف ربيع الاول وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان عمره ستا وعشرين سنة قيل ان أمه الخيزران قتلته بان أمرت الجوارى فغممن وجهه وهو مريض فمات ودفن بعيساباذا الكبرى في بستانه وكان طويلا جسيما أبيض وكان بشفته العليا تقلص وكان له سبعة بنين وابنتان

(ذكر خلافة الرشيد)

ابن المهدى وهو خامسهم وفي هذه السنة أعنى سنة سبعين ومائة بويع للرشيد هرون بن المهدى محمد بالخلافة في الليلة التى مات فيها الهادى وكان عمر الرشيد حين ولى اثنتين وعشرين سنة وأمه وأم الهادى الخيزران أم ولد وكان مولد الرشيد بالرى في آخر ذى الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة ولما مات الهادى بعيساباذا صلى عليه الرشيد وسار الى بغداد (وفي هذه السنة) في شوال أولد الامين محمد بن الرشيد من زبيدة واستوزر الرشيد يحيي ابن خالد وألقى اليه مقاليد الامور وفي هذه السنة عزل الرشيد الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسميت العواصم وأمر بعمارة طرسوس على يدى فرج الخادم التركى ونزلها الناس (وفي هذه السنة) أمر عبد الرحمن الداخل الاموى المستولى على الاندلس ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة وأنفق عليه مائة ألف دينار (ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة) في هذه السنة توفي عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس بقرطبة ويعرف بعبد الرحمن الداخل لدخوله بلاد المغرب وهو عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في ربيع الآخر وكان مولده بأرض دمشق سنة ثلاث عشرة ومائة ومدة ملكه الاندلس ثلاث وثلاثون سنة لانه تولى الاندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة ولما مات ملك بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن وكان عبد الرحمن أصهب خفيف العارضين طويلا نحيف أعور وقصده بنو أمية من المشرق والتجؤا اليه (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة) فيها توفي رباح وكنيته أبو زيد اللخمى الزاهد بمدينة القيروان

وكان مجاب الدعوة (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة) فيها ماتت الخيزران أم الرشيد وفيها حج الرشيد واحرم من بغداد (ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة وسنة خمس وسبعين ومائة) فيها سار يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الى الديلم فتحرك هناك وفيها ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب وادريس بن عبد الله المذكور هو الذى سلم وانهزم لما قتل أهل بيته يوم التروية بظاهر مكة حسب ماذكرناه في سنة تسع وستين ومائة وكان قد توفي أبوه ادريس الاول وله جارية حبلى ولم يكن له ولد فولدت الجارية بعد موته في ربيع الآخر من هذه السنة ولدا ذكرا فسموه ادريس أيضاً باسم أبيه فبقى حتى كبر واستقل بالملك (ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة) فيها ظهر أمر يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب بالديلم واشتدت شوكته ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيي في جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان وما يختاره فأجاب يحيي بن عبد الله الى ذلك وطلب يمين الرشيد وان يكون بخطه ويشهد فيه الاكابر ففعل ذلك وحضر يحيي بن عبد الله الى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم أمسكه وحبسه حتى مات في الحبس (وفي هذه السنة) هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن على فجمع الرؤساء وسعوا في الصلح بينهم فأتوا بنى القين وكلموهم في الصلح فأجابوا وأتوا اليمانية وكلموهم فى الصلح فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر ثم سارت اليمانية الى بنى القين وقتلوا منهم نحو ستمائة فاستنجدت بنو القين قضاعة وسليحا فلم ينجدوهم فاستنجدوا قيساً فأجابوهم وساروا معهم الى العواليك من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولاها ابراهيم بن صالح ابن على ودام القتال بين المذكورين نحو سنتين وكان سبب الفتنة بين اليمانيين والمضريين ان رجلا من القين أتى رحى بالبلقاء ليطحن فيه فمر بحائط رجل من لخم أو جذام وفيه بطيخ فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا واجتمع قوم من اليمانيين وضربوا الذى من القين فاعانه جماعة من مضر فقتل رجل من اليمانيين فكان ذلك سبب الفتنة وفيها مات الفرج بن فضالة وصالح بن بشر القارى وكان ضعيفا في الحديث وفيها مات نعيم بن ميسرة النحوى الكوفي (ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة) في هذه السنة أعنى سنة سبع وسبعين ومائة توفي بالكوفة أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك تولى القضاء أيام المهدى ثم عزله الهادى وكان عالماً عادلا في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب ذكر معاوية بن أبى سفيان عنده ووصف بالحلم فقال شريك ليس بحليم من سفه الحق وقاتل على بن أبى طالب وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجيرة

بغداد ولباس أصحابه الخضرة وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر ويحرقون كل ملبوس يرونه من السواد ودام ذلك ثمانية أيام ثم تكلم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك فترك الخضرة واعاد لبس السواد

ذكر وفاة الامام الشافعي رحمه الله

وفي هذه السنة أعني سنةأربع ومائتين توفي الامام الشافعي وهو محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وهذا شافع الذي ينسب اليه الشافعي لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع وأبوه السائب أسلم يوم بدر فالشافعي شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه يجتمع معه في عبد مناف وكانت زوجة هاشم بن المطلب بن عبد مناف بنت عمه الشفا بنت هاشم بن عبد مناف فولد له منها عبد يزيد جد الشافعي فالشافعي اذن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته لان الشفا أخت عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وولد الشافعي سنة خمسين ومائة بغزة على الصحيح وقيل في غيرها وأخذ العلم من مالك بن أنس ومسلم بن خالد الزنجي وسفيان بن عيينة وسمع الحديث من اسمعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم قال الشافعي حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر وقدمت على مالك وأنا ابن خمس عشرة سنة وقال رأيت علي بن أبي طالب في منامي فسلم علي وصافحني وجعل خاتمه في أصبعي ففسر لي ان مصافحته لي أمان من العذاب وجعله الخاتم في أصبعي انه سيبلغ اسمي ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب وناظر الشافعي محمد بن الحسن في الرقة فقطعه الشافعي وكان الشافعي حافظاً للشعر قال الاصمعي قرأت ديوان الهذليين على محمد بن ادريس الشافعي وقال أبو عثمان المازني سمعت الاصمعي يقول قرأت ديوان الشنفرى على الشافعي بمكة وكان أحمد بن حنبل يقول ماعرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي وقدم الشافعي الى بغداد مرتين مرة في سنة خمس وسبعين ومائة ثم قدمها مرة أخرى في سنة ثمان وسبعين ومائة وناظر بشر المريسي المعتزلي ببغداد وناظر حفص الفرد بمصر فقال حفص القرآن مخلوق واستدل عليه فتحاربا في الكلام حتى كفره الشافعي ومما استدل به الشافعي وقد رواه أبو يعقوب البويطي قال سمعت الشافعي يقول انما خلق الله الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقا خلق بمخلوق قال ابن بنت الشافعي حدثنا أبي قال كان الشافعي ينظر في النجوم وهو حدث وما نظر في شئ الا فاق فيه فجلس يوما وامرأته تطلق فحسب وقال تلد جارية عوراء على فرجها خال اسود تموت الى كذا وكذا فكان كما قال فجعل على نفسه ألا ينظر فيه بعدها ودفن الكتب التي كانت عنده

في النجوم وكان الشافعي ينكر على أهل علم الكلام وعلى من يشتغل فيه وللشافعي أشعار فائقة منها

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق

وله أيضاً

رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

(فيها) مات الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه أحد أصحاب أبي حنيفة وأبو داود سليمان ابن داود الطيالسي صاحب المسند ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة وفيها أعني سنة أربع ومائتين وقيل سنة ثلاث ومائتين توفي النضر بن شميل بن خرشة البصري النحوي سار الى خراسان من البصرة ولما خرج من البصرة مسافرا طلع لوداعه نحو ثلاثة آلاف رجل من أعيان أهل البصرة فقال النضر والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلا مافارقتكم فلم يكن فيهم أحد يتكلف ذلك له وأقام بمرو من خراسان وصار ذا مال طائل وصحب الخليفة المأمون وحظي عنده وكان يوما عنده فقال المأمون حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز وفتح سين سداد فاعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد فاستوى المأمون جالساً وقال تلحن يانضر فقال انما لحن هشيم وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قال السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكلما سددت به شيئاً فهو سداد بكسر السين وأنشد من أبيات عبد الله ابن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي الشاعر المشهور

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأمر له المأمون بخمسين ألف درهم وكان النضر من أصحاب الخليل بن أحمد والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ثم راء وشميل بضم الشين وخرشة بفتح الخاء المعجمة والعرج بفتح العين وسكون الراء ثم جيم عقبة بين مكة والمدينة (ثم دخلت سنة خمس ومائتين) فيها استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق وفيها توفي يعقوب بن اسحق بن زيد البصري المقري وهو أحد القراء العشرة وله في القراآت رواية مشهورة قرأ على سلام بن سليمان الطويل وقرأ سلام على عاصم ابن أبي النجود وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقرأ علي على رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت سنة ست ومائتين) في هذه السنة مات الحكم بن هشام صاحب الاندلس لاربع بقين من ذي الحجة وكانت ولايته في صفر سنة ثمانين ومائة ولما توفي كان عمره اثنتين وخمسين سنة وخلف من الولد تسعة عشر ذكرا ولما مات قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن بن

(وفي هذه السنة) أرسل المهدى العلوى جيشاً مع مقدم يقال له جاشة في البحر فاستولى على الاسكندرية وأرسل المقتدر جيشاً مع مونس الخادم فاقتتلوا بين مصر والاسكندرية أربع دفعات انهزمت فيها المغاربة وعادوا الي بلادهم وقتل من الفريقين خلق كثير (وفي هذه السنة) انتهى تاريخ أبي جعفر الطبرى (وفيها) وقيل في السنة التى قبلها توفى على ابن أحمد بن منصور الشاعر المعروف بالبسامى وكان من أعيان الشعراء كثير الهجاء هجا أباه واخوته وأهل بيته وعمل في القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد

قل لابى القاسم المرزى　　قاتلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زينا　　وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كموت هذا　　فلست تخلو من المصائب

وله في المتوكل لما هدم قبر الحسين بن على رضى الله عنهما ومنع الناس من زيارته

تالله ان كانت أمية قد أتت　　قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله　　هذا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على أن لايكونوا شاركوا　　في قتله فتتبعوه رميما

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلثمائة)

(ذكر بناء المهدية)

في هذه السنة اختار المهدى موضع المهدية على ساحل البحر وهو جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند فبناها وجعلها دار ملكه وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار وكان ابتداء بنائها يوم السبت في هذه السنة لخمس خلون من ذى القعدة ولما تم بناؤها قال المهدى الآن أمنت على الفاطمية بحصانتها (وفي هذه السنة) أغارت الروم على الثغور الجزرية فغنموا وسبوا (وفي هذه السنة) توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن على ابن شعيب النسائى صاحب كتاب السنن بمكة ودفن بين الصفا والمروة وكان اماما حافظاً محدثا رحل الى نيسابور ثم الى العراق ثم الى الشام ومصر ثم عاد الى دمشق فامتحن في معاوية وطلب منه أن يروى شيئاً من فضائله فامتنع وقال ما يرضى معاوية أن يكون رأسا برأس حتى يفضل فقيل انه وقع في حقه مكروه وحمل الى مكة فتوفي بها (وفيها) توفي أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى المعتزلى (ثم دخلت سنة أربع وثلثمائة) فيها توفي الناصر العلوى صاحب طبرستان وعمره تسع وسبعون سنة وكان يقال له الاطروش واسمه الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وكان قد ملك طبرستان في سنة احدى وثلثمائة واستولى على مملكتها ثم قام بعد الناصر المذكور الحسن بن القاسم العلوى ويلقب بالداعى وقتل في سنة ست عشرة وثلثمائة وانقرض بموته ملك العلويين من طبرستان (وفيها) توفي

يوسف

يوسف بن الحسين بن على الرازى صاحب ذى النون المصرى وهو صاحب قصة الفارمه (ثم دخلت سنة خمس وثلثمائة) في هذه السنة مات أبو جعفر محمد بن عثمان العسكرى المعروف بالسمان ويعرف أيضا بالعمرى رئيس الامامية وكان يدعى انه الباب الى الامام المنتظر (وفيها) قدم رسول ملك الروم الى بغداد فلما استحضروا عبى لهم العسكر وصفت الدار بالاسلحة وأنواع الزينة وكان جملة العسكر المصفوف حينئذ مائة ألف وستين ألفا مابين راكب وواقف ووقف الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق المحلاة ووقف الخدام الخصيان كذلك وكانوا سبعة آلاف أربعة آلاف خادم أبيض وثلاثة آلاف أسود ووقف الحجاب كذلك وهم حينئذ سبعمائة حاجب والقيت المراكب والزبازب في دجلة باعظم زينة وزينت دار الخلافة فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين ألف ستر منها ديباج مذهبة اثنا عشر الفا وخمسمائة وكانت البسط اثنين وعشرين ألفا وكان هناك مائة سبع مع مائة سباع وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا وعلى الاغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة وكذلك أوراق الشجرة من الذهب والفضة والاغصان تتمايل بحركات موضوعة والطيور تصفر بحركات مرتبة وشاهد الرسول من العظمة مايطول شرحه واحضر بين يدى المقتدر وصار الوزير يبلغ كلامه الى الخليفة ويرد الجواب عن الخليفة (ثم دخلت سنة ست وثلثمائة) في هذه السنة جعل على شرطة بغداد نجح الطولونى فجعل في الارباع فقهاء يكون عمل اصحاب الشرطة بفتواهم فضعفت هيبة السلطنة بسبب ذلك فطمع اللصوص والعيارون وأخذت ثياب الناس في الطرق المنقطعة وكثرت الفتن

(ذكر ارسال المهدي العلوي ابنه القائم بعساكر افريقية الى مصر)

وفي هذه السنة جهز المهدى جيشا كثيفا مع ابنه القائم الى مصر فوصل الى الاسكندرية واستولى عليها ثم سار حتى دخل الجيزة وملك اشمونين وكثيرا من الصعيد وبعث المقتدر مونسا الخادم فوصل الى مصر وجرى بينه وبين القائم عدة وقعات ووصل الى الاسكندرية من افريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم وارسل المقتدر مراكب من طرسوس الى قتال مراكب القائم وكانت خمسة وعشرين مركبا فالتقت المراكب المراكب على رشيد واقتتلوا واقتتلت العساكر في البر وكانت الهزيمة على عسكر المهدى ومراكبه فعادوا الى افريقية بعد ان قتل منهم وأسر (وفي هذه السنة) توفي القاضى محمد بن خلف بن حيان الضبى المعروف بوكيع وكان عالما باخبار الناس وله تصانيف حسنة (وفيها) في جمادى الاولى توفي الامام أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعى وكان من عظماء الشافعية وائمة المسلمين وكان يقال له الباز الاشهب وولى القضاء بشيراز و بلغت مصنفاته اربعمائة

موسى الاشعرى واشتغل بعلم الكلام على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم خالف المعتزلة والمشبهة فكانت مقالته أمرا متوسطا وناظر أبا على الجبائى في وجوب الاصلح على الله تعالى فانبته الجبائى على قواعد مذهبه فقال الاشعرى ما تقول في ثلاثة صبية اخترم الله أحدهم قبل البلوغ وبقى الاثنان فآمن أحدهما وكفر الآخر ماالعلة في اخترام الصغير فقال الجبائى انما اخترمه لانه علم انه لو بلغ لكفر فكان اخترامه أصلح له فقال له الاشعرى فقد احيا أحدهما فكفر فقال الجبائى انما أحياه ليعرضه لاعلاء المراتب أى ليبلغ ويصير أهلا للتكليف لان الصبي والحيوان غير مكلف فاذا أدرك الصبي صار مكلفا وهى أعلا المراتب لأنها المرتبة الانسانية فقال الاشعرى فلم لا احيا الذى اخترمه ليعرضه لاعلاء المراتب فقال الجبائى وسوست فقال الاشعرى ماوسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة يعنى انه انقطع ثم أظهر الاشعرى مذهبه وقرره فصارت مقالته أشهر المقالات حتى طبق الارض ذكرها ومعظم الحنابلة يحكمون بكفره ويستبيحون دمه ودم من يقول بقوله وذلك لجهلهم وكان أبو على الجبائى المعتزلى زوج أم أبى الحسن الاشعرى (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة) في هذه السنة سار ناصر الدولة عن بغداد الى الموصل وثارت الديلم ونهبت داره وكان أخوه سيف الدولة بواسط فثارت عليه الاتراك الذين معه وكبسوه ليلا في شعبان فهرب سيف الدولة أبوالحسن على الى جهة أخيه ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان ولحق به ثم قدم سيف الدولة الى بغداد وطلب من المتقى مالا ليفرقه في العسكر ويمنع تورون والاتراك من دخول بغداد فارسل اليه المتقى أربعمائة ألف دينار ففرقها في أصحابه ولما وصل تورون الى بغداد هرب سيف الدولة عنها ودخل تورون بغداد في الخامس والعشرين من رمضان في هذه السنة فخلع المتقى عليه وجعله أمير الامراء وبقى المتقى خائفا من تورون وتورون بتاء مثناة من فوقها مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو ثم نون وهو اسم تركى مشتق من اسم الباطية لان الباطية اسمها بالتركى تروو بتاء وراء مضمومتين وواوين ساكنين

ذكر موت نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

وفي هذه السنة توفي أبو السعيد نصر بن أحمد السامانى صاحب خراسان وماوراء النهر وكان مرضه السل فبقى مريضاً ثلاثة عشر شهرا وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وكان حليما كريما ولما مات نصر بن أحمد تولى بعده ابنه نوح بن نصر وبايعه الناس وحلفوا له في شعبان واستقر ملكه على خراسان وماوراء النهر

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة أرسل ملك الروم يطلب من المتقى منديلا زعم أن المسيح مسح به وجهه

فصارت صورة وجهه فيه وان هذا المنديل في بيعة الرها وانه ان أرسله أطلق عددا كثيرا من أسرى المسلمين فاحضر المتقى القضاة والفقهاء واستفتاهم في ذلك فاختلفوا فقال بعضهم ادفعه اليهم واطلاق الاسرى أولى وقال بعضهم ان هذا المنديل لم يزل في بلاد الاسلام ولم يطلبه ملك الروم منهم ففى دفعه اليهم غضاضة وكان في الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر والضنك اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم وأرسل من تسلم الاسرى فاطلقوا (وفي هذه السنة) توفي محمد بن اسمعيل الفرغانى الصوفي أستاذ أبى بكر الدقاق وهو مشهور بين المشايخ (وفيها) مات سنان ابن ثابت بن قرة بعلة الذرب وكان حاذقا في الطب ولم يغن عنه شيئاً عند دنو الأجل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) فيها سار المتقى عن بغداد خوفا من تورون وابن شيرزاد الى جهة ناصر الدولة بالموصل وانحدر سيف الدولة الى ملتقى المتقى بتكريت ثم انحدر ناصر الدولة الى تكريت وأصعد الخليفة الى الموصل ثم سار الخليفة وبنو حمدان الى الرقة فأقاموا بها وظهر للمتقى تضجر بنى حمدان منه وايثارهم مفارقته فكتب الى تورون يطلب الصلح منه ليقدم الى بغداد وخرجت السنة على ذلك

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) خرجت طائفة من الروس في البحر وطلعوا من البحر في نهر الكر فانتهوا الى مدينة بردعة فاستولوا على بردعة وقتلوا ونهبوا ثم عادوا في المراكب الى بلادهم (وفيها) مات أبوطاهر القرمطى رئيس القرامطة بالجدرى وفيها كان ببغداد غلاء عظيم (وفيها) استعمل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن على بن مقاتل على قنسرين والعواصم وحمص ثم استعمل بعده في السنة المذكورة ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة)

ذكر مسير المتقي الى بغداد وخلعه

كان قد كتب المتقى الى الاخشيد صاحب مصر يشكو اليه حاله وما هو فيه فسار الاخشيد من مصر الى حلب ثم الى الرقة واجتمع بالمتقى وحمل اليه هدايا عظيمة واجتهد بالمتقى أن يسير معه الى مصر أو الشام ليكون بين يديه فلم يفعل ثم أشار عليه بالمقام في الرقة وخوفه من تورون فلم يفعل وكان قد أرسل المتقى الى تورون في الصلح كما ذكرناه فحلف تورون للمتقى على ما أراد فانحدر المتقى لاربع بقين من المحرم الى بغداد وعاد الاخشيد الى مصر ولما وصل المتقى الى هيت أقام بها وارسل فجدد اليمين على تورون وسار تورون عن بغداد لملتقى الخليفة فالتقاه بالسندية ووكل عليه حتى أنزله في مضربه ثم قبض تورون على المتقى وسمله وأعمى عينيه فصاح المتقى وصاح من عنده من الحرم والخدم فأمر تورون

موسى الاشعرى واشتغل بعلم الكلام على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم خالف المعتزلة والمشبهة فكانت مقالته أمرا متوسطا وناظر أبا على الجبائى في وجوب الاصلح على الله تعالى فانبته الجبائى على قواعد مذهبه فقال الاشعرى ما تقول في ثلاثة صبية اخترم الله أحدهم قبل البلوغ وبقى الاثنان فآمن أحدهما وكفر الآخر ماالعلة في اختراماالصغير فقال الجبائى انما اخترمه لانه علم انه لو بلغ لكفر فكان اخترامه أصلح له فقال له الاشعرى فقد احيا أحدهما فكفر فقال الجبائى انما أحياه ليعرضه لاعلاء المراتب أى ليبلغ ويصير أهلا للتكليف لان الصبي والحيوان غير مكلف فاذا أدرك الصبي صار مكلفا وهى أعلا المراتب لأنها المرتبة الانسانية فقال الاشعرى فلم لا احيا الذى اخترمه ليعرضه لاعلاء المراتب فقال الجبائى وسوست فقال الاشعرى ماوسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة يعنى انه انقطع ثم أظهر الاشعرى مذهبه وقرره فصارت مقالته أشهر المقالات حتى طبق الارض ذكرها ومعظم الحنابلة يحكمون بكفره ويستبيحون دمه ودم من يقول بقوله وذلك لجهلهم وكان أبو على الجبائى المعتزلى زوج أم أبى الحسن الاشعرى (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة) في هذه السنة سار ناصر الدولة عن بغداد الى الموصل وثارت الديلم ونهبت داره وكان أخوه سيف الدولة بواسط فثارت عليه الاتراك الذين معه وكبسوه ليلا في شعبان فهرب سيف الدولة أبو الحسن على الى جهة أخيه ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان ولحق به ثم قدم سيف الدولة الى بغداد وطلب من المتقى مالا ليفرقه في العسكر ويمنع تورون والاتراك من دخول بغداد فارسل اليه المتقى أربعمائة ألف دينار ففرقها في أصحابه ولما وصل تورون الى بغداد هرب سيف الدولة عنها ودخل تورون بغداد في الخامس والعشرين من رمضان في هذه السنة فخلع المتقى عليه وجعله أمير الامراء وبقى المتقى خائفا من تورون وتورون بتاء مثناة من فوقها مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو ثم نون وهو اسم تركى مشتق من اسم الباطية لان الباطية اسمها بالتركى تروو بتاء وراء مضمومتين وواوين ساكنين

ذكر موت نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

وفي هذه السنة توفي أبو السعيد نصر بن أحمد السامانى صاحب خراسان وماوراء النهر وكان مرضه السل فبقى مريضاً ثلاثة عشر شهرا وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وكان حليما كريما ولما مات نصر بن أحمد تولى بعده ابنه نوح بن نصر وبايعه الناس وحلفوا له في شعبان واستقر ملكه على خراسان وماوراء النهر

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة أرسل ملك الروم يطلب من المتقى منديلا زعم أن المسيح مسح به وجهه

فصارت صورة وجهه فيه وان هذا المنديل في بيعة الرها وانه ان أرسله أطلق عددا كثيرا من أسرى المسلمين فاحضر المتقى القضاة والفقهاء واستفتاهم في ذلك فاختلفوا فقال بعضهم ادفعه اليهم واطلاق الاسرى أولى وقال بعضهم ان هذا المنديل لم يزل في بلاد الاسلام ولم يطلبه ملك الروم منهم ففى دفعه اليهم غضاضة وكان في الجماعة على بن عيسى الوزير فقال ان خلاص المسلمين من الاسر والضنك اولى من حفظ هذا المنديل فامر الخليفة بتسليمه اليهم وأرسل من تسلم الاسرى فاطلقوا (وفي هذه السنة) توفي محمد بن اسمعيل الفرغانى الصوفي أستاذ أبى بكر الدقاق وهو مشهور بين المشايخ (وفيها) مات سنان ابن ثابت بن قرة بعلة الذرب وكان حاذقا في الطب ولم يغن عنه شيئاً عند دنو الأجل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) فيها سار المتقى عن بغداد خوفا من تورون وابن شيرزاد الى جهة ناصر الدولة بالموصل وانحدر سيف الدولة الى ماتقى المتقى بتكريت ثم انحدر ناصر الدولة الى تكريت وأصعد الخليفة الى الموصل ثم سار الخليفة وبنو حمدان الى الرقة فأقاموا بها وظهر للمتقى تضجر بنى حمدان منه وايثارهم مفارقته فكتب الى تورون يطلب الصلح منه ليقدم الى بغداد وخرجت السنة على ذلك

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) خرجت طائفة من الروس في البحر وطلعوا من البحر في نهر الكر فانتهوا الى مدينة بردعة فاستولوا على بردعة وقتلوا ونهبوا ثم عادوا في المراكب الى بلادهم (وفيها) مات أبو طاهر القرمطى رئيس القرامطة بالجدرى وفيها كان ببغداد غلاء عظيم (وفيها) استعمل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن على بن مقاتل على قنسرين والعواصم وحمص ثم استعمل بعده في السنة المذكورة ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة)

ذكر مسير المتقي الى بغداد وخلعه

كان قد كتب المتقى الى الاخشيد صاحب مصر يشكو اليه حاله وما هو فيه فسار الاخشيد من مصر الى حلب ثم الى الرقة واجتمع بالمتقى وحمل اليه هدايا عظيمة واجتهد بالمتقى أن يسير معه الى مصر أو الشام ليكون بين يديه فلم يفعل ثم أشار عليه بالمقام في الرقة وخوفه من تورون فلم يفعل وكان قد أرسل المتقى الى تورون في الصلح كما ذكرناه فحلف تورون للمتقى على ما أراد فانحدر المتقى لاربع بقين من المحرم الى بغداد وعاد الاخشيد الى مصر ولما وصل المتقى الى هيت أقام بها وأرسل فجدد اليمين على تورون وسار تورون عن بغداد لملتقى الخليفة فالتقاه بالسندية ووكل عليه حتى أنزله في مضربه ثم قبض تورون على المتقى وسمله وأعمى عينيه فصاح المتقى وصاح من عنده من الحرم والخدم فأمر تورون

ينسبون اليه خلا الحارث منهم ومن ولد عامر بن لؤى عمرو بن عبد ود فارس العرب الذى قتله على بن أبى طالب ثم ولد لكعب (مرة) على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب هصيص وعدى ابنا كعب (فمن) هصيص بنو جمح (ومن) مشاهيرهم أمية بن خلف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه ابى ابن خلف وكان مثله في العداوة (ومن) هصيص أيضا بنو سهم (ومن) بنى سهم عمرو بن العاص (ومن) عدى بن كعب بنو عدى ﴿ ومنهم ﴾ عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد من العشرة رضى الله عنهما ثم ولد لمرة على عمود النسب (كلاب) وولد له خارجا عن عمود النسب تيم ويقظة ابنا مرة (فمن) تيم بنو تيم ومنهم أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة رضى الله عنهما (ومن) يقظة بنو مخزوم نسب خالد بن الوليد رضى الله عنه وأبى جهل بن هشام واسمه عمرو بن هشام المخزومى ثم ولد لكلاب (قصى) بن كلاب على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب زهرة بنت كلاب (ومنه) بنو زهرة ونسب سعد بن أبى وقاص أحد العشرة ﴿ ونسب ﴾ آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسب عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وقصى المذكور كان عظيما في قريش وهو الذى ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة حسبما تقدم ذكر ذلك وهو الذى جمع قريشا وأثل مجدهم ثم ولد لقصى المذكور (عبد مناف) بن قصى على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى (فمن) عبد الدار بنو شيبة الحجبة ﴿ ومن ﴾ ولد عبد الدار النضر بن الحارث وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا يوم بدر (ومن ولد) عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام أحد العشرة (ومن) ولد عبد العزى أيضا خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم (ومن) بنى عبد العزى أيضا ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وولد لعبد مناف (هاشم) على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب عبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية وسعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس وبنت عتبة المذكور هند أم معاوية وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة صبرا يوم بدر (ومن) المطلب ابن عبد مناف المطلبيون ﴿ ومنهم ﴾ الامام الشافعى رحمه الله تعالى (ومن) نوفل النوفليون ثم ولد لهاشم (عبد المطلب) على عمود النسب ولم يعلم لهاشم ولد غيره وولد لعبد المطلب (عبد الله) على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب جميع اعمام

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب والغيداق ومنهم من يقول هو جحل الذى سنذكره والحارث وجحل والمقوم وضرار والزبير وقثم درج صغيراً وعبد الكعبة ومنهم من يقول ان عبد الكعبة هو المقوم ثم ولد لعبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل (ولنذكر) أولا قصة الفيل ثم مولده صلى الله عليه وسلم (من الكامل) لابن الاثير قال ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك الى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد ان يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل * وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا ليهدم الكعبة فلما وصل الى الطائف بعث الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأحضرها الى ابرهة وأرسل أبرهة الى قريش وقال لهم لست أقصد الحرب بل جئت لاهدم الكعبة فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمه وان خلا بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة اليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لابرهة هذا سيد قريش فأذن له ابرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله في حاجته فذكر عبد المطلب أباعره التى أخذت له فقال أبرهة انى كنت أظن انك تطلب منى ان لاأخرب الكعبة التى هى دينك فقال عبد المطلب أنا رب الاباعر فاطلبها وللبيت رب يمنعه فامر أبرهة برد أباعره عليه فأخذها عبد المطلب وانصرف الى قريش ولما قارب أبرهة مكة وتهيأ لدخولها بقى كلما قبل فيله مكة وكان اسم الفيل محمودا ينام ويرمى بنفسه الى الارض ولم يسر فاذا قبلوه غير مكة قام يهرول وبينماهم كذلك اذ أرسل الله عليهم طيرا أبابيل امثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس فلم يصب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت ثم أرسل الله تعالى سيلا فالقاهم في البحر والذى سلم منهم ولى هاربا مع أبرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة في جسده وسقطت اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا من أموالهم شيأ كثيرا ولما هلك أبرهة ملك بعده ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة ومنه أخذت العجم اليمن انتهى الكلام في الفصل الخامس وهو آخر التواريخ القديمة ومن هنا نشرع في التواريخ الاسلامية

﴿ ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر شىء من شرف بيته الطاهر ﴾

اما أبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو ﴿ عبد الله ﴾ بن عبد المطلب المذكور وكانت ولادة عبد الله المذكور قبل الفيل بخمس وعشرين سنة وكان أبوه يحبه لانه كان

ومكاشف الايام ضد طباعها　　متطلب في الماء جذوة نار

ووصل التهامى المذكور الى القاهرة متخفيا ومعه كتب من حسان بن مفرج ابن دغفل البدوى الى بنى قرة فعلم بأمره وحبس في خزانة البنود ثم قتل بها محبوسا في التاريخ المذكور والتهامى منسوب الى تهامة وهى تطلق على مكة ولذلك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم تهامى لانه منها وتطلق على البلاد التى بين الحجاز واطراف اليمن (ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة) في هذه السنة تسلط الاتراك في بغداد فاكثروا مصادرات الناس وعظم الخطب وزاد الشر ودخل في الطمع العامة والعيارون وذلك بسبب موت مشرف الدولة وخلو بغداد من سلطان (وفيها) توفي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعى المعروف بالقفال وعمره تسعون سنة وله التصانيف النافعة وكان يعمل الاقفال ماهرا في عملها واشتغل على كبر وفاق أهل زمانه يقال كان عمره لما ابتدأ بالاشتغال ثلاثين سنة وأبو بكر القفال المذكور غير أبى بكر القفال الشاشى المقدم ذكره في سنة خمس وستين وثلثمائة والقفال المذكور اسمه عبدالله وكنيته أبو بكر وأما القفال الشاشى المقدم الذكر اسمه وكنيته أبو بكر (ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وأربعمائة)

﴿ ذكر ملك جلال الدولة أبى طاهر بن بهاء الدولة بغداد ﴾

(في هذه السنة) سار جلال الدولة من البصرة الى بغداد وكان قد استدعاه الجند بأمر الخليفة لما حصل من النهب والفتن ببغداد لخلوها من السلطان فدخلها ثالث رمضان وخرج الخليفة القادر لملتقاه وحلفه واستوثق منه واستقر جلال الدولة في ملك بغداد (وفي هذه السنة) توفي الوزير أبو القاسم المغربى الذى تقدم ذكره وعمره ست وأربعون سنة (وفيها) سقط بالعراق برد كبار وزن البردة رطل ورطلان بالبغدادى واصغره كالبيضة (وفيها) نقضت الدار التى بناها معز الدولة بن بويه ببغداد وكان قد غرم عليها ألف ألف دينار وبذل في حكاكة سقف منها ثمانية آلاف دينار (وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة توفي الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مروان الاسفرائينى ويلقب ركن الدين الفقيه الشافعى المتكلم الاصولى أخذ عنه الكلام عامة شيوخ نيسابور واقر أهل خراسان له بالعلم وله التصانيف الجليلة في الاصول والرد على الملحدين وهو أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واختلف الى مجلسه أبو القاسم القشيرى وأكثر الحافظ أبو بكر البيهقى الرواية عنه (وفيها) توفي أبو القاسم بن طباطبا الشريف وله شعر جيد واسمه أحمد بن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه نقيب الطالبيين بمصر وكان من أكابر رؤسائها وطباطبا لقب جده لقب بذلك لانه كان يلثغ فيجعل القاف طاء طلب يوما قماشه فقال غلامه أجيب

دراعة فقال لا طباطبا يريد قباقبا فبقى عليه لقبا ومن شعره

كأن نجوم الليل سارت نهارها　　فوافت عشاء وهى انضاء اسفار

وقد خيمت كى تستريح ركابها　　فلا فلك جار ولا كوكب سارى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة) في هذه السنة في ذى القعدة توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان فسار ابن أخيه أبو كاليجار بن سلطان الدولة صاحب فارس الى كرمان واستولى عليها بغير حرب (ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة) في هذه السنة استولى يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الرى وقبض على مجد الدولة ابن فخر الدولة على بن ركن الدولة حسن بن بويه صاحب الرى وكان سبب ذلك ان مجد الدولة اشتغل عن تدبير المملكة بمباشرة النساء ومطالعة الكتب فشغبت عليه جنده فبعث يشكو جنده الى يمين الدولة محمود وعلم محمود بعجزه فبعث اليه عسكرا قبضوا على مجد الدولة واستولى على الرى (وفي هذه السنة) كان قتل صالح بن مرداس أمير بنى كلاب صاحب حلب على ما سبق ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة (وفي هذه السنة) توفي منوجهر ابن قابوس بن وشمكير بن زيار وملك بعده ابنه أنو شروان بن منو جهر (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وأربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمود)

(وفي هذه السنة) في ربيع الآخر توفي محمود بن سبكتكين ومولده في عاشوراء سنة ستين وثلثمائة وكان مرضه اسهالا وسوء مزاج وبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس فلم يضع جنبه في مرضه بل كان يستند الى مخدته حتى مات كذلك وأوصى بالملك لابنه محمد ابن محمود وكان أصغر من مسعود فقعد محمد في الملك وكان أخوه مسعود بأصفهان فسار نحو أخيه محمد فاتفق أكابر العسكر وقبضوا على محمد وحضر مسعود فتسلم المملكة واستقر فيها واطلق أخاه محمدا وأحسن اليه ثم قبض مسعود على القواد الذين قبضوا أخاه محمدا وسعوا لمسعود في المملكة وهذا عاقبة غدرهم (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة) (في هذه السنة) سير السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا فاستولى على التيز ومكران

(ذكر ملك الروم مدينة الرها)

وكانت الرها لعطير من بنى نمير فاستولى أبو نصر بن مروان صاحب ديار بكر على حران وجهز من قتل عطيرا صاحب الرها فأرسل صالح بن مرداس يشفع الى أبى نصر بن مروان في أن يرد الرها الى ابن عطير والى ابن شبل بينهما نصفين فقبل شفاعته وسلمها اليهما في سنة ست عشرة وأربعمائة وبقيت المدينة معهما الى هذه السنة فراسل ابن عطير أرمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى وحضر

الحرمين في حقه ما من شافعي المذهب الا وللشافعي عليه منة الا أحمد البيهقي فان له على
الشافعي منة لانه كان أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعي (وفيها) توفي أبو يعلى محمد بن
الحسين بن الحسن بن الفراء الحنبلي وعنه انتشر مذهب أحمد بن حنبل وهو مصنف كتاب
الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض وكان ابن التميمي
الحنبلي يقول لقد خرى أبو يعلى بن الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء (وفيها) توفي
الحافظ أبو الحسن علي بن اسمعيل المعروف بابن سيده المرسي وكان اماما في اللغة صنف
فيها المحكم وهو كتاب مشهور وله غيره عدة مصنفات وكان ضريرا وتوفي بدانيه من شرق
الاندلس وعمره نحو ستين سنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة) فيها في ذي
القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ أبي اسحق الشيرازي
واجتمع الناس فتأخر أبو اسحق عن الحضور لانه سمع شوا اذا ان أرض المدرسة مغصوبة
ولما تأخر ألقى الدرس بها الى يوسف بن الصباغ صاحب كتاب الشامل مدة عشرين يوما ثم
اجتهدوا بابي اسحق فلم يزالوا به حتى درس فيها (ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة) فيها
كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة حتى طلع الماء من رؤس الآبار وهلك من الردم عالم
عظيم وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم
وأهلك خلقا كثيرا (وفيها) توفي الشيخ أبو منصور عبد الملك بن يوسف وكان من
أعيان الزمان (ثم دخلت سنة احدى وستين وأربعمائة) فيها احترق جامع دمشق
بسبب فتنة وقعت بين المغاربة والمشارقة فضربت دار مجاورة للجامع بالنار فاتصلت النار
بالجامع وعجز الناس عن اطفائها فاتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان
فيه من الاعمال النفيسة (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة) في هذه السنة توفي
طفغاج خان ملك ما وراء النهر واسمه أبو اسحق ابراهيم بن نصر ايلك خان وملك بعده
ابنه شمس الملك نصر بن طفغاج وبقي شمس الملك حتى توفي ولم يقع لي تاريخ وفاته وملك
بعده أخوه حصرخان بن طفغاج ثم ملك بعده ابنه أحمد وبقي احمد المذكور حتى قتل
سنة ثمان وثمانين وأربعمائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) كان بمصر غلاء
شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وانتزح منها من قدر على الانتزاح واحتاج خليفة
مصر المستنصر العلوي الى اخراج الآلات وبيعها فاخرج من خزانته ثمانين ألف قطعة بلور
كبار وخمسا وسبعين ألف قطعة من الديباج واحد عشر ألف كزغند وعشرين ألف
سيف محلى ووصل من ذلك مع التجار الى بغداد (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة)
فيها قطع محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب خطبة المستنصر العلوي وخطب للقائم
العباسي خليفة بغداد (وفيها) سار السلطان الب ارسلان الى ديار بكر فاتى صاحبها نصر

ابن أحمد بن مروان الى طاعته وخدمته ثم سار الب ارسلان حتى نزل على حلب فبذل
صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس له الطاعة بدون أن يطئ بساطه فلم يرض
الب ارسلان بذلك فخرج محمود ووالدته ليلا ودخلا على السلطان الب ارسلان فاحسن
اليهما وأقر محمودا على مكانه بحلب (وفيها) سار ملك الروم ارمانوس بالجموع العظيمة من
أنواع الروم والروس والجركس وغيرهم حتى وصل الى ملازكرد فسار اليه الب ارسلان
وسأل الهدنة من ملك الروم فامتنع واقتتل الجمعان فولى الروم منهزمين وقتل منهم مالا
يحصى وأخذ الملك أرمانوس أسيرا فشرط الب ارسلان عليه شروطا من حمل المال والاسرى
والهدنة فاجاب أرمانوس اليها فاطلقه الب ارسلان وحمله الى مأمنه (وفيها) قصد يوسف
ابن أبق الخوارزمي وهو من أمراء ملكشاه بن الب ارسلان الشام وفتح مدينة الرملة
وبيت المقدس وأخذهما من نواب الخليفة المستنصر صاحب مصر ثم حصر دمشق وضيق
على أهلها ولم يملكها

ذكر غير ذلك

وفي هذه السنة توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الغوراني الفقيه الشافعي
مصنف كتاب الابانه وغيره (وفيها) توفي أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن
غالب بن زيدون الاندلسي القرطبي وكان من ابناء الفقهاء بقرطبة ثم انتقل وخدم
المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية وصار عنده وزيره ولابن زيدون المذكور الاشعار الفائقة منها

بيني وبينك مالو شئت لم يضع ... سرا اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يابائعا حظه مني ولو بذلت ... لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك انك لو حملت قلبي ما ... لم تستطعه قلوب الناس يستطع
ته احتمل واستطل اصبر وعز اهن ... وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

ومن قصائده المشهورة قصيدته النونية التي منها

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

(وفيها) في ذي الحجة توفي ببغداد الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي
صاحب المصنفات الكثيرة وكان امام الدنيا في زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو اسحق
الشيرازي وصنف تاريخ بغداد الذي ينبئ عن اطلاع عظيم وكان من الحفاظ المتبحرين
وكان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ ومولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين
وثلثمائة وكان الخطيب المذكور في وقته حافظ الشرق وأبو عمرو يوسف بن عبد البر
صاحب الاستيعاب حافظ الغرب وماتا في هذه السنة ولم يكن للخطيب عقب وصنف
أكثر من ستين كتابا وأوقف جميع كتبه رحمه الله وأما ابن عبد البر المذكور فهو

السلطان ملكشاه الرصدواجتمع في عمله جماعة من الفضلاء منهم عمر الخيام وأبو المظفر الاسفرائيني وميمون بن النجيب الواسطى واخرج عليه من الاموال جملا عظيمة وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل (ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة) فيها ملك اتسز دمشق كنا قد ذكرنا سنة احدى وستين ملك اتسز الرملة وحصاره دمشق ثم رحل عنها وعاودهم في أيام ادراك الغلات حتى ضعف عسكر دمشق وتسلمها اتسز في هذه السنة وقطع الخطبة العلوية فلم يخطب بعدها في دمشق لهم واقام الخطبة العباسية يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة من هذه السنة وخطب للمقتدى بأمر الله ومنع من الاذان بحى على خير العمل

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) توفي أبو الحسن على بن أحمد بن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابورى ويقال له المتوى نسبة الي جده متويه والواحدى نسبة الى الواحد بن ميسرة وكان أستاذ عصره في النحو والتفسير وشرح ديوان المتنبي وليس في الشروح مثله جودة وكان الواحدى تلميذ الثعلبي وتوفي الواحدى بعد مرض طويل في هذه السنة بنيسابور (وفيها) توفي الشريف الهاشمي العباسي أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز المعروف بالبياضى الشاعر وله أشعار حسنة فمنها

كيف يذوى عشب أشوا　　قي ولي طرف مطير
ان يكن في العشق حر　　فأنا العبد الاسير
أو على الحسن زكاة　　فانا ذاك الفقير

(ومنها)

يامن لبست لبعده ثوب الضنا　　حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت　　أجفان عيني كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأيدى　　فأنت مفتت الاكباد

وقيل له البياضى لان بعض أجداده كان مع جماعة من بنى العباس وكلهم قد لبسوا أسود غيره فسأل الخليفة عنه وقال من ذلك البياضى فبقى عليه لقبا (ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة) فيها سار اتسز المستولى على دمشق الى مصر وعاد مهزوما الى الشام قيل كانت هزيمته لقتال جرى بين الفريقين وقيل بل انهزم بغير قتال وهلك جماعة من أصحابه (وفي هذه السنة) أورد ابن الاثير موت محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب أقول لكني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم ان محمودا المذكور مرض في سنة سبع وستين وأربعمائة وحدث به قروح

في

في المعى مات بها ولحقه في أواخر عمره من البخل مالا يوصف ولما مات في السنة المذكورة ملك حلب بعده ابنه نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى فمدحه ابن حيوش بقصيدة منها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها　　فلا افترقت ما افتر عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى　　ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود بن نصر سجية　　وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

وكان عطية ابن حيوش على محمود اذا مدحه ألف دينار فأعطاه نصر ألف دينار مثل ما كان يعطيه أبوه محمود وقال لو قال * وغالب ظنى ان سيضعفها نصر * لاضعفتها له وكان نصر يدمن شرب الخمر فحمله السكر على ان خرج الى التركمان الذين ملكوا أباه حلب وهم بالحاضر وأراد قتالهم فضربه واحد منهم بسهم نشاب فقتله ولما قتل نصر ملك حلب أخوه سابق بن محمود ولم يذكر ابن الاثير تاريخ قتل نصر متى كان ثم انى وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم تاريخ قتل نصر المذكور قال وفي يوم عيد الفطر سنة ثمان وستين وأربعمائة عيد نصر بن محمود وهو في أحسن زى وكان الزمان ربيعا واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ودخل عليه ابن حيوش فأنشده قصيدة منها

صفت نعمتان خصتاك وعمتا　　حديثهما حتى القيامة يؤثر

فجلس نصر فشرب الى العصر وحمله السكر على الخروج الى الاتراك وسكناهم في الحاضر وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم فرماه تركى بسهم في حلقه فقتله وكان قتله يوم الاحد مستهل شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة ولما قتل نصر ملك حلب بعده أخوه سابق ابن محمود (وفيها) توفي طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصرى توفي بان سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته (ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة) فيها توفي عبد الرحمن بن محمد بن اسحق الاصفهانى الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصفهان وله طائفة ينتمون اليه في الاعتقاد من أهل أصفهان يقال لهم العبد رحمانية (ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء تتش على دمشق)

(في هذه السنة) ملك تاج الدولة تتش ابن السلطان الب أرسلان دمشق وسببه ان أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام ومايفتحه فسار تاج الدولة تتش الى حلب وكان قد أرسل بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر عسكرا الى حصار اتسز بدمشق فأرسل اتسز يستنجد تتش وهو نازل على حلب يحاصرها فسار تتش الى دمشق فلما قرب منها رحل عنها عسكر

على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فتسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال من هذه السنة وسار شيركوه الى الشام فوصل الى دمشق في ثامن عشر ذى القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة ويكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار (وفي هذه السنة) فتح نور الدين صافيثا والعريمة (وفيها) عصا غازى بن حسان صاحب منبج على نور الدين بمنبج فسير اليه نور الدين عسكرا اخذوا منه منبج ثم اقطع نور الدين منبج قطب الدين ينال بن حسان اخا غازى المذكور فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (وفيها) توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ابن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وملك بعده ولده نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود (وفيها) توفي عبد الكريم ابو سعيد بن محمد بن منصور بن أبى بكر المظفر السمعانى المروزى الفقيه الشافعى وكان مكثرا من سماع الحديث سافر في طلبه الى ماوراء النهر وسمع منه مالم يسمعه غيره وله التصانيف المشهورة الحسنة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب الانساب في ثمان مجلدات وقد اختصر كتاب الانساب المذكور الشيخ عز الدين على ابن الاثير في ثلاثة مجلدات والمختصر المذكور هو الموجود في ايدى الناس والاصل قليل الوجود وله غير ذلك وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزى فاوقع فيه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى ويقول حدثنى فلان بماوراء النهر وهذا بارد جدا لان السمعانى المذكور سافر الى ماوراء النهر حقا فاى حاجة به الى هذا التدليس وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعى وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد غير الحنابلة وكانت ولادة ابى سعيد السمعانى المذكور في شعبان سنة ست وخمسمائة وكان ابوه وجده فاضلين والسمعانى منسوب الى سمعان وهو بطن من تميم (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة) في هذه السنة فارق زين الدين على كجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة قطب الدين واستقر باربل وكانت في اقطاع زين الدين على المذكور وكانت له اربل مع غيرها فاقتصر على اربل وسكنها وسلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان زين الدين على المذكور قد عمى وطرش (ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة)

﴿ ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر ﴾

(في هذه السنة) ملك نور الدين محمود قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلى وكانت بأيديهم من أيام السلطان ملكشاه ولم يقدر نور الدين على أخذها الا بعد ان أسر صاحبها مالك

المذكور بنو كلاب وأحضروه الى نور الدين محمود واجتهد به على تسليمها فلم يفعل فأرسل عسكرا مقدمهم فخر الدين مسعود بن أبى على الزعفرانى وردفه بعسكر آخر مع مجد الدين أبى بكر المعروف بابن الداية وكان رضيع نور الدين وحصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشئ ومازالوا على صاحبها مالك حتى سلمها وأخذ عنها عوضا مدينة سروج بأعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين ألف دينار معجلة وباب بزاعة

(ذكر ملك أسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور)

ثم ملك صلاح الدين وهو ابتداء الدولة الايوبية (في هذه السنة) أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة في ربيع الاول سار أسد الدين شيركوه بن شاذى الى ديار مصر ومعه العساكر النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهرا في مستهل صفر من هذه السنة ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما فأرسل العاضد الخليفة الى نور الدين يستغيث به وأرسل في الكتب شعور النساء وصانع شاور الفرنج على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم أن يرحلوا على القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا فجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وأنفق فيهم المال وأعطى شيركوه مائتى ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على كره منه أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) ولما قارب شيركوه مصر رحل الفرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا لمصر فتحا جديدا ووصل أسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة وشرع شاور يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) ثم ان شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك وغيرهما وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعى رضى الله عنه فلقى صلاح الدين وجرديك

الدين أباه أيوب وأهله فأرسلهم اليه نور الدين فأعطاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر وتمكن من البلاد وضعف أمر العاضد ولما فوض الامر الى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن أسباب اللهو وتقمص لباس الجد ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال ابن الاثير مؤلف الكامل رأيت كثيرا من ابتدئ بالملك ينتقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بني مروان بعده ثم ملك السفاح من بني العباس فانتقل الملك الى أخيه المنصور وعقبه ثم السامانية أول من ابتدئ بالملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك الى أخيه اسمعيل وعقبه ثم عماد الدولة بن بويه ملك فانتقل الملك الى عقب أخيه ركن الدولة ثم ملك طغريل بك السلجوقي فانتقل الملك الى عقب أخيه داود ثم شيركوه ملك فانتقل الملك الى ابن أخيه ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق الملك في عقبه بل انتقل الى أخيه العادل وعقبه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولى ذلك أولا وأخذه الملك وعيون أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ذلك ولما استقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ القصر في عدد كثير وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين انهزم فيها السودان وقتل منهم خلق كثير وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلا وتهجيجا وحكم صلاح الدين على القصر وأقام فيه بهاء الدين قراقوش الاسدى وكان خصيا أبيض وبقى لايجرى في القصر صغيرة ولا كبيرة الا بامر صلاح الدين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين اينانج صاحب الرى وبين الدكز حرب انتصر فيها الدكز وملك الرى وهرب اينانج وانحصر في بعض القلاع فارسل الدكز ورغب غلمان اينانج في الاقطاعات ان قتلوا اينانج استاذهم فقتلوه ولحقوا بالدكز فلم يف لهم وقال مثل هؤلاء لاينبغي الابقاء عليهم فهربوا الى البلاد ولحق بعضهم وهو الذى قتل استاذه بخوارزم شاه فصلبه لخيانته استاذه (وفيها) توفي الشيخ ابو محمد الفارقي وكان أحد الزهاد وله كرامات كثيرة كان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور (وفيها) توفي ياروق ارسلان التركماني وكان مقدما كبيرا واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة يسكن بظاهر حلب وبنى على شاطئ قويق هو واتباعه عمائر كثيرة وتعرف الآن بالياروقية وهي مشهورة هناك (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة) فيها سارت الفرنج الى دمياط وحصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر واخرج على ذلك اموالا عظيمة فحصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على اعقابهم ولم يظفروا

بشيء

بشيء منها قال صلاح الدين مارايت أكرم من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها (وفيها) سار نور الدين وحاصر الكرك مدة ثم رحل عنه (وفيها) كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام نور الدين في عمارة الاسوار وحفظ البلاد اتم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم عن قصد الآخر بعمارة ماخرب من بلاده (وفيها) في ذى الحجة مات قطب الدين مودود ابن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه حمى حادة ولما مات صرف ارباب الدولة الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكى بن مودود الى أخيه الذى هو اصغر منه وهو سيف الدين غازى بن مودود فسار عماد الدين زنكى الى عمه نور الدين مستنصرا به وتوفي قطب الدين وعمره اربعون سنة تقريبا وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان من احسن الملوك سيرة (وفي هذه السنة) توفي الملك طغريل بك بن قاورت بك صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر واستنجد كل منهما وطلب الملك فاتفق في تلك المدة ان ارسلان شاه الاكبر مات فاستقر بهرام شاه في ملك كرمان (وفيها) توفي مجد الدين أبو بكر ابن الداية رضيع نور الدين وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر اقطاعه فأقر نور الدين أخاه عليا ابن الداية على اقطاعه (وفيها) توفي محمد بن محمد بن ظفر صاحب كتاب سلوان المطاع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة اربع وخمسين وخمسمائة وله ايضا كتاب نجباء الابناء وشرح مقامات الحريرى ومولده بصقلية وتنقل بالبلاد وأقام بمكة شرفها الله تعالى وسكن آخر وقت مدينة حماة وتوفي بها ولم يزل يكابد الفقر حتى مات رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد وخلافة المستضيء وهو ثالث ثلاثينهم)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان ا[illegible]ن تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خاف منه استاذداره عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء وقطب الدين قيماز المقتفوى وهو حينئذ أكبر امراء بغداد فاتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له مايهلكه فوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها وغلق عليه الباب فمات ولما مات المستنجد حضر عضد الدين وقطب الدين المستضيء بأمر الله ابن المستنجد واشترطا عليه شروطا أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذداره وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم الى ذلك واسم المستضيء الحسن وكنيته ابو محمد ولم يل الخلافة من اسمه حسن غير الحسن بن على والمستضيء فبايعوه بالخلافة يوم مات ابوه بيعة خاصة وفي غده بيعة عامة وكان المستنجد حسن

أخيه في الوقعة مع الخطا دعى الى نفسه بالسلطنة واختلفت الناس بخراسان وجرى فيها فتن كثيرة فلما عاد خوارزمشاه محمد الى ملكه خاف أخوه على شاه فسار الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد من الغورية فأكرمه غياث الدين محمود وأقام على شاه عنده بفيروزكوه

﴿ ذكر قتل غياث الدين محمود وعلى شاه ﴾

ولما استقر خوارزم شاه في ملكه وبلغه مافعله أخوه على شاه أرسل عسكرا الى قتال غياث الدين محمود الغورى فسار العسكر الى فيروزكوه مع مقدم يقال له أمير ملك فسار الى فيروزكوه وبلغ ذلك محمودا فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه أمير ملك الامان فخرج غياث الدين محمود من فيروزكوه ومعه على شاه فقبض عليهما أمير ملك وأرسل يعلم خوارزمشاه بالحال فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه محمد بن تكش وذلك في سنة خمس وستمائة وهذا غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام بن الحسين هو آخر الملوك الغورية وكانت دولتهم من أحسن الدول وكان هذا محمود كريما عادلا رحمة الله عليه ثم ان خوارزمشاه محمدا لما خلا سره من جهة خراسان عبر النهر وسار الى الخطا وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر وكان ملكهم حينئذ يقال له كشلى خان وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فأرسل كل من كشلى خان ومن الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه فأجابهما خوارزم شاه بالمغلطة وانتظر مايكون منهما فاتقع كشلى خان والخطا فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزم شاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلى خان بهم فانقرضت الخطا ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال أو استلم وصار في عسكر خوارزم شاه ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستمائة ﴾ والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعظم

﴿ ذكر قدوم الاشرف الى حلب متوجها الى بلاده الشرقية ﴾

(وفي هذه السنة) توجه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة وبالغ في اكرامه وقام للاشرف ولجميع عسكره بجميع مايحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والملوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهى غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له تقدمة وهى مائة ألف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فمنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس وثوبان خطائى وعلى كل

بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة أثواب عتابى خوارزمى وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة أثواب عتابى بغدادى وموصلى وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقى ومنها أربعون في كل واحدة منها خمسة أقبية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بعدتها وعشرين اكديشا وأربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفتة وقطارين من الجمال وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة وقاد الى أكثرهم بغلات وأكاديش ثم سار الملك الاشرف الى بلاده (وفي هذه السنة) أمر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك أموالا كثيرة وبقى البلد يجرى الماء فيه (وفي هذه السنة) وصل غياث الدين كيخسرو ابن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الارمنى وأرسل اليه الملك الظاهر نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعاث فيها ونهب وفتح حصنا يعرف بفرقوس

(ذكر مقتل صاحب الجزيرة)

(في هذه السنة) قتل معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين بن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وقد تقدم ذكر ولايته في سنة ست وسبعين وخمسمائة قتله ابنه غازى وكان سنجر شاه ظالما قبيح السيرة جدا لا يمتنع عن قبيح يفعله من القتل وقطع الالسنة والانوف والآذان وحلق اللحى وتعدى ظلمه الى أولاده وحريمه فبعث ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فحبسهما فيها وحبس ابنه المذكور غازى في دار في المدينة وضيق عليه وكان بتلك الدار هوام كثيرة فاصطاد غازى المذكور منها حية وأرسلها الى أبيه في منديل لعله يرق عليه فلم يزده ذلك الا قسوة فأعمل غازى الحيلة حتى هرب وكان له واحد يخدمه فقرر معه أن يسافر ويظهر انه غازى بن معز الدين سنجر شاه ليأمنه أبوه فمضى ذلك الانسان الى الموصل فأعطى شيئا وسافر منها واتصل ذلك بسنجرشاه فاطمأن وتوصل ابنه غازى حتى دخل الى دار أبيه واختفى عند بعض سرارى أبيه وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه واتفق ان سنجر شاه شرب يوما بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكى ودخل داره سكران الى عند الحظية التى ابنه مخبأ عندها ثم قام معز الدين سنجرشاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازى فضربه أربع عشرة ضربة بالسكين ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو أحضر الجند واستحلفهم في ذلك الوقت لتم له الامر وملك البلاد ولكنه تنكر واطمأن فخرج بعض الخدم واعلم أستاذ

في يوم الاثنين ثانى الحجة الموافق لرابع عشر كانون الثانى وأحرم من رابغ وسار منها فى يوم الثلاث غد النهار المذكور واتفق من جملة سعادته وتأييده طيب الوقت فانه كان في وسط الاربعينيات ولم نجد بردا نشكو منه مدة الاحرام وسار حتى دخل مكة بكرة السبت سابع ذى الحجة ثم سار الى منى ثم الى مسجد ابراهيم وأقام هناك حتى صلى به الظهر وجمع اليها العصر ووقف بعرفات راكبا تجاه الصخرات في يوم الاثنين ثم أفاض وقدم الى منى وكمل مناسك حجه وكان في خدمته القاضى بدر الدين بن جماعة قاضى قضاة ديار مصر الشافعى وواظب السلطان في جميع أوقات المناسك بحيث ان السلطان حافظ على الاركان والواجبات والسنن محافظة لم أرها من أحد ولما كمل مناسك حجه سار عائدا الى مقر ملكه بالديار المصرية وخرجت هذه السنة أعنى سنة تسع عشرة وهو بين ينبع وايلة بمنزلة يقال لها القصب وهى الى ايلة أقرب ولقد شاهدت من جزيل صدقاته وانعامه في هذه الحجة مالم أقدر ان أحصره وانما أذكر نبذة منه وهو انه سار في خدمته مايزيد على ستين أميراً أصحاب طبلخانات وكان لكل منهم في كل يوم في الذهاب والاياب مايكفيه من عليف الخيل والماء والحلوى والسكر والبقسماط وكذلك لجميع العسكر الذين ساروا في خدمته وكان يفرق فيهم في كل يوم في تلك المفاوز وغيرها مايقارب أربعة آلاف عليقة شعير ومن البقسماط والحلوى والسكر مايناسب ذلك وكان في جملة ماكان في الصحبة الشريفة أربعون جملا تحمل محاير الخضراوات مزروعة وكان في كل منزلة يحصد من تلك الخضراوات مايقدم صحبة الطعام بين يديه وفرق في منزلة رابغ على جميع من في الصحبة من الامراء والاجناد وغيرهم جملا عظيمة من الدراهم بحيث كان أقل نصيب فرق في الاجناد ثلثمائة درهم وما فوق ذلك الى خمسمائة درهم ونصيب أمراء العشرات ثلاثة آلاف درهم * وأما الامراء أصحاب الطبلخانات فوصل بعضهم بعشرين ألف درهم وبعضهم بأقل من ذلك فكان شيأ كثيراً وأما التشاريف فاكثر من أن تحصر ثم كان مانذكره في سنة عشرين وسبعمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة)

ذكر قدوم السلطان الى مقر ملكه

استهل السلطان غرة المحرم من هذه السنة في القصب وهى منزلة عن ايلة على تقدير أربعة مراحل وسار السلطان منها ونزل بايلة وأقام بها ثلاثة أيام ينتظر وصول خيل وخزانة كانت له بالكرك وبعد وصول ذلك رحل السلطان وسار حتى دخل قلعة الجبل بكرة نهار السبت ثانى عشر المحرم من هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من شباط وكان يوم دخوله يوما مشهودا ركب جميع الجيش وقبلوا الارض بين يديه * ولما صار

على

على تقدير أربعة آلاف ذراع من القلعة أخذت الامراء في بسط الشقق الفاخرة بين يدى فرسه فبسطوا واستمر البسط الى ان دخل القلعة المنصورة في أسعد وقت من ضحى يوم السبت المذكور

ذكر ماأولانى من عميم الصدقات وجزيل التطولات

سرت من حماة على البريد ولم يصحبنى مركوب لى ولا شئ من أدوات المسافر فتصدق على وأنزلنى عند القاضى كريم الدين فكان يبالغ في الاحسان الىّ بأنواع الامور من الملابس والمراكيب والاكل وكان ينصب لى خاما مختصا بى يكفى بجميع مااحتاجه من الفرش للنوم والمأكل والغلمان المختصة بى وكان مع ذلك لم تنقطع التشاريف على اختلاف أنواعها لا خلعها على من اختار وكان السلطان في طول الطريق في الرواح والعود يتصيد الغزلان بالصقور وأنا في صدقاته أتفرج ويرسل الىّ من الغزلان التى يصيدها وتقدم مرسومه الى ونحن نسير اننى اذا وصلت الى ديار مصر أسلطنك وتتوجه الى بلدك وأنت سلطان واستعفيت عن ذلك واستقلته وتألمت منه استصغارا لنفسى وتعظيما لاسمه الشريف أن يشارك فيه وبقى الامر في ذلك كالمتردد الى ان وصل الى مقر ملكه حسبما ذكرناه ونزلت أنا عند القاضى كريم الدين بداره داخل باب زويلة بالقرب الى بين القصرين وأقمت هناك وتقدم مرسوم السلطان بارسال شعار السلطنة الىّ فحضرت الموالى والامراء وهم سيف الدين الماس أمير حاجب وسيف الدين قجليس والامير علاء الدين ايدغمش أمير اخور والامير ركن الدين بيبرس الاحمدى والامير سيف الدين طيبال أمير حاجب أيضاً وحضر من الامراء الخاصكية تقدير عشرين أميرا وحضر صحبتهم التشريف الاطلس الكامل المزركش والنمجا الشريفة السلطانية والغاشية المنسوجة بالذهب المصرى وعليها القبة والطير وثلاثة سناجق وعصائب وتقليد يتضمن السلطنة والجمدارية السلطانية وسلحدار بسيفين معلقين على كتفه والشاويشية وحضر جميع ذلك الى المدرسة المنصورية بين القصرين وقدم لى حصان كامل العدة فركبته بكرة الخميس سابع عشر المحرم الموافق للثامن والعشرين من شباط بالشعار المذكور ومشت الامراء الى اثناء الطريق وركبوا ولما قاربت قلعة الجبل نزلوا جميعهم واستمريت حتى وصلت الى قرب باب القلعة ونزلت وقبلت الارض للسلطان الى جهة القلعة وقبلت التقليد الشريف ثم أعدت تقبيل الارض مرارا ثم طلعت صحبة النائب وهو المقر السيفى أرغون الدوادار الى القلعة وحضرت بين يدى السلطان في ضحوة النهار المذكور فقبلت الارض فأولانى من الصدقة مالا يفعله الوالد مع ولده وعند ذلك أمرنى بالمسير الى حماة وقال يافلان لك مدة غائب فتوجه الى بلدك فقبلت الارض وودعته وركبت

عمره حينئذ نحو تسع سنين ﴿ وفيها ﴾ حج المقر السيفي أرغون الدوادار وكان السلطان قد عفا عن رميثة وأفرج عنه وأرسله صحبة المقر السيفي الى مكة ورسم لرميثة المذكور بنصف متحصل مكة ويكون النصف الآخر لعطيفة أخيه فسافر المقر السيفي وقرر رميثة بمكة حسبما رسم به السلطان ﴿ وفيها ﴾ في يوم الاثنين تاسع ذي الحجة وصل المجد اسماعيل السلامي رسولا من جهة أبي سعيد ملك التتر ومن جهة جوبان وعلى شاه بهدايا جليلة وتحف ومماليك وجواري مما يقارب قيمته خمسين تمانا والتمان هو البدرة وهي عشرة آلاف درهم وسار بذلك الى السلطان (وفيها) في شوال الموافق لتشرين الثاني شرعت في عمارة القبة وعمل المربع والحمام على ساقية نحيلة بظاهر حماة وفرغت العمارة في المحرم من سنة احدى وعشرين وسبعمائة وجاء ذلك من انزه الاماكن (وفيها) أوفي أواخر سنه تسع عشرة وسبعمائة جرى بين الفرنج الجنويين قتال شديد وذلك بين قبيلتين منهم يقال لاحدى القبيلتين اسبينيا وللاخرى دوريا حتى قتل منهم ماينيف عن خمسين ألف نفر وكان احدى القبيلتين أصحاب داخل جنوة والاخرى أصحاب خارج البلد اسبينيا بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من تحتها وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح ياء مثناة من تحتها وفي آخرها ألف مقصورة ودوريار بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وفي آخرها ألف والله أعلم (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وسبعمائة) فيها في مستهل جمادى الاولى توفيت بحماة فاطمه خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة وكانت كثيرة الاحسان (وفيها) عدى مهنا ابن عيسى الفرات وتوجه الى أبي سعيد ملك التتر مستنصرا به على المسلمين وأخذ معه تقدمة برسم التتر سبعمائة بعير وسبعين فرساً وعشرة من الفهود ﴿ وفيها ﴾ حضر رسول تمرتاش بن جوبان المستولى على بلاد الروم بتقدمة الى الابواب الشريفة بديار مصر (وفيها) ورد مرسوم السلطان على مؤلف الاصل يأمره بالحضور ليسير معه في صيوده قال فسرت من حماة على البريد وسبقت تقدمتي وحضرت لدى المواقف الشريفة وهو نازل بالقرب من قليوب فبالغ في ادرار الصدقات علي (وفيها) رحل السلطان من الاهرام وسار في البرية متصيدا حتى وصل الى الحمامات وهي غربي الاسكندريه على مقدار يومين ثم عاد الى القاهرة (وفيها) دخل تمرتاش المذكور بعسكره الى بلاد سيس وأغار وقتل فهرب صاحب سيس الى قلعة اياس التي في البحر وأقام تمرتاش ينهب ويخرب نحو شهر ثم عاد الى بلاد الروم (وفيها) عاد مؤلف الاصل من الخدمة الشريفة الى حماة (وفيها) توجه نائب الشام تنكز الى الحجاز

الشريف وكان قد توجه من الديار المصرية الادر السلطانية الى الحج بتجمل وعظمة لم يعهد مثلها

ذكر وفاة صاحب اليمن

﴿ وفيها ﴾ ليلة الثلاثاء في ذي الحجة توفي بمرض ذات الجنب بتعز الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول فاتفق أرباب الدولة وأقاموا ولده علي ولقب الملك المجاهد سيف الاسلام بن داود المذكور وهو اذ ذاك أول ماقد بلغ ثم خرج عليه عمه الملك المنصور أيوب ولقبه زين الدين أخو داود في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فملك اليمن واعتقل ابن أخيه سيف الاسلام وقعد المنصور في مملكة اليمن دون ثلاثة أشهر ثم هجم من العسكر وأخرجوا سيف الاسلام وأعادوه الى ملك اليمن واعتقلوا عمه المنصور ايوب وبقي أمر مملكة اليمن مضطرباً غير منتظم الاحوال (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة) فيها وصل الامير فضل بن عيسى صحبة الادر السلطانيه من الحجاز داخلا عليهم مستشفعا بهم فرضي عنه السلطان وأقره على امرة العرب موضع محمد بن أبي بكر أمير آل عيسى

ذكر فتوح اياس

(فيها) وصل بعض العساكر المصرية والشاميه والساحليه وسار صحبتهم غالب عسكر حماة الى حلب المحروسة وانضم اليهم عسكرها وتقدم عليهم نائب حلب الطنبغا وأتموا السير حتى نزلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة التي في البحر فاقاموا عليها منجنيقاً عظيما وركب المسلمون اليها طريقين في البحر الى ان قاربوا القلعة فهربت الارمن منها وأخلوها وألقوا في القلعة نارا وملك المسلمون القلعة نهار الاحد الحادي والعشرين من ربيع الآخر وهدموا ماقدروا على هدمه وعاد كل عسكر الى بلده (وفيها) توجه اتامش الناصري رسولا الى أبي سعيد ملك التتر وعاد الى القاهرة بانتظام الامر واتفاق الكلمة (وفيها) وصل مؤلف الاصل تغمده الله برحمته الى خدمة السلطان قال وسرت في خدمة السلطان الى الاهرام وحضر هناك رسول صاحب برشونه وهو أحد ملوك الفرنج بجهات الاندلس فقبل السلطان هديتهم وأنعم عليهم أضعاف ذلك ثم رحل من الاهرام وتوجه الى الصعيد الأعلى وأنا معه الى ان وصلنا دندرة وهي عن قوص مسيرة يوم وعدنا الى القاهرة (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة) فيها عاد الملك المؤيد الى حماة من خدمة السلطان بعد ان غمره بالانعام والعطايا

الحنفي كهلا وولى المنصب بعده الامير صلاح الدين يوسف بن الاسعد ثم عزل بعد مدة (وفيها) في شعبان كان عرس الملك محمد ابن السلطان على زوجته بنت بكتمر الساقى وسوارها ألف ألف دينار مصرية وذبح خيل وجمال وبقر وغنم وأوز ودجاج فوق عشرين ألف رأس وحمل له ألف قنطار شمع وعقد له ثمانية عشر ألف قنطار حلوى سكرية وأنفق على هذا العرس أشياء لا تحصى (ومات) بالقاهرة جمال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني بلغ الخمسين وسمع من ابن النجارى جزأ خرجه له عمه وله نظم جيد ولم يحدث ومات الامير سيف الدين ساطى صهر سلار من العقلاء وفيه ديانة وله حرمة وافرة (ومات) بدمشق أمين الدين سليمان بن داود الطيب تلميذ العماد الدنيسرى كان سعيدا في علاجه وحصل أموالا قلت

مات سليمان الطبيب الذى أعده الناس لسوء المزاج
لم يفده طب ولم يغنه علم ولم ينفعه حسن العلاج

كان مقدما على المداواة ودرس بالدخوارية مدة وعاش نحو سبعين سنة (وفيه) طغى ماء الفرات وارتفع ووصل الى الرحبة وتلفت زروع وانكسر السكر بدير بسير كسرا ذرعه اثنان وسبعون ذراعا وحصل تألم عظيم وعملوا السكر فلما قارب الفراغ انكسر منه جانب وغلت الاسعار بهذا السبب وتعب الناس بصعوبة هذا العمل (وفيها) في رمضان أمر بدمشق الامير على ابن نائب دمشق سيف الدين تنكز ولبس الخلعة عند قبر نور الدين الشهيد المشهور باجابة الدعاء عنده ومشى الامراء في خدمته الى العتبة السلطانية فقبلها (وفيه) نقل من دمشق الى كتابة السر بالابواب السلطانية القاضى شرف الدين أبو بكر ابن محمد بن الشيخ شهاب الدين محمود ونقل الى دمشق القاضى محيي الدين بن فضل الله وولده (ومات) بدمشق فجأة الامير سيف الدين بلبان المنقاوى الزراق الساكن بالسبعة وقد جاوز السبعين من أمراء الاربعين ﴿ ومات ﴾ شيخ القراء ذو الفنون برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عمر الجعبرى الشافعى بالخليل ومولده سنة أربعين وستمائة وتصانيفه كثيرة اشتغل ببغداد وقرأ التعجيز على مصنفه بالموصل وأقام شيخا أربعين سنة ﴿ ومات ﴾ بمصر الامير سيف الدين سلامش الظاهرى أمير خمسين وقد قارب التسعين وكان دينا صالحا ﴿ وفيها ﴾ في شوال توجه السلطان للحج بأهله ومعظم أمرائه في حشمة عظيمة ﴿ ومات ﴾ الامام شهاب الدين أبو أحمد عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكى مدرس المستنصرية ببغداد وله مصنفات في الفقه وكان حسن الاخلاق ولد في سنة أربع وأربعين بباب الازج ﴿ وفيها ﴾ في ذى القعدة مات قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى ابن الاخنائى بالعادلية بدمشق ودفن بسفح قاسيون

كان من شهود الخزانة بمصر ثم جعل حاكما بالاسكندرية ثم بدمشق لابن دقيق العيد ولازم الدمياطى مدة وسمع من أبى بكر بن الانماطى وجماعة ومولده عاشر رجب سنة أربع وستين وكان عفيفا فاضلا عاقلا نزها متدينا محبا للحديث والعلم شرح بعض كتاب البخارى ﴿ وفيه ﴾ وفى النيل قبل النيروز بثلاثة وعشرين يوما وبلغ احد عشر من تسعة عشر وهذا لم يعهد من ستين سنة وغرق أماكن واتلف للناس من القصب مايزيد على ألف ألف دينار وبت على البلاد أربعة أشهر ﴿ وفيها ﴾ في ذى الحجة مات قطب الدين موسى بن أحمد بن حسان ابن شيخ السلامية وكان ناظر الجيش الشامى ومرة المصرى ودفن بتربة أنشأها بجنب جامع الافرم وعاش اثنتين وسبعين ورثاه علاء الدين بن غانم ﴿ ومات ﴾ الشيخ الصالح المقرى شمس الدين محمد بن النجم أبى تغلب بن أحمد بن أبى تغلب الفاروثى ويعرف بالمربى جاوز الثمانين كان معلما في صنعة الاقباع ويقرئ صبيانه ويتلو كثيرا قرأ بالسبع على الكمال المحلى قديما ﴿ ومات ﴾ العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموى الشافعى خطيب جامع حماة كان عالما دينا سمع جزء الانصارى من مؤمل البالسى والمقداد القيسى وحدث واشتغل وأفتى وكان على قدم من العبادة والافادة رحمه الله تعالى ﴿ ومات ﴾ العلامة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن قاضى القضاة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثى بالقاهرة تصدر للاقراء وحج مرات وجاور وسمع من العز الحرانى وجماعة وكان ذا تعبد وتصون وجلالة قرأ النحو على ابن النحاس والاصول على ابن دقيق العيد ومولده سنة احدى وسبعين وولى بعده تدريس المنصورية قاضى القضاة تقى الدين ﴿ ومات ﴾ كبير أمراء سيف الدين بكتمر الناصرى الساقى بعد قضاء حجه وابنه الامير أحمد أيضا وخلف مالا يحصى كثرة ماتا بعيون القصب بطريق مكة ونقلا الى تربتهما بالقرافة ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ﴾ فيها في المحرم أطلق الصاحب شمس الدين غبريال بعد مصادرة كثيرة ﴿ ومات ﴾ بدمشق نقيب الاشراف شرف الدين عدنان الحسينى ولى النقابة على الاشراف بعد موت أبيه واستمر بها تسع عشرة سنة وهم بيت تشيع ﴿ وفيها ﴾ في صفر وصل الخبر بموت محدث بغداد تقى الدين محمود بن على بن محمود بن مقبل الدقوقى كان يحضر مجلسه خلق كثير لفصاحته وحسن آدابه وله نظم وولى مشيخة المستنصرية وحدث عن الشيخ عبد الصمد وجماعة وكان يعظ وحمل نعشه على الرؤس وما خلف درهما ﴿ وفيه ﴾ قدم أمين الملك عبد الله الصاحب على نظر دمشق وهو سبط السديد الشاعر ﴿ ومات ﴾ بدمشق الشيخ كمال الدين عمر بن الياس المراغى كان عالما عابدا سمع منهاج البيضاوى من مصنفه ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الاول ولى القضاء بدمشق العلامة

المؤذنين وانداهم صوتا برهان الدين ابراهيم الوانى سمع من ابن عبد الدائم وجماعة وحدث (ومات) بدمشق المسند المعمر بدر الدين عبد الله بن أبى العيش الشاهد وقد جاوز التسعين سمع من مكى بن قيس بن علان وكان يطلب على السماع وتفرد باشياء (ومات) بدمشق تقى الدين عبد الرحمن بن الفويرة الحنفى (وفيها) في صفر أمر السلطان بتسمير رجل ساحر اسمه ابراهيم (وفيها) في ربيع الاول مات الشيخ أبو بكر ابن غانم بالقدس وكان له مكارم ونظم ومات المحدث أمين الدين محمد بن ابراهيم الوانى روى عن الشرف ابن عساكر وغيره وكان ذا همة ورحلة وحج ومجاورة وكانت جنازته مشهودة وطاب الثناء عليه ومات نظام الدين حسن ابن عم العلامة كمال الدين بن الزملكانى وقد جاوز الخمسين وكان مليح الشكل لطيف الكلام ناظر الديوان البر ومات كبير المجودين الخطيب بهاء الدين محمود بن خطيب بعلبك السلمى بالعقبة وتأسف الناس عليه لدينه وتواضعه وحسن شكله وبراعة خطه وعفته وتصونه كتب عليه خلق وكتب صحيح البخارى بخطه وعمر الامير حمزة بدمشق حماما عند القنوات وأدبر فيه أربعة وعشرون جرنا وأوجر كل يوم باربعين درهما وعظم حمزة وأقبل عليه تنكز بعد الدوادار ثم طغى وتجبر وظلم وعظم الخطب به فضربه تنكز وحبسه ونقل الى القلعة ثم حبس بحبس باب الصغير ثم أطاق أياما وصودر ثم أهلك سرا بالبقاع قيل غرق وقطع لسانه من اصله وهو الذى أتلف أمر الدوادار وابن مقلد بن جملة وله حكايات في ظلمه ورفع فيه يوم أمسك تسعمائة قصة وبولغ في ضربه ورمى بالبندق في جسده وما رق عليه أحد (قلت)

لو تفطن العاتى الظلوم لحاله لبكى عليها فهى بئس الحال
يكفيه شؤم وفاته وقبيح ما يثنى عليه من بعد ذا أهوال

(وفيها) فى ربيع الآخر توفي الفقير الصالح الملازم لمجالس الحديث أبو بكر بن هارون الشيبانى الجزرى روى عن ابن النجارى (وقدم) على نيابة طرابلس سيف الدين طينال الناصرى عوضا عن أقوش الكركى وحبس الكركى بقلعة دمشق ثم نقل الى الاسكندرية (وفيها) في جمادى الاولى مات علاء الدين على ابن السالوس التنوخى وقد باشر صحابة الديوان بدمشق ثم ترك واحتيط بمصر على دار الامير بكتمر الحاجب الحسامى ونبشت فأخذ منها شئ عظيم (وفيها) في جمادى الآخرة مات مشد دار الطراز سيف الدين على بن عمر بن قزل سبط الملك الحافظ ووقف على كرسى وسبع بالجامع * ومات ببعلبك الفقيه أبو طاهر سمع من التاج عبد الخالق وعدة وكتب وحدث وعمل ستر ديباج منقوش على المصحف العثمانى بدمشق بأربعة آلاف درهم وخمسمائة * قلت

ستروا

ستروا المكرم بالحرير وستره بالدر والياقوت غير كثير
ستروه وهو من الغواية سترنا عجبى لهذا الساتر المستور

ومات فجأة التاجر علاء الدين على السنجارى بالقاهرة وهو الذى أنشأ دار القرآن بباب الناطفانيين * قلت

مامات من هذى صفاته فوفاة ذا عندى حياته
ان مات هذا صورة أحيته معنى سالفاته

ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسين وهو آخر أصحاب الحافظ المندرى سمع من جماعة وكان عالما حسن الشكل ومات الفاضل الاديب زكى الدين المأمون الحميرى المصرى المالكى بمصر ولى نظر الكرك والشوبك وعمر نحو تسعين سنة (وفيها) في رجب مات الفقيه محمد بن محي الدين محمد بن القاضى شمس الدين ابن الزكى العثمانى شابا درس مدة بدمشق * ومات الحافظ قطب الدين الكلبى بالحسينية حفظ الالفية والشاطبية وسمع من القاضى شمس الدين بن العماد وغيره وحج مرات وصنف وكان كيسا حسن الاخلاق مطرحا للتكلف طاهر اللسان مضبوط الاوقات شرح معظم البخارى وعمل تاريخا لمصر لم يتمه ودرس الحديث بجامع الحاكم وخلف تسعة أولاد ودفن عند خاله الشيخ نصر المنبجى (وفيه) أخرج السلطان من حبس الاسكندرية ثلاثة عشر نفرا منهم تمر الساقى الذى ناب بطرابلس وبيبرس الحاجب وخلع على الجميع وفيه طلب قاضى الاسكندرية فخر الدين بن سكين وعزل بسبب فرنجى (وفيها) في شعبان مات المفتى بدر الدين محمد بن الفويرة الحنفى سمع وحدث (ومات) القاضى زين الدين عبد الكافي بن على بن تمام روى عن الانماطى وأخذ عنه ابن رافع وغيره (ومات) عز الدين يوسف الحنفى بمصر حدث عن ابراهيم وناب في الحكم (وفيها) في رمضان مات صاحبنا شمس الدين محمد بن يوسف التدمرى خطيب حمص كان يفتى ويدرس وتولى قضاء الاسكندرية العماد محمد بن اسحق الصوفي (وفيها) في شوال قدم عسكر حلب والنائب من غزاة بلد سيس وقد خربوا في بلد اذنة وطرسوس وأحرقوا الزروع واستاقوا المواشى وأتوا بمائتين وأربعين أسيرا وما عدم من المسلمين سوى شخص واحد غرق في النهر وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم أهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه فقل من نجا فعلوا ذلك بنحو ألفى رجل من التجار البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فلله الامر واحترق في حماة مائتان وخمسون حانوتا وذهبت الاموال واهتم الملك بعمارة ذلك وكان الحريق عند الفجر الى طلوع الشمس وذكر أن شخصا رأى ملائكة يسوقون النار فجعل ينادى

مات غريبا خائفا نازحا ... عن أنس أهليه وأوطانه
وبعض هـذى فيه مايرتجى ... له به رحمـة ديانه
فقل لشانيـه ترفق ففى ... شانك مايغنيك عن شانه

ورأيت مكتوبا بخطه هـذه الكلمات * وكنت سمعتها من لفظه قبل ذلك وهى الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع ومحو الاسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل فمن جعـل السبب موجبا فقد أخطأ ومن محاه ولم يجعل له أثراً فقد أخطأ ومن جعل السبب سببا والمسبب هو الفاعـل فقد أصاب ومولده رحمه الله بمصر في العشر الاواخر من شـهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستمائة * (وفيها) * في العشر الاوسط من ربيع الآخر توفي السـيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة الحسينى نقيب الاشراف وكيل بيت المـال بحلب * ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بعزل ملك الامراء عـلاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شحناء في الباطن (قلت)

قد كان كل منهما ... يرجو شفا أضغانه
فصار كل واحد ... مشـتغلا بشـانه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظما عند الناس شـهما ذكيا وجده الشريف أبو ابراهيم هو ممدوح أبي العلاء المعرى كتب الى أبي العلاء القصيدة التى أولها

غيرمستحسن وصال الغوانى ... بعد ستين حجة وثمان

(ومنها) كل عـلم مفرق فى البرايا ... جمعتـه معرة النعمان

فاجابه أبو العلاء بالقصيدة التى أولها

عللانى فان بيض الامانى ... فنيت والظلام ليس بفانى

(ومنها) ياأبا ابراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقرآن

(وفيها) في العشر الاول من جمـادى الاولى قدم الامير سيف الدين طرغاى الى حلب نائبـاً بها وسر الناس بقدومه وأظهروا الزينة وصحبته القاضى شهاب الدين أحمد بن القصاب كاتب السر مكان تاج الدين بن الزين خضرالمتوجه الى مصرصحبة الامير علاء الدين الطنبغا وكان رنك المنفصل جوكانين ورنك المتصل خونجا فقال بعض الناس في ذلك

كم أتى الدهر بطرد ... وبعكس وبـدع
راح عنا رنك ضرب ... وأتانا رنك بلـع

(وفيها) في السابع والعشرين من جمـادى الاولى ورد الخبر الى حلب بوفاة قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى قاضى دمشق بها كان رحمه الله اماما

في

في علم المعانى والبيان له فيه مصنفات جامعـة متقنة وله يد في الاصولين ويحـل الحاوى وكان كبير القدر واسع الصدر ولى أولا خطابة دمشق ثم قضاءها ثم قضاء مصر ثم قضاء دمشق حتى مات بها سامحه الله تعالى وبلغنى ان بينه وبين الامام الرافعى قرابة وقرب العهد بسيرته يغنى عن الاطالة وبنى على النيل دارا قيل بمـا يزيد على ألف ألف درهم فاخذت منه ثم أخرج الى دمشق قاضيا كما تقدم (وفيها) في جمادى الآخرة ورد الخـبر الى حلب بوفاة الشيخ بدر الدين أبي اليسر محمد ابن القاضى عز الدين محمد ابن الصائغ الدمشقى بها كان نفعنا الله به عالمـا فاضلا متقللا من الدنيا زاهـدا جاءته الخلعة والتقليد بقضاء دمشق فامتنع أتم امتناع واستعفى بصدق الى أن أعفى فمن يومئذ حسن ظن الناس به وفطن أهل القلم وأهل السيف لجلالة قدره قلت

ماقضاء الشام الاشرف ... ولمن يتركه أعلى شرف
ياأبا اليسر لقد أذكرنا ... فعلك المشكور أفعال السلف

(وفيه) ورد الخبر ان الامير علاء الدين الطنبغا وصل من مصر الى غزة نائباً بها فسبحان من يرفع ويضع ألاله الخلق والامر جرت بينه وبين نائب الشام الامير سيف الدين تنكز شحناء اقتضت نقلته من حلب وتوليته بعدها غزة فان نائب الشام متمكن عند السلطان رفيع المنزلة (وفيها) في أوائل رجب توفي بمعرة النعمان ابن شـيخنا العابد ابراهيم بن عيسى بن عبد السلام كان من عباد الامة ويعرف الشاطبية والقراآت وله يد طولى في التفسير وزهادته مشهورة كان أولا يحترف بالنساجة ثم تركها واقبل على العبادة والصيام والقيام ونسخ كتب الرقائق وغيرها فاكثر ووقف كتبه على زوايا وأماكن وهو من أصحاب الشيخ القدوة مهنا الفوعى نفعنا الله ببركتهما وكان داعيا الى السنة بتلك البلاد وتوفي بعده بأيام الشرف حسين بن داود بن يعقوب الفوعى بالفوعة وكان داعيا الى التشيع بتلك البلاد (قلت)

وقام لنصر مذهبه عظيما ... وحدد ظفره واطال نابه
تبارك من أراح الدين منه ... وخلص منه اعراض الصحابه

(وفيه) ورد الخبر بوفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبـد الله المعروف بابن المهاجر الحنفى بحماة نائباً عن قاضيها جمال الدين عبد الله بن العديم حسبما تقدم ذكره كان فاضلا في النحو والعروض وله نظم حسن ولهج في آخر وقته بمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم (وفيها) ورد الخبر الى حلب ان الشيخ تقى الدين على بن السبكى تولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق المحروسة بعد ان حدث الخطيب بدر الدين محمد ابن القاضى جلال الدين نفسه بذلك وجزم به وقبل الهناء فقال فيه بعض أهل دمشق

بقايا اجواد بنى شيركوه وكان تنكز على شممه بدمشق ينزل الى ضيافته كل سنة فينفق على ضيافة تنكز نحو ستين ألف درهم ﴿ وفيها توفي السلطان الملك الناصر ﴾ محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله تعالى وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفاته ألم عظيم فانه أبطل مكوسا وكان يستحي أن يخيب قاصديه وأيامه أيام أمن وسكينة وبنى جوامع وغيرها لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته وعهد لولده ﴿ السلطان الملك المنصور ﴾ أبى بكر فجلس على الكرسى قبل موت والده وضربت له البشائر في البلاد ﴿ ولى من تهنئة وتعزية في ذلك ﴾

ماأساء الدهر حتى أحسنا ... رق فاستدرك حزنا بهنا
بينما البأساء عمت من هنا ... واذا النعماء عمت من هنا
فيحق أن يسمى محزنا ... ويصدق حين يدعى محسنا
فلئن أوحشنا بدر السما ... فلقد آنسنا شمس السنا
علما أبدله من علم ... ظاهر الاعراب مرفوع البنا
فجزى الله بخير من نأى ... ووقى من كل ضير من دنا

أجل والله لقد أساء الدهر وأحسن وأهزل وأسمن وأحزن وسروعق وبر اذ أصبح الملك وباعه بفقد الناصر قاصر قدضعفت أركانه ومات سلطانه فماله من قوة ولا ناصر فامسى بحمدالله وقد ملأ القصور بالمنصور سرورا وأطاعه الدهر وأهله فلا يسرف في القتل انه كان منصورا (وفيها) ورد الى حلب زائرا صاحبنا (التاج اليمانى) عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله النحوى اللغوى الكاتب العروضى الشاعر المنشى وجرت معه بحوث (منها مسألة نفيسة) وهى مالوقال له عندى اثنا عشر درهما وسدسا كم يلزمه فاستبهمت هذه المسألة على الجماعة فيسر الله لى حلها فقلت يلزمه سبعة دراهم اذ المعنى اثنا عشر دراهم وأسداسا فيكون النصف دراهم وهى ستة دراهم والنصف أسداسا وهى ستة أسداس بدرهم فهذه سبعة ولو قال اثنا عشر درهما وربعا لزمه سبعة ونصف ولو قال اثنا عشر درهما وثلثا لزمه ثمانية أو ونصفا فتسعة وهكذا ومما أنشدنى لنفسه قوله

تجنب ان تذم بك الليالى ... وحاول أن يذم لك الزمان
ولا تحفل اذا كملت ذاتا ... أصبت العزأم حصل الهوان

وقوله

بخلت لواحظ من أتانا مقبلا ... بسلامها ورموزهن سلام

فعذرت

فعذرت نرجس مقلتيه لانها ... تخشى العذار فانه نمام

(وفيها) نقل طشتمر حمص أخضر من نيابة صفد الى نيابة حلب (وفيها) في ذى الحجة وصل الى حلب الفيل والزرافة جهزهما الملك الناصر قبل وفاته لصاحب ماردين (وفيها) فتح الامير علاء الدين ايدغدى الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها أرمن وتتر يقطعون الطرقات (وفيها) صلى بحلب صلاة الغائب على الشيخ عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين عبد الرحمن بن العجمى الحلبى توفي بمصر وكان عنده تزهد وكتب المنسوب (وفيها) توفي بباياس نائبها الامير علاء الدين مغلطاى الغزى تقدمت له نكاية في الارمن ونقل الى تربته بحلب ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ﴾ في المحرم منها بايع السلطان الملك المنصور أبو بكر الملك الناصر الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان كان قدعهد اليه والده بالخلافة فلم يبايع في حياة الملك الناصر فلما ولى المنصور بايعه وجلس معه على كرسى الملك وبايعه القضاة وغيرهم (وفيها) في صفر توفي شيخ الاسلام الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن المزى الدمشقى بها منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال مشاركا في علوم وتولى مشيخة دار الحديث بعده قاضى القضاة تقى الدين السبكى (وفيها) في صفر (خلع السلطان الملك المنصور) أبو بكر ابن الملك احتج عليه قوصون الناصرى ولى نعمة أبيه بحجج ونسب اليه أمورا وأخرجه الى قوص الى الدار التى أخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفى اليها جزاء وفاقا ثم أمر قوصون والى قوص فقتله بها وأقام في الملك أخاه الملك الاشرف كجك وهو ابن ثمان سنين (فقلت في ذلك)

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة ... أن يبلغ السؤل والسلطان مابلغا

﴿ وفيها ﴾ في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الامير قطلبغا الفخرى الناصرى عسكرا لحصار السلطان أحمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاى نائب طرابلس باشارة قوصون الى قتال طشتمر بحلب لكون طشتمر أنكر على قوصون ما اعتمده في حق أخيه المنصور أبى بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا ثم ان الفخرى عاد عن الكرك الى دمشق بعد محاصرة أحمد بها أياما وبعد ان استمال الناصر أحمد الفخرى فبايعه ولما وصل الفخرى الى دمشق بايع للناصر من بقى من عسكر دمشق المتأخرين عن المضى الى حلب صحبة الطنبغا هذا كله والطنبغا ومن معه بالمملكة الحلبية ثم سار الفخرى الى ثنية العقاب وأخذ من مخزن الايتام بدمشق أربعمائة ألف درهم وكان الطنبغا قد استدان منه مائتى

وهو بحلب ان أبا العباس ثعلبا أجاز الضم في المنادى المضاف والشبيه به الصالحين للالف واللام فاستغرب ذلك وأنكره جدا ثم طالع كتبه فرآه كما نقلت فاستحى من انكار ذلك مع دعواه كثرة الاطلاع فقلت

من بعد يومك هذا | لاتنتقل انتقل ثعلب
لو انك ابن خروف | ما كنت عندي كثعلب

(وفيها) في ربيع الاول وصل يلبغا اليحياوي الى حلب نائباً وهو شاب حسن كان الملك الناصر يميل اليه وأعطاه مرة أربعمائة ألف درهم ومرة مائة فرس مسومة وغالب مال تنكز وتولى نيابة حماه مكانه سيف الدين طقزتمر الاحمدى وعنده عقل وعدل وعند يلبغا عفاف عن مال الرعية وسطوة وحسن أخلاق في الخلوة * وفيه سافر قاضى القضاة بحلب بدر الدين ابراهيم بن الخشاب الى مصر ذاهبا بنفسه عن مساواة القرع وذلك حين بلغه تطلب القرع بحلب ولابن الخشاب يد طولى في الاحكام وفن القضاء متوسط الفقه * وفيه توفي سليمان بن مهنا أمير العرب وفرح أهل اقطاعه بوفاته والقاضى شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود الحلبي كاتب السر وكيل بيت المال بدمشق توفي بالقدس الشريف كتب السر بالقاهرة للملك الناصر محمد أولا وفيه وصل عسكران من حماه وطرابلس للدخول الى بلاد سيس لتمرد صاحبها كنداصطبل الفرنجي ولمنعه الحمل ومقدم عسكر طرابلس الامير صلاح الدين يوسف الدواتدار أنشدني بحلب في سفرته هذين البيتين للامام الشافعي قيل انهما ينفعان لحفظ البصر

يا ناظرى بيعقوب أعيذكما | مما استعاذ به اذ خانه البصر
بقميص يوسف ألقاه على بصرى | بشير يوسف فاذهب أيها الضرر

فانشدت بيتين لى ينفعان ان شاء الله تعالى لحفظ النفس والدين والاهل والمال وهما

أمررت كفا سبحت فيها الحصى | وروت الركب بماء طاهر
* على معاشى ومعادى وعلى | ذريتى وباطنى وظاهرى *

(وفيها) في جمادى الاولى عاد العسكر المجهز الى بلد سيس وما ظفروا بطائل وكانوا قد أشرفوا على أخذ اذنه وفيها خلق عظيم واموال عظيمة وجفال من الارمن فتبرطل اقسنقر مقدم عسكر حلب من الارمن وثبط الجيش عن فتحها واحتج بأن السلطان مارسم بأخذها وتوفي اقسنقر المذكور بعد مدة يسيرة بحلب مذموما وأبى الله أن يتوفاه ببلاد سيس مغازيا (وفيها) نقلت جثة تنكز من ديار مصر الى تربته بدمشق وتلقاها الناس ليلا بالشمع والمصاحف والبكاء ورقوا له ووقع بدمشق عقيب ذلك مطر فعدوا

ذلك من بركة القدوم بجثته (وفيها) في جمادى الاولى توفي بدمشق الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الهادى كان بحرا زاخرا في العلم * وفيه قتل الزنديق ابراهيم بن يوسف المقصاتى بدمشق لسبه الصحابة وقذفه عائشة رضى الله عنهم ووقوعه في حق جبريل عليه السلام * وفيها في العشرين من شهر رجب توفي بجبرين الشيخ محمد ابن الشيخ نبهان كان له القبول التام عند الخاص والعام وناهيك ان طشتمر حمص أحضر على قوة نفسه وشممه وقف على زاويته بجبرين حصة من قرية حريثان لها مغل جيد وبالجملة فكانما ماتت بموته مكارم الاخلاق وكاد الشام يخلو من المشهورين على الاطلاق * قلت

وكنت اذا قابلت جبرين زائرا | يكون لقلبي بالمقابلة الجبر
كان بنى نبهان يوم وفاته | نجوم سماء خر من بينها البدر

زرته قبل وفاته رحمه الله فحكى لى قال حضرت عند الشيخ عبس السرجاوى وأنا شاب وهو لايعرفنى فحين رآنى دمعت عينه وقال مرحبا بشعار نبهان وأنشد

وما أنت الا من سليمى لاننى | أرى شبها منها عليك يلوح

وحكى لى مرة أخرى قال حضرت بالفوعة غسل الشيخ ابراهيم بن الشيخ مهنا لما مات وقرأنا عنده سورة البقرة وهو يغسل فلما وصلنا الى قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا رفعنا أيدينا للدعاء فرفع الشيخ ابراهيم يديه معنا للدعاء وهو ميت على المغتسل ومحاسن الشيخ محمد وتلقيه للناس وتواضعه ومناقبه ومكاشفاته كثيرة مشهورة رحمه الله ورحمنا به آمين * وفيها في منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها أماكن ولا سيما منبج فانها أقات ساكنها وأزالت محاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعملت أنا في ذلك رسالة أولها نعوذ بالله من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها ونستعينه في طيب الاقامة بها وحسن الرحلة عنها نعم نستعيذ بالله ونستعين من سم هذه السنة فهى أم أربعة وأربعين وختمتها بقولى

منبج أهلها حكوا دود قز | عندهم تجعل البيوت قبورا
رب نعمهم فقد ألفوا من | شجر التوب جنة وحريرا

والله أعلم وصارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض أخرى * وفي الحديث ان كثرة الزلازل من اشراط الساعة * وفيه توفي طرغاى نائب طرابلس * وفيه بلغنا ان ارتنا صاحب الروم كسر سليمان خان ملك التتر قصد بالتتار الى الروم فانكسر كسرة شنيعة * ثم بلغنا ان الشيخ حسن بن تمرتاش بن جوبان قتل وهذا من سعادة الاسلام فان المذكور كان فاسد النية لكون الملك الناصر محمد قتل أباه وأخذ ماله كما تقدم



تأليف

أديب المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد المَقَّرِيّ التِّلمسانيّ
المتوفى فى عام ١٠٤١ من الهجرة

حققه ، وضبط غرائبه ، وعلق حواشيه
محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

خبره إلى والى الأندلس يوسفَ بن عبد الرحمن الفهرى ، وكان غازيا بجِلِّيقية ، فانفضّ عسكره ، ورجع إلى قُرْطُبة ، وأشار عليه وزيره الصُّمَيل بن حاتم بالتلطف له ، والمكر به ، لكونه صغير السن ، حديثَ عهدٍ بنعمة ، فلم يتم ما أراده ، وارتحل عبدُ الرحمن من المنكَّبِ ، فاحتلّ بمالَقَة فبايعه جندها ، ثم برُنْدَة ، ثم بشَرِيش كذلك ، ثم بإشبيلِيَةَ ، فتوافت إليه جنود الأمصار ، وتسايلت المضرية إليه ، حتى إذا لم يَبْقَ مع يوسف بن عبد الرحمن غيرُ الفهرية والقَيْسية لمكان الصُّمَيل منه زَحَف حينئذ عبدُ الرحمن الداخل ، وناجزهم الحرب بظاهر قُرْطبة ، فانكشف يوسف ، ولجأ إلى غَرْناطة فتحصّن بها ، واتبعه الأمير عبدُ الرحمن فنازله ، ثم رغب إليه يوسف فى الصلح ، فعقد له على أن يسكن قُرْطُبة ، ثم أقفله معه ، ثم نقض يوسف عهده ، وخرج سنة إحدى وأربعين ومائة ، ولحق بُطُلَيْطلة ، واجتمع إليه زُهَاء عشرين ألفا من البربر ، وقدَّم الأميرُ عبدُ الرحمن لقائه عبدَ الملك ابن عمر المروانى ، وكان وَفَدَ عليه من المشرق ، وكان أبوه عمر بن مَرْوان بن الحكم فى كَفَالة أخيه عبدِ العزيز بن مروان بمصر ، فلما دخلت المسوّدة أرضَ مصر خرج عبد الملك يؤمُّ الأندلس فى عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة ، حتى نزل على عبد الرحمن سنة أربعين ، فعقد له على إشبيلِيَةَ ، ولابنه عمرَ بن عبد الملك على مَوْرور ، وسار يوسف إليهما ، وخرجا إليه ولقياه ، وتناجز الفريقان ، فكانت الدائرة على يوسف ، وأبعد المفرّ ، واغتاله بعض أصحابه بناحية طُلَيْطلة ، واحتز رأسه ، وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن ، فاستقام أمره ، واستقر بقُرْطُبة ، وثبت قدَمُه فى [illegible] ، وبنى المسجد الجامع والقَصْر بقرطبة ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه ، وبنى مساجد ، ووفد عليه جماعة من أهل بيته من المشرق ، وكان يدعو للمنصور ، ثم قطع دَعْوته ، ومَهَّدَ الدولة بالأندلس ، وأثَّل بها الملك العظيم لبنى مروان والسلطان العزيز ، وجَدّد ماطمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها ، واستلحم الثُّوّار عليه على كثرتهم فى النَّوَاحى ،

وقطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس ، وسدَّ المذاهب منهم دونها ، وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة ، وكان يُعْرف بعبد الرحمن الداخل ، لأنه أول داخل من ملوك بنى مروان إلى الأندلس ، وكان أبو جعفر المنصور يُسَميه «صَقْرَ قريش» لما رأى أنه فعل بالأندلس ما فعل ، وما ركب إليها من الأخطار ، وأنه نَهَد إليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا أنصار ، فغلب أهلَهَا على أمرهم ، وتناول الملك من أيديهم بقوّة شَكيمة ، ومَضَاء عَزْم حتى انقاد له الأمر[1] ، وجرى على اختياره ، وأورثه عقبه ، وكان يسمى بالأمير ، وعليه جرى بَنُوه من بعده ، فلم يُدْع أحد منهم بأمير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الإسلام ومُنْتَدى العرب ، حتى كان من عقبه عبدُ الرحمن الناصر ، وهو ثامن بنى أمية بالأندلس ، فتسمى بأمير المؤمنين على ماسنذكره ، لما رأى من ضعف خلفاء بنى العباس بعد الثلثمائة ، وغلبة الأعاجم عليهم ، وكونهم لم يتركوا لهم غير الأسم ، وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحداً بعد واحد .

أبناء عبد الرحمن الداخل

قال ابن حيان : وكان لبنى عبد الرحمن الداخل بالعُدْوَة الأندلسية مُلْك ضخم ودولة متسعة اتصلت إلى مابعد المائة الرابعة ، وعند ماشُغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوى أمرُ الجَلاَلقة ، واستفحل سلطانهم ، وعمد فرويلة بن أدفونش منكبهم إلى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها ، وملكها من أيديهم ، فملك مدينة لُك و برتقال وسَمُّورة وقَشْتَالة وشَقُوبِيَة ، وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور ابن أبى عامر آخرَ الدولة ، ثم استعادوها بعده فيما استعادوه من بلاد الأندلس ، واستولَوْا على جميعها حسبما يذكر ، ولله سبحانه الأمر ، اهـ .

---

(١) يقال « فلان ذو شكيمة » إذا كان صارما ذا حدة عسير الانقياد ، ويقال «فلان قوى الشكيمة» إذا كان شديد الأنفة قوى النفس أبيا للضيم . والمضاء : النفاذ ، وأصله مضاء السيف ونحوه وهو نفاذه فى ضريبته ، والعزم : الهم بالشىء والقصد إليه

نَصَحْت لـكِنّ لى قَلْباً يُنازِعُنى ... فلَوْ ترحّلْتُ عنـه حلّهُ دونى

لألْزَمَنْ وطَنِى طورًا تُطَاوِعُـنِى ... قَوْدُ الأمانى وَطوْرًا فيه تَعْصِينِى

مُذللا بَيْنَ عرفانى وأضربُ عن ... سَيْرٍ لأرضٍ بها مَنْ لَيْسَ يَدْرِينى

هـذَا يقول غريبٌ ساقه طَمَعٌ ... وذاكَ حِينَ أريهِ البرَّ يجفُونِى[1]

إليك عَـنِّىَ آمالى فبُعْدُكِ يَهْـدينى ... وقُرْبُك يُطْغينى ويُغْوِينى

ياَلحْظَ كلِّ غـزالٍ لَسْت أملكُه ... يَدْنو ومالىَ حَالٌ منـه تُدْنينى

ويا مُدَامَــةَ دَيْرٍ لا أُلِمُّ بِهِ ... لولا كُمَا كان ما أُعْطِيتُ يَكْفِينِى

لأصبرنَّ على ما كانَ من كَدَرٍ ... لمن عَطَايَاه بَيْنَ الـكافِ والنُّونِ

وتسمى هذه القصيدة عنـد أهل الأندلس « كنز الأدب » وقد أشرنا فى الباب الأول إلى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى إلى الاسلام ! فأغنى عن إعادته ، وإن كان ذكره هنا أنسب ، لأن ماتقدم إنما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الأندلس ، وهذا الباب لها بالاستقلال .

وأنشد أبو العاصى غالب بن أمية المورورى[2] لما جلس على نهر قرطبة بإزاء الرَّبض ملتفتا إلى القصر بديهة :

يا قَصْرُ كم حَوَيْتَ من نِعَمٍ ... عادَتْ لَقًى بعَوَارِضِ السككِ

ياقَصْرُ كم حَوَيْتَ من مَلِكٍ ... دَارَتْ عليـه دوائر الفَلَكِ

ما شئت فابْقَ فكلٌّ متخـذ ... يَوْمًا يَعُودُ بحالِ مُتَّرَكِ .

وقال القاضى أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة :

أقول وقدجَـدّ ارتحالى وغَرّدَتْ ... حُدَاتى وزُمّتْ للفراق رَكائبى[3]

---

(١) فى ب « وذاك حين أريد البر » (٢) فى ب « المروزى »

(٣) غردت : غنت ، والحداة — بضم الحاء — جمع حاد ، وهو من يحدو الإبل ويسوقها ، والركائب : جمع ركوبة ، وزمها : وضع الزمام الذى تقاد به ، وأراد أعدت للرحيل .

وقد غَمَضَتْ من كثرة الدَّمْعِ مُقْلتى ... وصارت هَوَاءً من فؤادى تَرَائبى

ولم يَبْقَ إلا وَقْفَـة يستحثها ... وَدَاعِىَ للأحباب لا لِلْحَبَائِبِ

رَعَى الله جيراناً بقرطبة العُـلا ... وجاد رُباها بالعهاد السواكِبِ

وحَيّـا زماناً بينهم قد أَلِفْتُه ... طليقَ المحيّا مُسْتَلَانَ الجوانب

أإخواننا بالله فيهـا تذكـروا ... مَوَدّة جارٍ أو مَوَدّةَ صاحبِ[1]

غَدَوْت بهم من [illegible] ... كأنى فى أهـلى وبين أقاربى[2]

وأما مسجد قرطبة فشهرته تغنى عن كثرة الـكلام فيه ، ولـكن نذكر من[3] أوصافه وننشر من أحواله ما لابد منه ، فنقول :

وصف مسجد قرطبة وابتداء بنائه

قال بعض المؤرخين : ليس فى بلاد الإسلام أعظم منه ، ولا أعجب بناء وأتقن صنعة ، وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ، ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد فى أعلاه وأسفله ، انتهى .

وكان الذى ابتدأ بناء هذا المسجد[4] العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ، ولم يكمل فى زمانه ، وكمله ابنه هشام ، ثم توالى الخلفاء من بنى أمية على الزيادة فيه ، حتى صار المثل مضروبا به ، والذى ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على مَنْ قبله إلى أن كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء .

وقال بعض المؤرخين : إن عبدالرحمن الداخل لما استقر أمره [وعظم] بنى القصر بقرطبة ، وبنى المسجد الجامع ، وأنفق عليـه ثمانين ألف دينار ، وبنى بقرطبة الرُّصافة تشبيهاً برُصَافة جده هشام بدمشق .

وقال بعض : إنه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار ، واشترى موضعه إذ كان كنيسة بمائة ألف دينار ، فالله تعالى أعلم .

---

(١) فى أصل ا « معاهد جار أو مودة صاحب »

(٢) فى ب « واحتفالهم » وما أثبتناه عن ا هو الصواب .

(٣) فى ا « ولنشر من أحواله إلى ما لابد منه » ويسقط منها قوله « ولكن نذكر من أوصافه » . (٤) فى ا « بنيان هذا المسجد »

ولقدْ تعارَضُ أوجُهٌ لأوامرٍ ... فيقودُها التوفيقُ نحو صَوابِها (١)

والشيخُ إن يَحْوِ النهى بتجاربٍ ... فشبابُ رأي القوم عند شبابِها (٢)

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى :

بَنَيْتَ لله خَيْرَ بيتٍ ... يَخْرَسُ عن وَصْفِه الأنامُ

حجّ إليه بكل أوْبٍ ... كأنه المسجدُ الحرامُ

كأن مِحْرَابه إذا ما ... حُفّ به الركنُ والمقامُ

وقال آخر :

بنى مسجداً لله لم يك مثلُه ... ولا مثله لله فى الأرض مسجدُ

سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى ... بناه نبىّ المسلمين محمّدُ (٣)

له عُمُد حُمْر وخضر كأنما ... تلوحُ يواقيت بها وزبرجدُ

ألا يا أمينَ الله ، لا زلتَ سالماً ! ... ولا زلت فى كل الأمور تسدّدُ !

فياليتنا نفديك من كل حادث ... وأنك للدنيا وللدين تخلدُ

وكان كثير الميل للنساء ، وولع بجاريته طَرُوبَ ، وكلف بها كلفاً شديداً ، وهى التى بنى عليها الباب ببدر المال حين تجنّتْ عليه ، وأعطاها حلياً قيمته مائة ألف دينار ، فقيل له : إن مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك ، فقال : إن لابسه أنفس منه خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهراً ، وأشرف عنصراً ،

وفيها يقول :

إذا ما بدَتْ لى شمسُ النهار ... طالعةً ذكّرتْنى طَرُوبا

أنا ابن الميامين من غالبٍ ... أشُبُّ حُروباً وأطْفى حُروبا

(١) تعارض : أصله تتعارض ، فحذف إحدى التاءين .

(٢) شباب رأى القوم : شبوبه وقوته ، وأصله شباب الفرس أى نشاطه

(٣) أراد بالمسجد الذى بناه الرحمن الكعبة بيت الله الحرام ، وبالآخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وخرج غازياً إلى جِلّيقية فطالت غيبته فكتب إليها :

عداني عنكِ مزارُ العِدا ... وقَوْدِي إليهم سهاماً مُصيبا

فكم قد تخطّيتُ من سبسبٍ ... ولاقيتُ بعد دروبٍ دُروبا (١)

ألاقى بوجهى سُمومَ الهجيـ ... ـر إذ كاد منه الحصى أن يذوبا

تداركَ بى الله دين الهدى ... فأحييتُه وأمتُّ الصليبا

وسرتُ إلى الشرك فى جحفلٍ ... ملأت الحزونَ به والسهوبا (٢)

وساق بعض المؤرخين قضية طَروب هذه بقوله : إن السلطان المذكور أغضبها فهجرته ، وصدت عنه ، وأبت أن تأتيه ، ولزمت مقصورتها ، فاشتد قلقه لهجرها ، وضاق ذرعه من شوقها ، وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك ، فأرسل من خصيانه من يكرهها على الوصول إليه ، فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم ، وآلت أن لا تخرج إليهم طائعة ، ولو انتهى الأمر إلى القتل ، فانصرفوا إليه وأعلموه بقولها ، واستأذنوه فى كسر الباب عليها ، فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ، ففعلوا ، وبنوا عليها بالبدر ، وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على أن لها جميع ما سد به الباب ، فأجابت وفتحت الباب ، فانهالت البدر فى بيتها ، فأكبت على رجله تقبلها ، وحازت المال ، وكانت تبرم الأمور مع مضر الخصى فلا يرد شيئا مما تبرمه .

وأحب أخرى اسمها مدثرة فأعتقها وتزوجها ، وأخرى كذلك اسمها الشفاء ،
وأما جاريته قلم فكانت أديبة ، حسنة الخط ، راوية للشعر ، حافظة للأخبار ،

(١) السبسب : الصحراء ، والدروب : جمع درب ، وهو الطريق إلى بلاد الروم

(٢) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض ، والسهوب : جمع سهب ، وهو الفلاة ، وأراد به ما يقابل الحزن ، وهو ما لان وتسهل من الأرض .

إياهم على عَوْرات المسلمين ، ما ملخصه : وغزا عبدُ الرحمن صاحبُ الأندلس سَمُّورة دارَ الجلالقة [1] ، وكان عبدُ الرحمن فى مائة ألف أو يزيدون ، وكانت الوقعة بينه و بين رُذْمير ملكِ الجلالقة فى شوّال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة أيام ، فكانت للمسلمين عليهم ، ثم ثابوا [2] بعد أن حوصروا وألجئوا إلى المدينة ، فقتلوا من المسلمين بعد عُبورهم الخندقَ خمسين ألفاً ، وقيل : إن الذى منع رُذْمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن إسحاق ، وخوّفه الكمين ، ورغّبه فيما كان فى عسكر المسلمين من الأموال والعُدة والخزائن ، ولولا ذلك لأتى على جميع المسلمين ، ثم إن أمية استأمن بعد ذلك إلى عبد الرحمن وتخلص من رُذْمير ، وقبله عبد الرحمن أحسنَ قَبول .

وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عِدّة من قوّاده إلى الجلالقة ، فكانت لهم بهم [3] عدّة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعفُ ما قتل من المسلمين فى الوقعة الأولى ، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية ، وردمير ملك الجلالقة إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ [4] انتهى .

وقال فى موضع آخر ما ملخصه : إن عبد الرحمن غزا فى أزيد من مائة ألف [فارس] من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالقة ، وهى مدينة سمورة ، وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة ، و بين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة ، وافتتح منها سورين ، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه الإحصاء وممن عُرف أربعين ألفاً ، وقيل : خمسين ألفاً ، وكانت

(١) فى ب ، ز « مسمورة» وأصلحناه عن مروج الذهب (٢ / ٣٧ بتحقيقنا طبعة ثانية) .

(٢) ثابوا : رجعوا وعادوا ، وفي المروج « ثم أنابوا » ومعناه رجعوا أيضا .

(٣) فى المروج « فكانت لهم معهم » .

(٤) هكذا في المروج ، وهو الصواب ، وفى ب ، ز « وهو سنة ٣٢٦ » وهو خطأ لأن الواقعة الأولى حدثت سنة (٣٢٧) وهو يتكلم بعدها قطعاً .

للجلالقة والبَشْكُنس على المسلمين ، انتهى كلام المسعودى [1] .

رجع إلى أخبار الناصر — فنقول : إن الناصر — رحمه الله ! — كان له نظم ، ومما نسب إليه بعضهم قوله :

لا يضرّ الصغيرَ حَدَاثَةُ سنٍّ ... إنما الشأن فى سُعُود الصغير

كم مقيم فازت يداه بغُنْمٍ ... لم تنله بالركض كفُّ مُغِير

هكذا أثبت البيتين منسو بين إليه بخط بعض الأكابر ، ثم كتب بأثره ما نصه: الصحيح أنهما لغيره ، والله أعلم ، انتهى .

هدية ابن شهيد للناصر وكتابه معها

وكان الناصر — رحمه الله ! — قد استحجب [2] موسى بن محمد بن حُدَيْر ، واستوزر عبدَ الملك بن جَهْوَر ، وأحمد بن عبد الملك بن شُهَيد ، وأهدى له ابنُ شهيد هديته المشهورة المتعدّدة الأصناف ، وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين ، قال ابن خلدون : وهى مما يدل على ضخامة الدولة الأموية، واتساع أحوالها ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، لثمان خلون من شهر جمادى الأولى ، وهى هدية عظيمة الشأن ، اشتهر ذكرها إلى الآن ، واتفق على أنه لم يهادَ أحد من ملوك الأندلس بمثلها ، وقد أعجبت الناصرَ وأهلَ مملكته جميعاً، وأقروا أن نفساً لم تسمح بإخراج مثلها ضريبةً عن يدها ، وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها ، فاستحسنها الناس وكتبوها ، وزاد الناصر وزيره هذا حُظْوة واختصاصاً ، وأسْمَى منزلته على سائر الوزراء جميعاً ، وأضعف له رزق الوزارة ، و بلغه ثمانين ألف دينار أندلسية ، و بلغ معروفه إلى ألف دينار ، وثنى له العظمة بتثنيته له الرزق ، فسماه «ذا الوزارتين» لذلك ، وكان أول من تسمى بذلك بالأندلس امتثالا لاسم صاعد بن مَخْلَد وزير بنى العباس ببغداد ، وأمر

(١) أصلحنا فساد هذه العبارة وأثبتنا فيها زيادة بيض لها فى أصل ب ، عن المروج (١/١٦٢ بتحقيقنا طبعة ثانية) .

(٢) استحجبه : اتخذه حاجباً له ، واستوزره : اتخذه وزيراً .

بتصدير فراشه فى البيت ، وتقديم اسمه فى دفتر الارتزاق أول التسمية ، فعظم مقداره فى الدولة جدًّا .

وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت فى كتاب ابن خلدون على ما يفسر : خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائة رطل من التِّبر ، ومصارفةَ خمسة وأربعون ألف دينار ، ومن سبائك الفضة مائتا بدرة ، واقتصر ابن الفَرَضى على خمسمائة ألف دينار فقط ، واثنا عشر رطلا من العُود الهندى الذى يختم عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ، ومائة رطل من العود الشبه المنتقى ، هكذا ذكره ابن خلدون .

وقال ابن الفرضى مستنداً إلى الكتاب الذى وجّهه ابنُ شهيد مع الهدية : إن العود العالى من ذلك أربعمائة رطل ، منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا .

وقال ابن خلدون : ومائة أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه ، انتهى .

وقال ابن الفرضى ، نقلا عن الكتاب المصحوب مع الهدية : إن المسك مائتا أوقية ، واثنتا عشرة أوقية ، ومن العنبر الأشهب[1] الباقى على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية ، منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن مائة أوقية ، هكذا فى تاريخ ابن خلدون .

وفى ابن الفرضى أن الكل مائة أوقية ، وأن هذه القطعة أربعون أوقية .

ومن الكافور المرتفع النقى الذكىّ ثلثمائة أوقية .

قال ابن خلدون : ومن اللباس ثلاثون شُقَّة[2] من الحرير المختَّم المرقوم بالذهب

(١) العنبر الأشهب : الذى لونه الشهبة ، وهى بياض فى سواد ، وهذا أجود أنواع العنبر وأعلاها قيمة ، قال صاحب المفردات : وأجود العنبر الأشهب القوى ، ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأردؤه الأسود .

(٢) الشقة ــ بضم الشين وتشديد القاف ــ أراد به الثوب المستطيل.

كلباس الخلفاء المختلف الألوان والصنائع ، وعشرة أفرية[1] من عالى جلود الفنك الخراسانية .

وخالفه ابن الفرضىّ ، إذ قال : ومن أنواع الثياب ثلاثون شقة وخُلُجْ خاصية للباسه بيضاء وملوّنة ، وخمس ظهائر شعيبية خاصية له ، وعشر فراء من عالى الفَنَك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملوّنة ، وستة مَطارف عراقية خاصية له ، وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ، ومائة ملحفة زهرية لرقاده .

ولم يذكر ابن خلدون ذلك ، وابنُ الفرضى أعرف ، لاسيما وقد استند إلى كتاب المهدِى وصاحبُ البيت أدرى .

قال ابن خلدون : وعشرة قناطير شد فيها مائة جلد سَمُّور ، وقاله ابن الفرضى أيضا ، وزاد ابن خلدون : وستة من السرادقات العراقية ، وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، ثم قالا معا : وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال ، وزاد ابن خلدون : وثلاثون شقة من القربون لسروج الهبات ، وزاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور : قيل : إنه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية ، وإنما دفعه لصاحب الطراز ، وأثبته فى الدفتر ، قالا : وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا ، وقال ابن خلدون : منتقاة مختلفة الألوان ، قالا : ومائة قطعة مُصَلَّيات من وجوه الفرش المختلفة ، زاد ابن الفرضى : الصناعات من جنس البسط ، قالا : وخمسة عشر نوخا[2] من عمل الخز المقطوع شطرها ، قال ابن

(١) أفرية : جمع فروة ، قلبت واوه فى الجمع ياء لتطرفها إثر كسرة ، وذلك لأن التاء لا اعتداد بها ، والفنك ــ بفتح الفاء والنون جميعا ــ وهو ضرب من الثعالب يكون فى بلاد الصقالبة كثيراً ، وفراؤه أجود الفراء وأعلاها قيمة .

(٢) الذى فى ابن خلدون (٤/ ١٣٨) « وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها » وهو الموافق لما فى كتب المعرب ، فإن فيها « النخ : بساط طويل طوله أكثر من عرضه » .

الفرضى : وسائرها من جنس البُسُط ، قال ابن خلدون : ومن السلاح والعدّة ثمانمائة من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب ، وقال ابن الفرضى : مائة تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها ، قالا : وألف تُرْس سلطانية ، ومائة ألف سهم ، زاد ابن خلدون : من النبال البارعة الصنعة ، قال ابن خلدون : ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العِرَاب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النُّعوت ، وقال ابن الفرضى : ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العِرَاب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا ، وخمس من عرض هذه الخيل مُسْرَجة مُلْجَمة لمراكب الخلافة مجالسُ سروجها خز عراقى ، وثمانون فرساً مما يصلح للوُصفاء[1] والحَشَم ، وقال ابن خلدون : مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، وقال ابن الفرضى : وخمسة أبغل عالية الركاب ، وقال ابن خلدون : وعشرون من بغال الركاب مُسْرَجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالسُ سروجها خز جعفرى عراقى ، قال : ومن الرقيق أربعون وصيفاً وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم ، وقال ابن خلدون فى الجوارى : متخيرات بكسوتهن وزينتهن ، وقال ابن خلدون : ومن سائر الأصناف قرية تغِل آلافا من أمداد الزرع ، ومن الصخر للبنيان ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصيله وأقومه قيمتها خمسون ألف دينار ، انتهى .

وقال ابن الفرضى نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عند ما ذكر الرقيق ما صورته : وكان قد أربى[2] — أيَّدَهُ الله ! — بابتياعهم من مال الأخماس ، فابتعتهم[3] من نعمته عندى ، وصيرتهم من بَعْثى ، وَمع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لا سُحَاق فيه[4] .

(١) الوصيف والوصيفة : الخادم ، والوصفاء الجمع .

(٢) أربى : تفضل وتطول وامتن ، وهو منتهى ما يمكن من الخضوع فى التعبير عن معنى رغب .

(٣) ابتعتهم : أراد اشتريتهم ، وشرى وباع يستعملان فى المعنيين جميعا .

(٤) أراد بالسحاق — بضم السين — الفتات والدقاق وما تكسر منه .

وفى آخر الكتاب : ولما علمت تطلع مولاى — أيده الله تعالى ! — إلى قرية كذا بقنبانية[1] المنقطعة الغرس شرفها[2] ، وتردداه — أيده الله تعالى ! — لذكرها لم أهنأ بعَيْشٍ حتى أعملت الحيلة فى ابتياعها بأحوازها ، وأكتبت وكيلَه ابن بقية[2] الوثيقةَ فيها باسمه ، وضمها إلى ضِياعه ، وكذلك صنعت فى قرية شِيرَةَ من نظر جَيَّان عندما اتصل بى من وَصْفه لها وتطلعه إليها ، فمازلت أتصدَّى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها ، واحتاز ذلك كله الوكيلُ ابن بقية[2] ، وصار فى يده له أبقاه الله سبحانه ، وأرجو أنه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة إن شاء الله تعالى ، ولما علمت نافذ عزمه — أبقاه الله تعالى ! — فى البنيان ، وكَلَفه به ، وفكرت فى عدد الأماكن التى تطلع نفسُه الكريمة إلى تخليد آثاره فى بنيانها — مد الله تعالى فى عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ! — علمت أن أسه وقوامه الصخر والاستكثار منه ، فأثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة أحكمها سعدك وجَدُّك اللذان يَبْعثان ما لا يتوهم عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عددَ ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما ، وينتهى تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفاً أعجل شأنه فى عام ، سوى التوفير العظيم الذى يُبْديه العيان قبلا إن شاء الله تعالى ، وكذلك ما ثاب إلىّ فى أمر الخشب لهذه الأبنية المكرمة ، فإن ابن خليل عبدَك المجتهد الدؤب انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج إليه إلى ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه فى السنة إلا نحو الألفى عود ، ففتح لى سعدُك رأيا أقيم له بتمامه جميعَ هذا الخشب العام على كثرته بورود الجابية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفاً والستين ألفاً ، انتهى .

(١) يطلق اسم « قنبانية » على الروابى والسهول التى تمتد فى جنوب قرطبة على الضفة اليسرى من الوادى الكبير ، والشرف — بفتح الشين والراء — قد مر ذكره مراراً ، ارجع إلى ص ١٥٠ ، ١٦٠ من هذا الجزء .

(٢) هكذا فى الموضعين .

ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور أنه أراد الفَصْد ، فقعد بالبَهْو[1] فى المجلس الكبير المُشْرِف بأعلى مدينته بالزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك ، وأخذ الطبيبُ الآلة وجَسَّ يد الناصر ، فبينما هو إذ أطل زُرْزور[2] فصعد على إناء ذهب بالمجلس ، وأنشد :

أيها الفاصِدُ رفقاً ... بأمير المؤمنينــا
إنمــا تفصد عرقاً ... فيه مَحْيَا العالمينا

وجعل يكرّر ذلك المرة بعد المرة ، فاستظرف أميرُ المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف ، وسرّ به غايةَ السرور ، وسأل عمن اهتدى إلى ذلك وعلّم الزُّرْزور[2] ، فذكر له أن السيدة الكبرى مَرْجانة أم ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك ، وأعدّته لذلك الأمر ، فوهب لها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار .

وذكر ابنُ بَسّام أن أبا عامر بن شُهَيد أحمدَ بن عبد الملك الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شَبَهه ، فلمحه الناصر فقال لابن شهيد : أنى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله ، فقال له الناصر : تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر ، فاستعذر[3] واحتفل فى هدية بعثها مع الغلام ، وقال : يا بنى كن مع جملة ما بعثت به ، ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسى ، وكتب معه بهذه الأبيات :

أمولاىَ هذا البدرُ سار لأفقكُمْ ... ولَلأفْقُ أولى بالبدور من الأرض
أرَضّيكم بالنفس وَهْىَ نفيســة ... ولم أرَ قبــلى مَنْ بمهجته يُرْضِى

فحسن ذلك عند الناصر ، وأتحفه بمال جزيل ، وتمكنت عنده مكانته ، ثم إنه بعد ذلك أهديت إليه جارية من أجمل نساء الدنيا ، فخاف أن ينتهى ذلك إلى

(١) البهو ــ بفتح الباء وسكون الهاء ــ البيت يكون أمام البيوت .
(٢) الزرزور : طائر من نوع العصافير يتبع الربيع والهواء الطيب .
(٣) استعذر : استنبط لنفسه العذر ، أو طلب أن يكون له عذر عند سامعه .

الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام ، فاحتفل فى هدية أعظم من الأولى ، وبعثها معها ، وكتب له :

أمولاى هذى الشمسُ والبدرُ أوّلا ... تقدَّم كيما يَلْتَقِى القَمَرانِ
قِرَانٌ لعَمْرِى بالسعادة قد أتى ... فدُمْ منهما فى كوثر وجِنانِ
فما لَهُما والله فى الحُسْن ثالث ... ومالَكَ فى مُلْك البرِيَّة ثانى

فتضاعفت مكانته عنده .

ثم إن أحد الوشاة رفع للملك أنه بقى فى نفسه من الغلام حرارة ، وأنه لا يزال يذكره حين تُحَرّكه الشَّمول[1] ، ويقرع السن[2] على تعذر الوصول ، فقال للواشى : لا تحرك به[3] لسانك ، وإلّا طار رأسك ، وأعمل الناصر حيلة فى أن كتب على لسان الغلام رقعة منها : يامولاى ، تعلم أنك كنتَ لى على انفرادى ، ولم أزل معك فى نعيم ، وإنى وإن كنت عند الخليفة مشاركَ فى المنزلة ، محاذر ما يبدو من سطوة الملك ، فتحيل فى استدعائى منه ، وبَعَثها مع غلام صغير السن ، وأوصاه أن يقول : من عند فلان ، وإن الملك لم يكلمه قط ، إن سأله عن ذلك ، فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام ، وما تكلم به فى مجالس المدام ، فكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا :

أمن بعد إحكام التجارِبِ ينبغى ... لدىَّ سقوطُ الطير فى غابة الأسَدْ
وما أنا ممن يغلب الحبُّ قلبَه ... ولا جاهل ما يدعيه أولو الحَسَدْ
فإن كنتَ رُوحِى قد وهبتك طائعاً ... وكيف يُرَدُّ الروحُ إن فارق الجَسَدْ

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ، ولم يَعُدْ إلى استماع واش به .

(١) الشمول ــ بفتح الشين ــ اسم من أسماء الخمر .
(٢) يقرع السن : هذه كناية يقصد بها الإخبار عن حصول الندم والتحسر والأسف
(٣) يريد لا تذع هذا لئلا يبلغه فيحترز ، لأنه يريد أن يبلوه .

أحد من الملوك قبله ، قال أبو محمد بن حزم : أخبرنى تليد الخصِىّ – وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان – أن عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفى كل فهرسة عشرون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة[1] جلبت إليها بضائعه من كل قطر .

وفادة أبى على القالى على الناصر

قال أبو محمد بن خلدون : ولما وفد على أبيه أبو على القالى صاحبُ كتاب « الأمالى » من بغداد أكرم مثواه ، وحَسُنت منزلته عنده ، وأورث أهلَ الأندلس علمَه ، واختص بالحكم المستنصر ، واستفاد عنه

وكان يبعث فى شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ، ويرسل إليهم الأموال لشرائها ، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه ، وبعث فى كتاب « الأغانى » إلى مصنفه أبى الفرج الأصفهانى ، وكان نسبه فى بنى أمية ، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق ، وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الأبهرى المالكى فى شرحه مختصر ابن عبد الحكم ، وأمثال ذلك ، وجمع بداره الحذاقَ فى صناعة النَّسْخ والمَهَرَة فى الضبط والإجادة فى التجليد ، فأوعى[2] من ذلك كله ، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده ، إلا ما يذكر عن الناصر العباسى بن المستضى ، ولم تزل هذه الكتبُ بقصر قُرْطُبة إلى أن بيع أكثرها فى حصار البربر ، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجبُ واضح من موالى المنصور بن أبى عامر ، ونُهِب ما بقى

(١) تقول « نفقت السوق » إذا راجت وكثر طالبو ما فيها ، وباب الفعل نصر

(٢) تقول « أوعى الشيء والكلام إيعاء » تريد أنه حفظه وجمعه ، وتقول « أوعى الزاد والمتاع » إذا جعله فى وعائه وجمعه فيه ، وفى التنزيل العزيز : (جمع فأوعى)

منها عند دخول البربر قُرْطُبة واقتحامهم إياها عَنْوة . انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار .

ونبسط الكلام على الحكم فنقول : إن الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانىَ يوم وفاة أبيه يوم الخميس ، وقام بأعباء الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس إلى بيعته ، واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه ، وتثقيف مملكته ، وضبط قصوره ، وترتيب أجناده ، وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم ، وتكفلوا بأخذها على مَنْ وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم ، وأوصل إلى نفسه فى الليل دون هؤلاء الأكابرَ من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعُرَفاء ، فبايعوه ، فلما كملت بيعة أهل القصر تقدّم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبى مروان عُبَيد الله المتخلف بأن يُلزمه الحضور للبيعة دون معذرة ، وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حُدَير بالنهوض أيضاً إلى أبى الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى . فمضى إليهما كلٌّ واحد منهما فى قَطِيع[1] من الجند ، وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء ، ونفذ غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لإتيان غيرهما من الإخوة ، وكانوا يومئذ ثمانية ، فوافى جميعهم الزهراء فى الليل ، فنزلوا فى مراتبهم بفصلان[2] دار الملك ، وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البَهْو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التى فى السطح الممرّد[3] ، فأول مَنْ وصل إليه الإخوة فبايعوه ، وأنصتوا لصحيفة البيعة ، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم

(١) أصل القطيع يقال على جماعة الغنم ، ويُراد منه هنا الجماعة مطلقا .

(٢) الفصلان : جمع فصيل ، وهو الحائط القصير دون سور البلد أو دون الحصن

(٣) الممرد : اسم المفعول من « مردت البناء تمريداً » إذا سويته وأملسته ، وفى القرآن الكريم (صرح ممرد من قوارير) .

لـكن جعلت له المسامع موضعا   وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثانى قال : يصونه فى استه .

وكان الرمادى لما سمع قول المتنبي :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل   لولا مُخاطَبَـتى إياكَ لم تَرَنِى

قال : أظنه ضَرْطَة ، والجزاء من جنس العمل .

وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو على القالى كتاب « الأمالى » .

وكان الحكم كريما ، مَعْنيا بالعلم ، وهو الذى وَجَّه إلى الحافظ أبى الفرج الأصبهانى ألفَ دينار على أن يوجهَ له نسخة من كتاب الأغانى ، وألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادى ورواياته ودخوله الأندلس ، وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر أنه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبى على البغدادى عند تهدمها ، وهما :

صِلُوا لحد قبرى بالطريق وودعوا   فليس لمن وارى الترابُ حبيبُ[1]

ولا تدْفنونى بالعَـرَاء فربما   بكى أن رأى قَبْرَ الغريب غريبُ

واسم أبى على إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان ، وكان أبو على أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين ، وأخذ الأدب عن أبى بكر بن دُرَيد الأزدى وأبى بكر بن الأنبارى وابن دُرُسْتُوَيْه وغيرهم ، وأخذ عنه أبو بكر الزبيدى الأندلسى صاحب مختصر العين ، ولأبى على التصانيف الحسان كالأمالى والبارع ، وطاف البلاد ، وسافر إلى بغداد سنة ٣٠٣ ، وأقام بالموصل لسماع الحديث من

(١) صلوا : فعل أمر مسند لواو الجماعة ، ماضيه « وصل » يريد اجعلوا قبرى متصلا بالطريق ليراه المارة .

أبى يعلى الموصلى ، ودخل بغداد سنة ٣٠٣ . وأقام بها إلى سنة ٣٢٨ ، وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصدا الأندلس ، وسمع من البغوى وغيره .

قال ابن خَلِّكان : ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى .

وهو مما يعين أنه قدم فى زمن الناصر ، لا فى زمن ابنه الحكم كما تقدّم ، وقد صرح بذلك الصفدى فى الوافى فقال : ولما دخل المغرب قَصَد صاحب الأندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن ، فأكرمه ، وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هناك ، انتهى .

وقال ابن خلكان إنه استوطن قرطُبَة إلى أن توفى بها فى شهر ربيع الآخر وقيل : جمادى الأولى سنة ٣٥٦ ، ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ، ودفن ظاهر قرطبة ، ومولده بمَنَازجِرْد[1] من ديار بكر سنة ٢٨٨ ، وقيل : سنة ٢٨٠

وإنما قيل له «القالى» لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قَالِيقَلاَ ، وهى من أعمال ديار بكر .

وهو من محاسن الدنيا ، رحمه الله تعالى !

وعيذون : بفتح العين ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وضم الذال المعجمة

وقال ابن خلكان فى ترجمة ابن القوطية : إن أبا على القالى لما دخل الأندلس اجتمع به ، وكان يبالغ فى تعظيمه ، قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر : مَنْ أنبلُ مَنْ رأيته ببلدنا هذا فى اللغة؟ فقال : محمد بن القوطية ، وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العُبَّاد النساك ، وكان جيد الشعر صحيح الألفاظ حسن المطالع والمقاطع

ابن القوطية من تلاميذ القالى

(١) فى الأصل « ومولده بمنازك ـ إلخ » وصوبناه من وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٠٥/١ بتحقيقنا) وقال ياقوت « منازجرد ، وأهله يقولون : مناز كرد بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعد فى أرمينية ، وأهله أرمن وروم ، وإليه ينسب الوزير أبو نصر المنازى ، وكان فاضلا أديباً جيد الشعر وكان وزيرا لبعض آل مروان ملوك ديار بكر ، ومات فى سنة ٤٣٧ » اهـ . وابن خلكان ينص على أن «منازجرد» غير مناز كرد » القلعة التى من أعمال خلاط ، فانظره فى آخر الترجمة رقم ٥٨ فى (١٢٦/١ بتحقيقنا) .

الدهر على حكمه ، فانقاد له وساعده ، فاستقام أمره منفردا بمملكة لاسَلَف له فيها[١] ، ومن أوضح الدلائل على سَعْده أنه لم يُنْكب قطّ فى حرب شهدها ، وما توجهت عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلا قاهرا غالبا ، على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الأعداء وواجه من الأمم ، وإنها لخاصة ماأحسب أحدا من الملوك الإسلامية شاركه فيها ، ومن أعظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكن جَده[٢] سَعَةُ جوده ، وكثرة بذله ، فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان ، وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق[٣] ، وانتشر عليه لواء السعد وخَفَق ، حط صاحبه المصحفى ، وأثاره كامن حقده الخفى ، حتى أصاره للهُمُوم لبيسا ، وفى غيابات[٤] السجن حبيسا ، فكتب إليه يستعطفه بقوله :

هَبْنى أسأتُ فأين العَفْو والكَرَمُ ... إذ قادَنِى نَحْوَكَ الإذعانُ والنَّدَمُ

يا خير مَنْ مُدَّتِ الأيدى إليه أما ... ترْثى لشَيْخ رماهُ عندك القَلَمْ

بالغْتَ فى السُّخْطِ فاصْفَحْ صَفْحَ مقتدرٍ ... إن الملوك إذا ما استُرْحِموا رَحِمُوا

فما زاده ذلك إلا حنقاً وحقداً ، وما أفادته الأبيات إلا تضرما ووقْدًا ، فراجعه بما أيأسه ، وأراه مَرْمَسَه ، وأطبق عليه محبسه ، وضيق تروحه من المحنة وتنفسه :

الآن يا جاهلا زلّتْ بك القَدَمُ ... تبغى التكرمَ لما فاتَكَ الكَرَمُ

أغْرَيْتَ بى مَلِكاً لولا تثبُّته ... ما جاز لى عنْدَهُ نطق ولا كَلِم

فايْأسْ من العَيْش إذ قد صِرْتَ فى طَبَقٍ ... إن الملوك إذا ما استنقموا نَقَمُوا

نَفْسِى إذا سَخِطَتْ لَيْسَتْ براضيةٍ ... ولو تَشَفَّع فيك العُرْبُ والعَجَمُ

وكان من أخباره الداخلة فى أبواب البر والقربة بنيانُ المسجد الجامع ، إلى أن قال :

(١) أراد أنه لم يرث الملك عن بعض أهله (٢) الجد ــ بفتح الجيم ــ الحظ والبخت

(٣) الارتفاق فى الاصل الاتكاء على المرفق أو على المرفقة وهى المخدة

(٤) الغيابات : جمع غيابة وهى قعر البئر أو قعر كل شىء ، وفى القرآن الكريم (وألقوه فى غيابة الجب) ووقع فى ب ، ز « غايات السجن » وأثبتنا ما فى ا

ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الأعظم ، ابتدأ بناءها المنصورُ سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، وفرغ منها فى النصف من سنة تسع وسبعين ، وانتهت النفقة عليها إلى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ، فعظمت بها المنفعة ، وصارت صدراً فى مناقبه الجليلة ، وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ، ولم يكن للقنطرة عدولٌ عنها ، فأمر المنصور أمناءه بإرضائه فيها ، فحضر الشيخ عندهم ، فساوموه بالقطعة ، وعرّفوه وجه الحاجة إليها وأن المنصور لا يريد إلا إنصافه فيها ، فرماهم الشيخ بالغرض الأقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج[١] عنه بأقل من عشرة دنانير ذهباً كانت عنده أقصى الأمنية ، وشرطها صحاحاً ، فاغتنم الأمناء غفلته ، ونقدوه الثمن ، وأشهدوا عليه ، ثم أخبروا المنصور بخبره ، فضحك من جهَالته ، وأنف من غبنه ، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل ، وتدفع له صحاحاً كما قال ، فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً ، فكاد أن يخرج من عقله ، وأن يُجَنّ عند قبضها من الفرح ، وجاء محتفلا فى شكر المنصور ، وصارت قصته خبراً سائراً .

ومن ذلك أيضاً بناء قنطرة على نهر إسْتِجَة ، وهو نهر شِنّيل ، وتجشم فيها أعظم مؤنة ، وسهل الطريق[٢] الوَعْرة والشعاب الصعبة .

ومن ذلك أيضاً أنه خط بيده مصحفاً كان يحمله معه فى أسفاره [وغزواته][٣] ، ويَدْرُس فيه ، ويتبرك به .

ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجميع ما علق بوجهه من الغُبَار فى غزواته ومواطن جهاده[٤] ، فكان الخدَمُ يأخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله ، حتى اجتمع له منه صُرّة ، ضخمة ، عهد بتصييره فى حَنُوطه[٥] ، وكان يحملها حيث سار مع

(١) فى ا « ألا تخرج عنه » (٢) فى نسخة عندا « الطرق الوعرة »

(٣) هذه الكلمة لا توجد فى ا

(٤) فعل سيف الدولة الحمدانى مثل ذلك ، وأمر أن يجعل الغبار لبنة توضع تحت رأسه فى قبره (٥) الحنوط ــ بفتح الحاء ــ مايوضع فى ماء الغسل من الطيب والكافور والأشنان ونحوه

فى بسائط عريضة وأرضين [أريضة] ، وانتهت مغيرتهم إلى دير قسطان[1] و بسيط بلنبو[2] على البحر المحيط ، وفتحوا حصن شنت بلاية ، وغنموه ، وعبروا سباحة[3] إلى جزيرة من البحر المحيط لجأ إليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى ، فسبوا من فيها ممن لجأ إليها ، وانتهى العسكر إلى جبل مُراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط ، فتخللوا أقطاره ، واستخرجوا مَنْ كان فيه ، وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين أرشد الأدلاء إليهما ، ثم نهر أيلة[4] ، ثم أفضوا إلى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ، ثم انتهوا إلى موضع من مشاهد يَاقُبَ صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل ، يقصد نُسَّاكهم له من أقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما ، فغادره المسلمون قاعا ، وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة ، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شعبان ، فوجدها المسلمون خالية من أهلها ، فحاز المسلمون غنائمها ، وهدموا مَصَانعها وأسوارها وكنيستها ، وعَفَّوْا آثارها ، ووكل المنصور بقبر يَاقُبَ من يحفظه ويدفع الأذى عنه وكانت مَصَانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تَغْنَ بالأمس ، وانتسفت [بعوثُه] بعد ذلك سائر البسائط ، وانتهت الجيوش إلى مدينة[5] شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط ، وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ، ولا وطئها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيل مَجَال ، ولا وراءها انتقال ، وانكفأ المنصور عن باب شنت يَاقُبَ وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله ، فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن أردون يستقر[6] به عائثا [به] ومفسدا ، حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره ، فأمر بالكف عنها ، ومرَّ مجتازا حتى خرج إلى حصن بليقية[7] من افتتاحه ، فأجاز هنالك القوامس

(١) فى ب « قشان » وفى نسخة عند ا « قسان » (٢) فى نسخة عند ا « بلنبوط »
(٣) فى ب ونسخة عند ا « بساحته » (٤) فى ا « نهر أبلة »
(٥) فى ا « جزيرة شنت مانكش » (٦) فى ا « ليستقريه »
(٧) فى نسخ ا « بليقة » و « بلقية » و « مليقة »

بجملتهم على أقدارهم ، وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم إلى بلادهم ، وكتب بالفتح من بليقية ، وكان مبلغ ما كساه فى غَزَاته هذه لملوك الروم ولمن حَسُنَ غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شُقَّة من صنوف الخز الطِّرازى ، وإحدى وعشرين كساء من صوف البحر ، وكساءين عنبريين ، وأحد عشر سقلاطونا ، وخمس عشرة مريشا [ت] ، وسبعة أنماط ديباج ، وثوبى ديباج رومى ، وفَرْوَى فَنَك ، ووافى جميع العسكر قرطبة غانما ، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ، ولم يجد [المنصور] بشنت يَاقُبَ إلا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال : أونس يعقوب ، فأمر بالكف عنه

قال : وحدث شعلة قال : قلت للمنصور ليلة طال سهره فيها : قد أفرط مولانا فى السهر ، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ، وهو أعلم بما يحركه[1] عدم النوم من علة العصب[2] ، فقال : يا شعلة ، الملك لا ينام إذا نامت الرعية ، ولو استوفيت نومى لما كان فى دور هذا البلد العظيم عين نائمة ، انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور .

وقد رأيت أن أذكر هنا أخباراً ، نقلتها من كتاب « الأزهار المنثورة ، فى الأخبار المأثورة » .

قال فى الزهرة التاسعة والعشرين : تقدم إلى المنصور وانزمار بن أبى بكر البرزالى[3] أحد جنود المغاربة[4] ، وقد جلس للعرض والتمييز ، والميدان غاص بالناس ، فقال له بكلام يضحك الثكلى : يا مولاى ، مالى ولك أسكنِّى فإنى فى الفحص ، فقال : وما ذاك يا وانزمار[3] ؟ وأين دارك الواسعة الأقطار ؟ فقال : أخرجتنى عنها والله نعمتُك ، أعطيتنى من الضياع ما انصبَّ على منها من الأطعمة ما ملأ بيوتى وأخرجنى عنها ،

(١) فى ا « بما يحرك »
(٢) فى نسخة عند ا « الغضب »
(٣) فى ب « واترمار بن أبى بكر البربرى » (٤) فى ا « أحد جند المغاربة »

بالنصارى على الموحّدين ، فهزمهم عبدُ المؤمن ، وقتلهم أبْرَحَ قَتْل ، واستخلص غَرْناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مَرْدَنيش ، وولى الأمر بعد عبد المؤمن ابنُه يوسف ، وأجاز إلى الأندلس ، وكانت له مواقف فى جهاد العدوّ، وولى بعده ابنُه يعقوب المنصور الطائر الصيت ، وكانت له فى النصارى بالأندلس نكاية كبيرة ، ومن أعظمها غزوة الأرك[1] التى تُضَاهِى وقعة الزلاّقة أو تزيد ، والأرك : موضع بنواحى بَطَلْيَوْسَ ، وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره ، وكان عدّة مَنْ قُتل من الفرنج – فيما قيل – مائة ألف وستة وأربعين[2] ألفاً ، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً ، وعدّة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة ، والخيل ثمانين ألفاً ، والبغال مائة ألف ، والحمير أربعمائة ألف ، جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم ، وأما الجواهر والأموال فلا تحصى ، وبيع الأسير بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والفرس بخمسة دراهم ، والحمار بدرهم ، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ، ونجا الفنش ملكُ النصارى إلى طُلَيْطلة فى أسوأ حال ، فحلق رأسه ولحيته ، ونكس صليبه ، وآلى أن لا ينام على فراش ، ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرساً ولا دابة ، حتى يأخذ بالثار[3] ، وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعدّ ، ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه إلى طُلَيْطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيّق عليها ، ولم يبق إلا فتحُها ، فخرجت إليه والدة الأدفونش وبناته [ونساؤه] وبَكَيْنَ بين يديه ، وسألنه إبقاء

يعقوب المنصور ابن يوسف أحد ملوك الموحدين

(١) ضبطها فى الروض ضبط قلم بفتح الهمزة والراء ، وقال « حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون إذفونش بالأندلس ؛ وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى ، على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب ، فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة » اهـ وذكر بعد ذلك أسباب الوقعة وتفصيل حوادثها .

(٢) فى نسخة عند ا «وستة وخمسين ألفا» وهى فى نسخة عند ب أيضا .

(٣) فى ا « حتى يأخذ الثأر »

البلد عليهن ، فرقّ لهن ، ومَنّ عليهن بها ، ووهب لهن من الأموال والجواهر ما جَلّ ، وردّهنّ مكرمات ، وعفا بعد القدرة ، وعاد إلى قُرْطُبة ، فأقام شهراً يقسم الغنائم ، وجاءته رسُلُ الفنش بطلب الصلح ، فصالحه ، وأَمِنَ الناس مدّته ، وفيه يقول بعض شعراء عصره :

أهْلٌ بأن يُسْعَى إليه ويُرْتجَى ... ويُزَار من أقصى البلاد على الرَّجَا

مَنْ قد غدا بالمكرُمَاتِ مقلداً ... ومُوَشَّحَا ومختما ومُتَوَّجَا

عمرت مقاماتُ الملوكِ بذكره ... وتعطَّرتْ منه الرِّيَاحُ تأرّجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمسَ الدين بن مُنْقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدّسة ، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين ، لم يُجِبه[1] إلى ما طلبه ، وكل ذلك فى سنة ٥٨٧ ، ومدحه ابنُ منقذ بقوله من قصيدة :

ابن منقذ رسول صلاح الدين الأيوبى إلى يعقوب

سأشْكُرُ بَحْراً ذا عُبَاب قطَعْته ... إلى بحر جُودٍ ما لأخراه سَاحِلُ

إلى مَعْدِنِ التَّقْوَى إلى كَعْبَة النَّدَى ... إلى مَنْ سَمَتْ بالذكر منه الأوائلُ

إليك أميرَ المؤمنينَ ولم تَزَلْ ... إلى بَابِكَ المأمولِ تُزْجَى الرَّوَاحِلُ

قطعْتُ إليك البر والبحرَ مُوقِناً ... بأن نَدَاكَ الغَمْرَ بالنُّجْحِ كافِلُ

وحُزْتُ بقَصْدِيكَ العُلاَ فبلَغْتُهَا ... وأدْنَى عطاياكَ العُلاَ والفَوَاضِلُ

فلا زلتَ للعَلْيَاء والجـودِ بانياً ... تبلِّغُك الآمالُ ما أنْتَ آمِلُ

وعدّتها أربعون بيتاً ، فأعطاه بكل بيت ألفاً ، وقال له : إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك .

وكان عنوان الكتاب الذى أرسله صلاح الدين « إلى أمير المسلمين » وفى أوّله « الفقير إلى الله تعالى يوسف بن أيوب » وبعده من إنشاء الفاضل « الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفية من استَعْمَرَ الأرض ، وأغنى من أهلها مَنْ سأله

(١) فى ا ، ب ، ز « فلم يجبه » والفاء لا موضع لها ههنا

أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب ، وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا : ثلث للجند ، وثلث مدخر ، وثلث ينفقه على عمارة الزهراء ، وكانت جباية الأندلس [يومئذ] خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق(1) والمستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار ، وهي من أهول ما بناه الإنس ، وأجلّه خطرا ، وأعظمه شأنا ، ذكر ذلك كله ابن بَشْكُوال في تاريخ الأندلس ، انتهى كلامه .

وحكى في المطمح أن الوزير الكبير الشهير أبا الحزم(2) بن جَهْوَر قال وقد وقف على قصور الأمويين التي تقوّضت أبنيتها ، وعُوّضت من أنيسها بالوحش أفنيتها :

قلتُ يوماً لدار قوم تفانَوْا: أين سُكّانُكِ العزاز علينا ؟
فأجابت : هُنا أقاموا قليلا ، ثم ساروا ، ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شُهَيْد بات ليلة بإحدى كنائس قُرْطُبة وقد فرشت بأضغاث(3) آس ، وعرشت بسرور وائتناس ، وقرع النواقيس يُبْهج سمعه(4)، وبَرْق الحميا يسرج لمعه ، والقس قد برز في عَبَدة المسيح ، متوشحا بالزنانير أبدع توشيح ، قد هَجَروا الأفراح ، واطّرحوا النعم كل اطّراح ، لا يعمدون إلى ماء بآنية إلا اغترافاً من الغدران بالراح ، وأقام بينهم يعملها حمياء، كأنما يرشف من كأسها شفة لَمْيا وهي تَنْفح له بأطيب عَرْف ، كلما رشفها أعذب رشف ، ثم ارتجل ، بعد ما ارتحل، فقال :

ولربّ حانٍ قد شَمِمْتُ بديْره خمر الصبا مُزِجَتْ بصِرْف عصيره
في فتية جعلوا السُّرورَ شعارَهُمْ متصاغرين تخشعا لكبيره
والقَسُّ مما شاء طولَ مُقامنا يَدْعو بعود حولنا بزَبُوره

(1) في ا « ومن السوق والمستخلص » .
(2) في ب « الشهير بالحزم ابن جهور » محرفا .
(3) أضغاث : جمع ضغث ـ بكسر فسكون — وهو مقدار قبضة من الحشيش اختلط رطبه بيابسه ، وكل ما ملأت به كفك من نبات (الحزمة) .
(4) في ب « يهيج » و « يسرع لمعه »

يُهْدِى لنا بالراح كل مُصَفّر كالخِشْفِ خَفَّرَهُ التماحُ خفيره(1)
يتناولُ الظرفاء فيـــه وشُرْبُهم لسلافِهِ ، والأكل من خنزيره

بناء الزهراء وتكاليفه والعمال فيه

رجع إلى أنباء(2) الزهراء ـ قال بعض من أرخ الأندلس : كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ، ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة ، وكان من الرجال(3) من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة ، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل ، انتهى ، وسيأتي في الزهراء مزيد كلام .

رواية ابن حيان

وقال ابن حيان : ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ ، وجعل طولها من شرق إلى غرب ألفين وسبعمائة ذراع ، وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وتسعون ألف ذراع ، كذا نقله بعضهم ، وللنظر فيه مجال ، قال : وكان يثيب(4) على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها ، وجَلَب إليها الرخام الأبيض من المَرِية ، والمجزّع من رَيّة ، والوردي والأخضر من إفريقية من إسفاقس وقَرْطَاجَنّة ، والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل : من القسطنطينية ، وفيه نقوش وتماثيل [وصُوَر] على صور الإنسان ، وليس له قيمة ، ولما جلبه أحمد الفيلسوف ـ وقيل غيره ـ أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ، ونصب عليه اثني عشر تمثالا ، وبنى في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة ، وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ [في جرمه] الصافي لونه المتلونة أجناسه ، وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه اليتيمة التي أتحف الناصرَ بها أليونُ ملك القسطنطينية ، وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة ، وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على

(1) في أصل ا « كل مخفر » وفي نسخة عندها « كل مضفر » والخشف : ولد الظبية أول ولادته .
(2) في ا « رجع إلى بناء الزهراء »
(3) في ا « الرجالة »
(4) في ا « يثبت » .

حَنَايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر ، قامت على سوارى من الرخام الملون والبلور الصافى ، وكانت الشمس تدخل على [تلك] الأبواب فيضرب شعاعها فى صدر(١) المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار ، وكان الناصر إذا أراد أن يُفْزِع أحدا من أهل مجلسه أومأ إلى أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر فى المجلس كلمعان البرق من النور ، ويأخذ بمجامع القلوب ، حتى يخيل لكل من فى المجلس أن المحل قد طار بهم ، ما دام الزئبق يتحرك ، وقيل : إن هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس ، وقيل : كان ثابتا على صفة هذا الصهريج ، وهذا المجلس لم يتقدم لأحد بناؤه فى الجاهلية ولا فى الإسلام ، وإنما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ، وكان بناء الزهراء فى غاية الإتقان والحسن ، وبها من المرمر والعُمُد كثير ، وأجرى فيها المياه ، وأحدق بها البساتين ، وفيها يقول الشاعر السميسر(٢) :

وَقَفْتُ بالزهراء مُسْتَعْبرا	مُعْتَبِراً أندبُ أشْتَاتا
فقلت : يازهرا ألا فارْجِعِى	قالت: وهل يرجع مَنْ ماتا؟
فلم أزل أبكى وأبكى بها	هيهات يغنى الدمعُ هيهاتا
كأنما آثار مَنْ قد مضى	نوادبٌ يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا ، وسيأتى ما يوافق جُلّه ، ويخالف قُلّه ، والله سبحانه يعلم الأمر كله ، فإنه ربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد فى بعض الأخبار تخالفا ، فيحمل ذلك على الغلط ، وليس كذلك ، وإنما السبب الحامل لذلك جَلْبُ كلام الناس بعباراتهم ، والناقد البصير لايخفاه مثل هذا ، وربما يقع التكرار ، وذلك من أجل ما ذكر ، والله أعلم .

وتذكرت بما وصفه من مجلس الناصر ماحكاه غير واحد عن القصر العظيم

(١) فى ا « سمك المجلس »
(٢) كذا فى ا وهو الصواب ، وفى ب ونسخة عندنا « الشميس » وفى أخرى « السمير » وكلاهما تحريف .

صفة قصر طليطلة الذى بناه المأمون بن ذى النون

الذى شاده ملك طُلَيْطلة المأمون ابن ذى النُّون بها ، وذلك أنه أتقنه إلى الغاية ، وأنفق عليه أموالا طائلة ، وصنع فى وسطه بحيرة ، وصنع فى وسط البحيرة قبة من زجاج ملوّن منقوش بالذهب ، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض ، فكانت قبة الزجاج فى غِلالة مما سكب(١) خلف الزجاج لايفتر من الجرى ، والمأمون قاعد فيها لايمسه من الماء شىء ولا يصله ، وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب ، وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشداً ينشد :

أتبنى بناء الخالدين ، وإنما	مُقَامُك فيها لو عَلِمْتَ قليلُ(٢)
لقد كان فى ظل الأراك كفاية	لمن كُلَّ يوم يقتضيه رحيلُ

فنغص عليه حاله ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أظن أن الأجل قد قرب ، فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفى ، ولم يجلس فى تلك القبة بعدها ، وذلك سنة ٤٦٧ ، تجاوز الله تعالى عنه ! هكذا حكاه بعض مؤرخى المغرب .

وقد ذكر فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة بلفظ ابن بدرون شارح العبدونية فليراجع .

وتذكرت هنا قول أبى محمد المصرى فى صفة قصر طُلَيْطلة :

قصر يُقَصِّر عن مَدَاهُ الفرقَدُ	عَذُبَتْ مصادره وطاب المَوْرِدُ
نَشَر الصباحُ عليه ثوبَ مكارم	فعليه ألْوِيَةُ السعادة تُعْقَدُ
وكأنما المأمونُ فى أرْجَائِهِ	بَدْر تمام قابلته أسْعُدُ
وكأنما الأقداح فى رَاحَاتِهِ	دُرَرٌ جَمَادٌ ذاب فيه العَسْجَدُ(٣)

(١) فى ا « من ماء سكب خلف الزجاج » وهو أليق بالسياق بعده
(٢) فى ا « بقاؤك فيها ، لوعلمت ، قليل »
(٣) فى ب « درجمان ذاب فيه العسجد » والعسجد : الذهب

وغيره : كان يعمل فى جامعها حين شُرع فيــه من حُذّاق الفَعَلة كلَّ يوم ألفُ نسمة منها ثلثمائة بنّاء ومائتا نجّار وخمسمائة من الأجراء وسائر الصنائع ، فاستتم بنيانه و إتقانه فى مدة من ثمانية وأربعين يوماً ، وجاء فى غاية الإتقان [من خمسة] أبهاء عجيبة الصَّنعة ، وطوله من القبلة إلى الجَوْف ــ حاشا المقصورة ــ ثلاثون ذراعا ، وعرض البَهْو الأوسط من أبهائه من الشرق إلى الغرب ثلاث عشرة ذراعا ، وعرض كل بَهْو من الأربعة المكتنفة له اثنا عشر ذراعا ، وطول صَحْنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب إحدى وأربعون ذراعا ، وجميعه مفروش بالرخام الخمرى ، وفى وسطه فوّارة يجرى فيها الماء ، فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف ــ سوى المحراب ــ سبع وتسعون ذراعا ، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسع وخمسون ذراعا ، وطول صَوْمعته فى الهواء أربعون ذراعا ، وعرضها عشرة أذرع فى مثلها .

منبر المسجد

وأمر الناصر لدين الله باتخاذ مِنْبَر بديع لهذا المسجد ، فصنع فى نهاية من الحسن ، ووضع فى مكانه منه ، وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة ، وكان وضع هذا المنبر فى مكانه من هذا المسجد عند إكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة .

وصف قناة قرطبة

قال : وفى صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى [أجراها و]جرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة ، فى المَنَاهر المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة ، يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة إلى بركة عظيمة ، عليها أسَدٌ عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يُشاهد أبهى منه فيما صَوّر الملوك فى غابر الدهر ، مطلى بذهب إبريز ، وعيناه جوهرتان لهما وَبيص[1] شديد ، يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد فيمجُّه فى تلك البركة من

(١) الوبيص — بفتح الواو وآخره صاد مهملة — البريق واللمعان ، ووقع فى ا « لهما وميض » بالميم وآخره ضاد معجمة ، وهو بمعنى الوبيص

فِيهِ ، فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثَجَاجَة صبه ، فتُسقى من مُجَاجه جنان هذا القصر على سعتها ، ويستفيض على ساحاته وجَنَباته ، ويمدّ النهر الأعظم بما فضل منه ، فكانت هذه القَنَاة وبركتها والتمثال الذى يصب فيها من أعظم آثار الملوك فى غابر الدهر ، لبعد مسافتها ، واختلاف مسالكها ، وفخامة بنيانها ، وسموّ أبراجها التى يترقى الماء منها ويتصوّب من أعاليها ، وكانت مدّة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل إلى أن وصلت ــ أعنى القناة ــ إلى هذه البركة أربعة عشر شهراً ، وكان انطلاق الماء فى هذه البركة الانطلاق الذى اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الآخرة من السنة ، وكانت للناصر فى هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفْضَلَ فيها على عامة أهل مملكته ، ووصل المهندسين والقُوّام بالعمل بصلات حسنة [جليلة] جزيلة .

وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة إلى آخر دولة الناصر وابنه الحكم ، وذلك نحو من أربعين سنة .

ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أوّل جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ، وكان الإمامُ القاضىَ أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ، ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة ، وأوّل مَنْ خطب به القاضى المذكور ، ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يُبْنَ مثله فى الإسلام البتة ، وما دخل إليه قط أحد من سائر البلاد النائية والنِّحل المختلفة من ملك وارد ورسول وافد وتاجر وجهبذ ، وفى هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة ، إلا وكلهم قطع أنه لم يَرَ له شبها ، بل يسمع به ، بل لم يتوهم كون مثله ، حتى إنه كان أعجب ما يؤمله القاطع إلى الأندلس فى تلك العصور النظر إليه ، والتحدث عنه ، والأخبار عن هذا تتسع جداً ، والأدلة عليه تكثر ، ولو لم يكن فيه إلا السطح الممرَّدُ المُشْرِف على الروضة المُبَاهى بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستَشْرَف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مَسْنون وذهب

مَصُون[1] وعَمَد كأنما أفرغت فى القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبِرَك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياضٍ وتماثيلَ عجيبة الأشخاص لاتهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ، فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة كيما يُرى الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعدّه لأهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلّط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرَّم ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .

وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حيان صاحب الشرطة أن مبانى الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ، ونيِّف على[2] ثلثمائة سارية هوستَّ عشرةَ ، قال: منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ، وأن مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه ، والله سبحانه أعلم فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجلّه خطرا ، وأعظمه شأنا ، انتهى .

قلت : فسر بعضهم ذلك النيف فى كلامه بثلاث عشرة ، والله أعلم .

وقال بعض من أرخ الأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فَتًى وسبعمائة وخمسين فَتًى ، ودِخَالتهم من اللحم كل يوم ـ حاشا أنواع الطير والحوت ـ ثلاثة عشر ألف رطل ، وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ، وخدم الخِدْمَة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة ، انتهى .

وقيل : إن عدد الصبيان[3] الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون ، وجعل بعضٌ مكان الخمسين سبعة وثمانين .

---

(١) فى ا « وذهب موضون »
(٢) فى ا « ونيف هو ثنتا عشرة على ـ إلخ »
(٣) فى ا « عدد الفتيان » .

وقال آخر : ستة آلاف صَقْلبى وسبعة وثمانون ، والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم ، وينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم ، انتهى .

ثم قال الأول : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى مادون ذلك ، سوى الدجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحيتان ، انتهى .

مبدأ الزهراء عمارة ونفقاتها

وقال ابن حيان : ألفيت بخط ابن دحُّون[1] الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبدالرحمن الناصر لدين الله بعمارة[2] الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكان مبلغ ماينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت [المنجور] المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المصرف فى التبليط ، فإنه لم يدخل فى هذا العدد ، وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل ، وقيل أكثر منها : أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية[3] الراتبة الخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر ، يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص[4] فى كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل ، وكان فيها حمامان : واحد للقصر ، وثانٍ للعامة .

وذكر بعض أهل الخِدْمَة فى الزهراء أنه قدر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها ، لأنه توفى سنة خمسين ، فحصل جميع الإنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

---

(١) فى ب « ابن دجون » وفى نسخة عند ا « دخون » وأثبتنا مافى أصل ا
(٢) فى ا « بنيان الزهراء » وما أثبتناه موافق لما فى ب ونسخة عند ا
(٣) فى أصل ا « الأكرياء » . (٤) فى ا « من الجيار والجص »

قال : وجلب إليها الرخام من قَرْطَاجَنة وإفريقية وتونس ، وكان الذين يجلبونه عبدالله بن يونس عريف البنائين وحسن بن محمد وعلى بن جعفر الإسكندرانى ، وكان الناصر يَصِلُهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير ، انتهى .

وقال بعض ثقات المؤرخين : إنه كان يَصِلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير ، وعلى كل سارية بثمانية دنانير ، قيل[1] : وكان عدد السوارى المجلوبة من إفريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ، ومن بلاد الإفرنج تسع عشرة سارية، وأهدى إليه ملك الروم مائة وأربعين سارية ، وسائرها من مقاطع الأندلس طَرَّكونة وغيرها، فالرخام المجزع من ريَّة ، والأبيض من غيرها، والوردى والأخضر من إفريقية من كنيسة إسفاقُسَ ، وأما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالى القيمة فجلبه إليـه أحمد اليونانى من القسطنطينية مع ربيع الأسقف القادم من إيلياء ، وأما الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان فجلبه أحمد من الشام ، وقيل : من القسطنطينية مع ربيع الأسقف أيضا ، وقالوا : إنه لاقيمة له لفرط غرابته وجماله ، وحمل من مكان إلى مكان حتى وصل فى البحر[2]، ونصبه الناصر فى بيت المنام فى المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس ، وجعل عليه اثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالى مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد بجانبه [3] غزَال إلى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل ، وفى المجنبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحِدَأة ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، ويخرج المـاء من أفواهها ، وكان المتولى لهذا البنيان المذكور ابنُه الحكم ، لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره ، وكان يخبز فى أيامه[4] فى كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة ، وقيل : أكثر، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه .

---

(١) فى ا « قال » (٢) فى ا « إلى البحر »
(٣) فى ا « إلى جانبه » (٤) فى ا « على أيامه »

وكان الناصر كما قدمنا قسم الجباية أثلاثا : ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر ، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكُوَر والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ، ومن السوق والمستخلص[1] سبعمائة ألف[2] وخمسة وستين ألف دينار ، وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان .

وقد سبق هذا كله ، وإنما كررته لقول بعضهم إثر حكايته له ، ما صورته : وقيل : إن مبلغ تحصيل النفقة فى بناء الزهراء مائة مدى من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة ، وقيل : إن مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا وسبعة أقفزة[3] من الدراهم المذكورة ، واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافةَ ابنه الحكم كلها ، وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا ، فسبحان الباقى بعد فناء الخلق ، لا إله إلا هو ، انتهى .

وقال ابن أصبغ[4] الهمدانى والفتح فى المطمح : كان الناصر كَلِفاً بعمارة الأرض ، وإقامة معالمها ، وانبساط مجاهلها[5]، واستجلابها من أبعد بقاعها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلوّ الهمة ، فأفضى به الإغراق فى ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره ، الذائع خبره ، المنتشر صيته فى الأرض[6]، واستفرغ جهده[7] فى تنميقها ، وإتقان قصورها ، وزخرفة مصانعها ، وانهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتخذه ثلاث جمع متواليات ، فأراد القاضى منذر أن يغض منه بمـا يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير[8] بالإنابة والرجوع ، فابتدأ فى أول خطبته بقوله تعالى : (أتبنون بكل

---

(١) في ب « ومن الستوق والمستخلص » وانظر ص ٦٦ من هذا الجزء
(٢) فى ا « ثمانمائة ألف » (٣) فى ا « وستة أقفزة »
(٤) فى ب ونسخة عند ا « ابن البديع » وفى نسخة « ابن حيان » وفى أخرى « ابن منذر » .
(٥) فى ا « وانبساط مياهها » (٦) فى ا « المنتشر فى الارض أثره »
(٧) فى ا « واستفرغ وسعه » (٨) فى ا « والتذكرة بالإنابة والرجعة »

وقد ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث خبر المهدى هذا وقتله .

وقد كان قيامه مشئوما على الدين والدنيا ، فإنه فاتح أبواب الفتنة بالأندلس وماحى معالمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتثر السلك ، وكثر [1] الرؤساء ، وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئاً فشيئاً حتى محا اسم الإسلام منها ، أعادها الله تعالى! .

رواية ابن خلدون فى ماشيده الناصر من المبانى

وقد ألم الولى ابن خلدون فى تاريخه بذكر الزهراء فى جملة مبانى الناصر ، فقال مانصه : ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره إلى تشييد القصور والمبانى ، وكان جده الأمير محمد وأبوه عبد الرحمن الأوسط وجده الحكم قد احتفلوا [2] فى ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الإتقان والضخامة ، وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمنيف ، فبنى هو إلى جانب الزاهر قصره العظيم ، وسماه « دار الروضة » وجلب الماء إلى قصورهم [من الجبل] واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر ، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ، ثم أخذ فى بناء المستنزهات [3] ، فاتخذ منية الناعورة خارج القصور ، وساق لها الماء من أعلى الجبل على أبعد مسافة ، ثم اختط مدينة الزهراء ، واتخذها لنُزُله ، وكرسيا لملكه ، وأنشأ فيها من المبانى والقصور والبساتين ماعَفَى على مبانيهم الأولى ، واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء ، متباعدة السياج ، ومسارح للطيور مظللة بالشباك ، واتخذ فيها دورا لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن ، وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس ، انتهى .

وأما الزاهرة فهى من مبانى [4] المنصور محمد بن أبى عامر .

وصف الزاهرة

قال ابن خلدون [فى] أثناء كلامه على المنصور ماصورته : وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ، ونقل إليها جزءا من الأموال والأسلحة ، انتهى .

(١) فى ب « وكسر الرؤساء » (٢) فى نسخة عند ا « اختلفوا »
(٣) فى ا « بناء المتنزهات » (٤) فى ا « فهى من بناء المنصور »

المنصور ابن أبى عامر يأمر ببناء الزاهرة

وقال غيره ، وأظنه صاحب المطمح : وفى سنة ثمان وستين وثلثمائة أمر المنصور بن أبى عامر ببناء الزاهرة ، وذلك عند ما [تكامل و] استفحل أمره ، واتّقد جَمْرُه [1] ، وظهر استبداده ، وكثر حُسّاده [وأضداده] وأنداده ، وخاف على نفسه فى الدخول إلى قصر السلطان ، وخشى أن يقع فى أشْطَان ، فتوثق لنفسه ، وكُشف له ما ستر عنه فى أمسه ، من الاعتزاز عليه ، ورفع الاستناد إليه ، وسما إلى ما سَمَتْ إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ، ويحله بأهله وذَوِيه ، ويضم إليه رياسته ، ويتم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة ، الموصوفة بالقصور الباهرة ، وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ، ونَسَّق فيها كل اقتدار معجز ونظم ، وشرع فى بنائها فى هذه السنة المؤرخة ، وحشد الصناع والفَعَلة ، وجلب إليها الآلات الجليلة ، وسَرْبَلها بهاء يرد الأعين كَليلة ، وتوسع فى اختطاطها ، وتولّع بانتشارها فى البسيطة وانبساطها ، وبالغ فى رفع أسوارها ، وثابر على تَسْوية أنجادها وأغوارها ، فاتسعت هذه المدينة فى المدة القريبة ، وصار بناؤها من الأنباء الغريبة [2] ، وبنى معظمها فى عامين .

انتقال المنصور إلى الزاهرة

وفى سنة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته ، فتبوّأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته ، واتخذ فيها الدواوين والأعمال وعمل فى داخلها الأهْرَاء [3] ، وأطلق بساحتها الأرحاء ، ثم أقطع ماحولها لوزرائه وكتابه ، وقوّاده وحجابه ، فابْتَنَوْا بها كبار الدور ، وجليلات القصور ، واتخذوا خلالها المستغَلّات المفيدة ، والمنازه المَشِيدة ، وقامت بها الأسواق ، وكَثُرت فيها الأرفاق ، وتنافس الناس بالنزول بأكنافها ، والحلول بأطرافها ، للدنو من صاحب الدولة ، وتناهى الغلوّ فى البناء حَوْله ، حتى اتصلت أرباضُها بأرباض قرطبة وكثرت بحَوْزَتها العمارة ، واستقرت فى بحبوحتها الإمارة ، وأفرد الخليفة من كل شىء

(١) يقال : شبت نار فلان ، واتقد جمر فلان ، ونحو ذلك ، كناية عن ظهور أمره ، ورفعة شأنه ، واعتلاء قدره (٢) فى أصل ا « من الأبنية الغريبة »
(٣) الأهراء : جمع هرى ، بضم فكسر فياء مشددة ، وهو بيت تخزن فيه الحبوب

وقال بعض [المؤرخين] فى ترجمة عبدالرحمن الداخل ماصورته : إنه لما تمهد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة ، فجدد مغانيها ، وشيد مبانيها ، وحصنها بالسور ، وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ، ووسع فناءه ، وأصلح مساجد الكور ، ثم ابتنى مدينة الرُّصافة منتزهاً له ، واتخذ بها قصراً حسناً ، وجناناً واسعة ، نقل إليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الأقطار ، انتهى

وكانت أخته أم الأصبغ ترسل إليه من الشام بالغرائب ، مثل الرمان العجيب الذى أرسلته إليه من دمشق الشام كامر ، وسيأتى كلام ابن سعيد بما هو أتم من هذا .

زيادة المنصور ابن أبى عامر فى مسجد قرطبة

ولما ذكر ابن بَشْكُوال زيادة المنصور بن أبى عامر فى جامع قرطبة قال : ومن أحسن ماعاينه الناس فى بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مُصَفَّدين فى الحديد من أرض قَشْتالة وغيرها ، وهم كانوا يتصرفون فى البنيان عوضاً من رَجَّالة المسلمين ، إذلالا للشرك وعزةً للاسلام ، ولما عزم على زيادته هذه جلس لأرباب الدور التى نقل أصحابها عنها بنفسه ، فكان يُؤْتَى بصاحب المنزل فيقول له : إن هذه الدار التى لك ياهذا أريد أن أبتاعها(1) لجماعة المسلمين من مالهم و[من] فَيْئهم لأزيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم ، فشَطِّطْ واطلب ما شئت ، فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له ، وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضاً منها ، حتى أتى بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت : لا أقبل عوضاً إلا داراً بنخلة ، فقال : تُبتاع لها دار بنخلة ، ولو ذهب فيها بيتُ المال ، فاشتريت لها دار بنخلة ، وبولغ فى الثمن ، وحكى ذلك ابن حيان أيضاً .

وقيل : إن إنفاق الحكم فى زيادة الجامع كان مائة ألف وواحداً وستين ألف دينار ونيفاً ، وكله من الأخماس .

وقال صاحب كتاب « مجموع المفترق » : وكان سقف البلاط من المسجد

(1) فى أصل ا « أريد ابتياعها » .

الجامع من القبلة إلى الجَوْف قبل الزيادة مائتين وخمساً وعشرين ذراعاً ، والعرض من الشرق إلى الغرب قبل الزيادة مائة(1) ذراع وخمسة أذرع ، ثم زاد الحكم فى طوله مائة ذراع وخمسة أذرع ، فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراعا ، وزاد محمد بن أبى عامر بأمر هشام بن الحكم فى عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعاً ، فتم العرض مائتى ذراع وثلاثين ذراعاً ، وكان عَدَدُ بلاطه أحد عشر بلاطاً ، عرض أوسطها ستة عشر ذراعاً ، وعرض كل واحد من اللذين يليانه غرباً واللذين يليانه شرقا أربعة عشر ذراعاً ، وعرض كل واحد من الستة الباقية إحدى عشرة ذراعاً ، وزاد ابن أبى عامر فيه ثمانيةً عرضُ كل واحد عشرة أذرع ، وكان العمل فى زيادة المنصور سنتين ونصفاً ، وخدم فيه بنفسه ، وطول الصحن من المشرق إلى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعاً ، وعرضه من القبلة إلى الجَوْف مائة ذراع وخمسة أذرع ، وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع ، فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا ، وعدد أبوابه تسعة : ثلاثة فى صحنه غرباً وشرقاً وجوفاً ، وأربعة فى بلاطاته : اثنان شرقيان واثنان غربيان ، وفى مقاصير النساء من السقائف بابان ، وجميعُ ما فيه من الأعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عموداً ، رخاما كلها ، وباب مقصورة الجامع ذهب ، وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفُسَيْفِساء ، وثُرَيَّات المقصورة فضة محضة ، وارتفاعُ الصومعة اليوم — وهى من بناء عبد الرحمن بن محمد — ثلاثة وسبعون ذراعا إلى أعلى القبة المفتحة التى يستدير(2) بها المؤذن ، وفى رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ، ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف ، فاثنان من التفافيح ذهب إبريز ، وواحدة فضة ،

(1) كذا فى ا وفى ب « مائتا ذراع » ولا يستقيم على النسختين ما ذكره بعد ذلك من أن العرض قد صار مع الزيادة مائتين وثلاثين ذراعا ، ولعل أصل الكلام هنا « مائة ذراع وخمسين ذراعا » (2) فى ب « التى يستديرها »

تحريف القبلة إلى نحو المشرق ، حسبما فعله والدُه الناصر فى قبلة جامع الزهراء ، لأن أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة إلى نحو الغرب ، فقال له الفقيه أبو إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من أجدادك الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم ، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت ، متأسّين(١) بأوّل مَنْ نصبها من التابعين كموسى بن نُصَير وحنش الصنعانى وأمثالهم ، رحمهم الله تعالى ! وإنما فَضَلَ مَنْ فضل بالاتباع ، وهلك من هلك بالابتداع ، فأخذ الخليفة برأيه ، وقال : نِعْمَ ما قلت ، وإنما مذهبنا(٢) الاتباع .

قال ابن بَشْكُوال : ونقلت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة فى هذه الزيادة وما اتصل بها انتهت إلى مائتى ألف دينار وأحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهمين ونصف .

صومعة المسجد (المأذنة)

ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بَشْكُوال فقال : أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الأولى سنة ٣٤٠ وأقام هذه الصومعة البديعة ، فحفر فى أساسها حتى بلغ الماء مدّة من ثلاثة وأربعين يوماً ، ولما كملت ركب الناصر إليها من مدينة الزهراء وصَعد فى الصَّوْمعة من أحد دَرَجَيها(٣) ، ونزل من الثانى ، ثم خرج الناصر وصلى ركعتين فى المقصورة ، وانصرف ، قال : وكانت الأولى ذات مَطْلع واحد ، فصير لهذه مطلعين ، فَصَل بينهما البناء ، فلا يلتقى الراقون فيها إلا بأعلاها ، تزيد مراقى كل مطلع منها على مائةٍ سبعاً .

قال : وخبر هذه الصومعة مشهور فى الأرض(٤) ، وليس فى مساجد المسلمين صومعة تعدلها .

قال ابن سعيد : قال ابن بَشْكُوال هذا لأنه لم يرَ صومعة مراكش ولا صومعة إشبيلية اللتين بناهما المنصور من بنى عبد المؤمن ، فهما أعظم وأطول ،

(١) فى ا « مؤتسين » (٢) فى ا « وإنما مذهبي الاتباع »
(٣) فى ا «أحددرجيه» (٤) فى ا « مشهور فى الأندلس »

لأنه ذكر أن طول صومعة قرطبة إلى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعا وإلى أعلى الرمانة الأخيرة بأعلى الزج ثلاثة وسبعون ذراعا ، وعرضها فى كل تربيع ثمانية عشر ذراعا ، وذلك اثنان وسبعون ذراعا ، قال ابن سعيد : وطول صومعة مراكش مائة وعشرة أذرع ، وذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة القطيعة(١) مُنَجَّدة غاية التنجيد ، وفى أعلى ذروتها ثلاث شمسات يسمونها رمانات ملصقة فى السفود البارز فى أعلاها من النحاس : الثنتان منها ذهب إبريز ، والثالثة منها وسطى بينهما من فضة إكسير ، وفوقها سَوْسَنة من ذهب مسدّسة فوقها رمانة ذهب صغيرة فى طرف الزج البارز بأعلى الجوّ ، وكان تمام هذه الصومعة فى ثلاثة عشر شهراً .

أصل موضع المسجد

وذكر ابن بَشْكُوال فى رواية أن موضع الجامع الأعظم بقُرْطُبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها أهلُ قرطبة قُمَامتهم وغيرها ، فلما قدم سليمانُ بن داود صلى الله عليهما ودخل قرطبة قال للجن : أَرْدِمُوا هذا الموضع وعدّلوا مكانه ، فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ، ففعلوا ما أمرهم به ، وبنى فيه بعد ذلك الجامع المذكور ، قال : ومن فضائله أن الدارات المائلة فى تزاويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء إلى غيره بأحكم صَنْعة ، انتهى .

مصحف عثمان

وذكر مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الذى كان فى جامع قرطبة وصار إلى بنى عبد المؤمن فقال : هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، مما خَطَّه بيمينه ، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم ، انتهى .

وسنذكر فيه زيادة على هذا .

الزهراء ووصفها ومسجدها

وأما الزهراء فهى مدينة الملك التى اخترعها أميرُ المؤمنين عبدُ الرحمن الناصر لدين الله ، وقد تقدّم ذكره ، وهى من المدن الجليلة العظيمة القدر ، قال ابن الفرضى

(١) كذا فى ب ووقع فى أصل ا « القطعية » وفى نسخة عندها « القطيعة » ويراد بهما المقطوعة من الجبل .

والصغار أحد وعشرون بابا فى الجانب الغربى تسعة أبواب ، منها واحد كبير للنساء يشرع إلى مقاصيرهن ، وفى الجهة الشرقية تسعة أبواب ، منها لدخول الرجال ثمانية أبواب ، وفى الجهة الشمالية ثلاثة أبواب ، منها لدخول الرجال بابان كبيران، وباب لدخول النساء إلى مقاصيرهنّ ، وليس لهذا الجامع فى القبليّ سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة فى قبلته متصل بالساباط المُفْضِى إلى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر إلى الجامع لشهود الجمعة ، وجميعُ هذه الأبواب مُلَبّسة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة ، وعدد سوارى هذا المسجد الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة[1] بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من أعماله بين كبار وصغار ألفٌ وأربَعُمائة سارية وتسع سوار ، منها بداخل المقصورة مائة وتسع عشرة سارية ، وذكر المقصورة البديعة التى صنعها الحكم المستنصر فى هذا الجامع فقال : إنه خطر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكَمية ، وأطلق حفافيها على الستة الباقية ثلاثة من كل جهة ، فصار طولها من الشرق إلى الغرب خمساً وسبعين ذراعا ، وعرضها من جدار الخشب إلى سور المسجد بالقبلة اثنين وعشرين ذراعا ، وارتفاعُها فى السماء إلى حدّ شرفاتها ثمان أذرع ، وارتفاعُ كل شرفة ثلاثة أشبار ، ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة إلى الجامع شرقيّ وغربى وشمالىّ ، ثم قال : وذَرْعُ المحراب[2] فى الطول من القبلة إلى الجوف ثمان أذرع ونصف ، وعرضه من الشرق إلى الغرب سبع أذرع ونصف ، وارتفاع قبوه فى السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف ، والمنبر إلى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس وصَنْدَل ونَبْع وبَقّم وشَوْحَط وما أشبه ذلك ، ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم [وثُلُث درهم] وقيل غير ذلك ، وعدد درجه تسع درجات صنعة الحكم المستنصر رحمه

(١) فى ا « والملصقة » وفى نسخة عندها « والملاصقة »

(٢) ذرع المحراب : أى مقياسه بالذراع .

الله ، وذكر أن عدد ثُرَيّات الجامع التى تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة ـ سوى ما منها على الأبواب ـ مائتان وأربع وعشرون ثُرَيًّا ، جميعُها من لاطونٍ[1] مختلفة الصنعة ، منها أربع ثريَّات كبار معلقة فى البلاط الأوسط أكبرها الضخمة المعلقة فى القبة الكبرى التى فيها المصاحف حيال المقصورة ، وفيها من الشُّرُج ـ فيما زعموا ـ ألف وأربعمائة وأربعة[2] وخمسون ، تستوقد هذه الثريات الضخام فى العشر الأخير من شهر رمضان ، تسق كل ثريا منها سبعة أرباع فى الليلة ، وكان مبلغ ما ينفق من الزيت على جميع المصابيح فى هذا المسجد فى السنة أيام تمام وَقوده فى مدة ابن أبى عامر مكملة[3] بالزيادة المنسوبة ألف ربع ، منهاَ فى شهر رمضان سبعمائه وخمسون ربعا ، قال : وفى بعض التواريخ القديمة كان عدد القَوَمة بالمسجد الجامع بقرطبة فى زمن الخلفاء وفى زمن ابن أبى عامر ثلثمائة ، انتهى . وفيه مخالفة لبعض ما تقدم .

وذكر بعضهم الزيت ـ ولكن قوله أولى بالاتباع ، لنقله عن ابن بشكوال، ولمعرفة ابن سعيد بمثل هذا وتحقيقه فيه أكبر من غيره ، والله سبحانه أعلم ـ فقال : ألف ربع وثلاثون ربعا ، منها فى رمضان خمسمائة ربع ، وفى الثريات التى من الفضة ـ وهى ثلاثة ـ اثنان وسبعون رطلا ، لكل واحدة ثمانية عشر فى ليلة وَقْدها . وقال فى المنبر : إنه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل ، قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضة ، وسمرت بمسامير الذهب والفضة ، وفى بعضها نفيس الأحجار ، واتصل العمل فيه تسعة[4] ، ثم قال : ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا ، وتحتوى على ألف كأس وأربعة وثمانين ، كلها مُوَشَّاة بالذهب ، إلى غير ذلك من الغرائب .

وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد إبراهيم بن صاحب الصلاة الولْبَنِي يصف جامع

(١) اللاطون : النحاس الأصفر

(٢) فى ا « ألف وأربعة وخمسون »

(٣) فى ب « مكمل بالزيادة »

(٤) فى نسخة عند ا « واتصل العمل فيه تسع سنين » وفى أخرى « سنين » بدون ذكر العدد

مَصُون[١] وعَمَد كأنما أفرغت فى القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبِرَك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياضٍ وتماثيلَ عجيبة الأشخاص لاتهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ، فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة كيا يُرِى الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعدّه لأهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلّط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرَّم ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .

وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حيان صاحب الشرطة أن مبانى الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ، ونيِّف على[٢] ثلثمائة سارية هوستَّ عشرةَ ، قال: منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ، وأن مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه ، والله سبحانه أعلم فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجلّه خطرا ، وأعظمه شأنا ، انتهى .

قلت : فسر بعضهم ذلك النيف فى كلامه بثلاث عشرة ، والله أعلم .

وقال بعض من أرخ الأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فَتًى وسبعمائة وخمسين فَتًى ، ودُخَالتهم من اللحم كل يوم ـ حاشا أنواع الطير والحوت ـ ثلاثة عشر ألف رطل ، وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ، وخدم الخِدْمَة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة ، انتهى .

وقيل : إن عدد الصبيان[٣] الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون ، وجعل بعضٌ مكان الخمسين سبعة وثمانين .

---

(١) فى ا « وذهب موضون »
(٢) فى ا « ونيف هو ثنتا عشرة على ـ إلخ »
(٣) فى ا « عدد الفتيان » .

وقال آخر : ستة آلاف صَقْلبى وسبعة وثمانون ، والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم ، وينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم ، انتهى .

ثم قال الأول : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى مادون ذلك ، سوى الدجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحيتان ، انتهى .

مبدأ عمارة الزهراء ونفقاتها

وقال ابن حيان : ألفيت بخط ابن دحُّون[١] الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبدالرحمن الناصر لدين الله بعمارة[٢] الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكان مبلغ ماينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت [المنجور] المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المصرف فى التبليط ، فإنه لم يدخل فى هذا العدد ، وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل ، وقيل أكثر منها : أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية[٣] الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر ، يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص[٤] فى كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل ، وكان فيها حمامان : واحد للقصر ، وثانٍ للعامة .

وذكر بعض أهل الخِدْمَة فى الزهراء أنه قدر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها ، لأنه توفى سنة خمسين ، فحصل جميع الإنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

---

(١) فى ب « ابن دجون » وفى نسخة عند ا « دخون » وأثبتنا مافى أصل ا
(٢) فى ا « بنيان الزهراء » وما أثبتناه موافق لما فى ب ونسخة عند ا
(٣) فى أصل ا « الأكرياء » . (٤) فى ا « من الجيار والجص »

مَصُون[1] وعَمَد كأنما أفرغت فى القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبِرَك عظيمة محكمة الصنعة ، وحياضٍ وتماثيلَ عجيبة الأشخاص لاتهتدى الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها ، فسبحان الذى أقدر هذا المخلوق الضعيف على إبداعها واختراعها من أجزاء الأرض المنحلة كيما يُرِى الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعدّه لأهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلّط عليها الفناء ، ولا تحتاج إلى الرَّم ، لا إله إلا هو المنفرد بالكرم .

وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حيان صاحب الشرطة أن مبانى الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ، ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ، ونيِّف على[2] ثلثمائة سارية هوستَّ عشرةَ ، قال: منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية ، وأن مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه ، والله سبحانه أعلم فإنها كانت من أهول ما بناه الإنس ، وأجلّه خطرا ، وأعظمه شأنا ، انتهى .

قلت : فسر بعضهم ذلك النيف فى كلامه بثلاث عشرة ، والله أعلم .

وقال بعض من أرخ الأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فَتًى وسبعمائة وخمسين فَتًى ، ودُِخَالتهم من اللحم كل يوم ـ حاشا أنواع الطير والحوت ـ ثلاثة عشر ألف رطل ، وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ، وخدم الخِدْمَة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة ، انتهى .

وقيل : إن عدد الصبيان[3] الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون ، وجعل بعضٌ مكان الخمسين سبعة وثمانين .

---

(١) فى ا « وذهب موضون »
(٢) فى ا « ونيف هو ثنتا عشرة على ـ إلخ »
(٣) فى ا « عدد الفتيان » .

وقال آخر : ستة آلاف صَقْلبى وسبعة وثمانون ، والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم ، وينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم ، انتهى .

ثم قال الأول : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى مادون ذلك ، سوى الدجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحيتان ، انتهى .

مبدأ الزهراء عمارة ونفقاتها

وقال ابن حيان : ألفيت بخط ابن دحُّون[1] الفقيه ، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس : بدأ عبدالرحمن الناصر لدين الله بعمارة[2] الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكان مبلغ ماينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت [المنجور] المعدل ستة آلاف صخرة ، سوى الصخر المصرف فى التبليط ، فإنه لم يدخل فى هذا العدد ، وكان يخدم فى الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل ، وقيل أكثر منها : أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ، ومن دواب الأكرية[3] الراتبة للخدمة ألف بغل ، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل فى الشهر ، يجب لها فى الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص[4] فى كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل ، وكان فيها حمامان : واحد للقصر ، وثانٍ للعامة .

وذكر بعض أهل الخِدْمَة فى الزهراء أنه قدر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها ، لأنه توفى سنة خمسين ، فحصل جميع الإنفاق فيها فكان مبلغه خمسة عشر بيت مال .

---

(١) فى ب « ابن دجون » وفى نسخة عند ا « دخون » وأثبتنا مافى أصل ا
(٢) فى ا « بنيان الزهراء » وما أثبتناه موافق لما فى ب ونسخة عند ا
(٣) فى أصل ا « الأكرياء » . (٤) فى ا « من الجيار والجص » .

عجبتُ لمن أبقى على خمرِ دَنِّه   غداةَ رأى نَوْرَ الحديقة نوّرا

عناية المنصور بدوابه ومبانيه

وذكر بعض مؤرخى الأندلس أن المنصور بن أبى عامر كان يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به ، وأنه كان إذا قدم من غزوة من غزواته لايحلُّ عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش ، وصاحب الأبنية لما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره ، قال : وكان له دخالة كل يوم اثنى عشر ألف رطل من اللحم ، حاشا الصيد والطير والحيتان ، وكان يصنع فى كل عام اثنى عشر ألف تُرْس عامرية لقصر الزاهرة والزهراء ، قال : وابتنى على طريق المباهاة والفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور والمتنزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة ، انتهى .

بين ابن شهيد والمنصور

ومن المطمح : أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الإيغال وغال فيها من عظماء الروم مَنْ غال ، وحل من أرضهم ما لم يُطْرق ، وراع منهم ما لم يُرَعْ قط ولم يَفْرَقْ ، وصدر صدراً سمَا به على كل حسناء عَقِيلة ، وجلا به كل صفحة للحسن صَقيلة ، ودخل قرطبة دخولا لم يُعْهَد ، وشهد له فيها يوم مثله لم يُشْهَد ، وكان ابن شُهَيد متخلفا عن هذه الغزوة لنِقْرس عداهُ عائده ، وحداهُ منتجعُه ورائده ، وابن شُهَيْد هذا أحد حجاب الناصر ، وله على ابن أبى عامر أيادٍ محكمة الأواصر ، وهو الذى نَهَضَ به أولَ انبعاثه ، وشَفَى أمره زمن التياثه ، وخاصم المصحفى عنه بلسان من الحماية ألدّ ، وتوخاهُ بإحسان قلده من الرعاية ما قلد ، وأسْمى رتبته ، وحَلّى بإعظام جاهه(1) لَبَّته ، وكان كثيرا ما يُتْحِفه ، ويَصِله ويُلْطِفه ، فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقَفَل ، نسى مُتَاحفته وغفل(2) ، فكتب إليه ابن شُهَيْد :

أنا شيخ والشيخ يَهْوَى الصَّبَايا   [يا] بنفسى أقيكَ كل الرَّزَايا
ورسولُ الإله أسْهَمَ فى الفى   ءِ لمن لم يُخِبَّ فيه المطايا

(1) فى أصل ا « وحلى بأعظم جاه جيده ولبته »
(2) فى أصل ا « فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقد نسى متاحفته أو غفل »

فاجْعَلَنى فديت أشكر معرو   فَكَ وابعَثْ بها عِذابَ الثَّنَايا

فبعث إليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جَوَار ، كأنهن نجومُ سَوَار ، وكتب إليه :

قد بعثنا بها كشمس النهار   فى ثلاث من المَهَا أبكارِ
فاتَّئِدْ واجْتَهِدْ فإنك شيخ   سَلَخ الليلَ عن بَياض النهارِ
صانك الله عن كلالكَ فيها   فمن العار كلة المِسْمَارِ

فكتب إليه ابن شُهَيد :

قد فضَضْنا ختامَ ذاك السِّوارِ   واصْطَبَغْنا من النَّجيع الجارى
ونَعِمْنا فى ظل أنْعَمِ ليلٍ   ولَهَوْنا بالبدْر ثم الدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام   ذى مَضَاء عَضْب الظُّبَا بتَّارِ
فاصطنعه فليس يَجْزيك كُفْراً   واتخذْهُ سَيفاً على الكفار

وقد قدمنا هذه الحكاية فى أخبار المنصور من الباب الثالث ، ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة .

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولانى

ومن كان فى أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبدُ الملك بن إدريس الخَوْلانى ، قال فى المطمح : عَلَم من الأعلام فريد(1) الزمان ، وعَيْن من أعيان البَيَان ، باهر الفصاحة ، طاهرُ الجناب والساحة ، تولى التحبيرَ أيامَ المنصور والإنشاء ، وأشعر بدولته الأفراح والانتشاء ، ولبس العزة مدتها(2) ضافية البُرود ، وورد بها النعمة صافية الورود ، وامتطى من جياد التوجيه ، وأعْنَق من لاحق والوجيه(3) ، وتمادى طَلَقه ، ولا أحد يلحقه ، إلى أيام المظفر فمشى على سَنَنه ، وتمادى السعدُ يترنم على فَنَنه(4) ، إلى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع ، صاحب دولته وأميرها المُطاع ، وكان أبو مروان قديم الاصطناع له والانقطاع ،

(1) فى ا « علم من أعلام الزمان »
(2) فى ب ونسخة عند ا « مدة ضافية البرود »
(3) لاحق ، والوجيه : اسما فرسين من جياد الخيل
(4) الفنن : الغصن

عجبتُ لمن أبقى على خمرِ دَنِّهِ   غَداةَ رأى لَوْزَ الحديقةِ نوّرا

عناية المنصور بدوابه ومبانيه

وذكر بعض مؤرخى الأندلس أن المنصور بن أبى عامر كان يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به ، وأنه كان إذا قدم من غزوة من غزواته لايحلُّ عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش ، وصاحب الأبنية لما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره ، قال : وكان له دخالة كل يوم اثنى عشر ألف رطل من لحم حاشا الصيد والطير والحيتان ، وكان يصنع فى كل عام اثنى عشر ألف تُرْس عامرية لقصر الزاهرة والزهراء ، قال : وابتنى على طريق المباهاة والفخامة مدينـــة الزاهرة ذات القصور والمتنزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة ، انتهى .

بين ابن شهيد والمنصور

ومن المطمح : أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الإيغال وغال فيها من عظماء الروم مَنْ غال ، وحل من أرضهم ما لم يُطْرق ، وراع منهم ما لم يُرَعْ قط ولم يَفْرَقْ ، وصدر صدراً سَمَا به على كل حسناء عَقيلة ، وجلا به كل صفحة للحسن صَقيلة ، ودخل قرطبة دخولا لم يُعْهَد ، وشهد له فيها يوم مثله لم يُشْهَد ، وكان ابن شُهَيْد متخلفا عن هذه الغزوة لِنِقْرِس عداهُ عائده ، وحداهُ منتجعُه ورائده ، وابن شُهَيْد هذا أحد حجاب الناصر ، وله على ابن أبى عامر أيادٍ محكمة الأواصر ، وهو الذى نَهَضَ به أولَ انبعاثه ، وشَفَى أمره زمن التياثه ، وخاصم المصحفى عنه بلسان من الحماية ألَدّ ، وتوخّاه بإحسان قلده من الرعاية ماقلده وأسْمَى رتبته ، وحَلَّى بإعظام جاهه[1] لَبَّته ، وكان كثيرا ما يُتْحِفه ، ويَصِله ويُلْطِفه ، فلما صـدر المنصور من غزوته هذه وقَفَل ، نسى مُتَاحفته وغفل[2] ، فكتب إليه ابن شُهَيْد :

أنا شيخ والشيخ يَهْوَى الصَّبَايا   [يا] بنفسى أقيكَ كلَّ الرَّزَايا
ورســـولُ الإله أسْهَمَ فى الفى ءِ لِمَنْ لم يُخِبَّ فيـــه المطايا

(١) فى أصل ا « وحلى بأعظم جاه جيده ولبته »
(٢) فى أصل ا « فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقد نسى متاحفته أوغفل »

فاجْعَلَنى فديت أشكر معرو   فَكَ وابْعَثْ بها عِذابَ الثّنَايا

فبعث إليـه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جَوَار ، كأنهن نجومٌ سَوَار ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنا بها كشمس النهار   فى ثلاث من المَهَا أبكارِ
فاتّئِدْ واجْتَهِـــدْ فإنك شيخ   سَلَخ الليلَ عن بياض النهارِ
صانك الله عن كلالِكَ فيها   فمن العار كَلّة المِسْمَارِ

فكتب إليه ابن شُهَيد :

قد فَضَضْنا خِتامَ ذاكَ السِّوارِ   واصْطَبَغْنا من النّجيع الجارى
ونَعِمْنا فى ظل أنْعَمِ ليـــلٍ   ولَهَوْنا بالبـــدْرِ ثم الدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام   ذى مَضَاء عَضْب الظُّبا بتّارِ
فاصطنعه فليس يَجزيك كُفْراً   واتخذْهُ سيفاً على الكفار

وقد قدمنا هذه الحكاية فى أخبار المنصور من الباب الثالث، ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة .

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولانى

وممن كان فى أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبدُ الملك بن إدريس الخَوْلانى ، قال فى المطمح : عَلَم من الأعلام فريد[1] الزمان ، وعَيْن من أعيان البَيَان ، باهر الفصاحة ، طاهرُ الجناب والساحة ، تولى التحبيرَ أيام المنصور والإنشاء ، وأشعر بدولته الأفراح والانتشاء ، ولبس العزة مدتَها[2] ضافية البُرود ، ووردها النعمة صافية الورود ، وامتطى من جياد التوجيه ، وأعْنَقَ من لاحق والوجيه[3] ، وتمادى طَلْقه ، ولا أحد يلحقه ، إلى أيام المظفر فمشى على سَنَنه ، وتمادى السعدُ يترنم على فَنَنه[4] ، إلى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع ، صاحب دولته وأميرها المُطاع ، وكان أبو مروان قديم الاصطناع له والانقطاع ،

(١) فى ا « علم من أعلام الزمان »   (٢) فى ب ونسخة عند ا « مدة ضافية البرود »
(٣) لاحق ، والوجيه : اسما فرسين من جياد الخيل
(٤) الفنن : الغصن

فقعلوا ذلك كله ، وانصرف .

ولعَمْرى إن هـذا لعزما وراءه مطمح ، ونصر لا يكاد الزمان يَجُود بمثله ويَسْمح ، خصوصاً إزالتهم جِيفَ قتـلاهم من الطريق ، وغصصهم[1] فى شربه ذلك بالريق .

ومن مآثره التى [هى] فى جبين عَصْره غـرة ، ولعين دهره قُرَّة ، أنه لما خَتَن أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبى ، ومن أولاد الضعفاء عدد لايحصر[2] ، فبلغت النفقة عليهم فى هذا الإعذار، خمسمائة ألف دينار ، وهذه مكرمة مُخَلَّدة ، ومنة مُقَلدة ، فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ! ويجعل للمسلمين فى فقد مثله أحسن العزاء !.

ومن مناقبه التى لم تتفق لغيره من الملوك فى غالب الظن[3] ، أن أكثر جنده من سَبْيِهِ على ما حققه بعضُ المؤرخين ، وذلك غاية المنح من الله والمنّ .

ومن أخباره الدالة على إقبال أمره وخيبة عدوّه وإدباره ، أنه ما عاد قط من غَزْوة إلا استعدّ لأخرى ، ولم تُهْزَم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة[4] وكفاه ذلك فَخْراً .

ومنها أنه لقيته ــ وقد عاد من بعض غزواته ــ امرأة نَغَّصَتْ عليه[5] بلوغ مُنَاه وشهواته ، وقالت له : يامنصور ، استمع ندائى ، فأنت فى طيب عيشك وأنا فى بكائى ، فسألها عن مصيبتها التى [عَمَّتها و] غَمّتها ، فذكرت له أن لها ابناً أسيراً فى بلادٍ سَمَّتْهَا ، وأنها لا يهنأ عيشها لفقده ، ولا يخبو ضِرام قلقها من وَقْده ، وأنشد لسان حالها

يا ذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَلِيّْ وَيْـ[ـحَ] الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيّْ

فرحَّب المنصور بها ، وأظهر الرقة بسببها ، وخرج من القابلة إلى تلك المدينة التى

(١) فى ا «وغصهم» بصاد واحدة مشددة (٢) فى ا « لاينحصر »

(٣) فى أصل ا « فى غابر الزمن »

(٤) شاتية : أى فى زمن الشتاء ، وصائفة : أى فى زمن الصيف

(٥) فى ا « نقمت عليه »

فيها ابنُها وجاسَ أقطارَهاَ وتخللها ، حتى دَوَّخها إذ أناخ عليها بكلكله[1] وذللها ، وأعراها من حُماتها و بنود الإسلام المنصورة ظَلَّلها ، وخَلّص جميعَ من فيها من الأسرى ، وجلبت عَوَامله إلى قلوب الكفرة كَسْرا ، وانقلبت عيون الأعداء حَسْرَى ، وتلا لسانُ حال المرأة : (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) .

فهكذا تكون الهمة السلطانية ، والنخوة الإيمانية ، فالله سبحانه يروّح تلك الأرواح فى الجنان ، و يرقى درجاتها و يعاملها بمَحْض الفضل والامتنان .

خطاب من ابن عبد البر إلى المنصور ابن أبى عامر

وقد تذكرت هنا والحديث شجون[2] ، و بذكر[3] المناسبات يَبْلُغ الطلابُ ما يَرْجُون ، كتابا كتبه الأديب الكاتبُ أبو محمد ابن الإمام الحافظ محدث الأندلس أبى عمر بن عبد البر النُّميْرى ، إلى المنصور بن أبى عامر ، وهو من ذرية المنصور الكبير الذى كنا نتحدث فى أخباره ، يمت إليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آبائه بتعظيم قدره وإكباره ، وهو : عَمَّر الله ببقاء سيدى ذى السابقتين بهجَةَ أوطانه ، ومَلَّكه عنان زمانه ، ومَدَّ عليه ظلال أمانه ، إنى أبقى الله الملك الكريم ، والسيد الزعيم ، لما أضاءت لى أهِلّة مفاخركم فى سماء الفخار ، وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الأحرار ، وأبصرت شمائلك الزهْرَ تهدى إليك من الهمم محامدها[4] ، ومحاسنك الغر توقظ لك من الآمال رَوَاقدها ، أيقنت أنه بحق انقادت لك القلوبُ بأعِنّتها[5] ، وتهادت إليك النفوسُ بأزمّتها ، فآليت أن لا ألم إلا بحِماك ، ولا أحطّ رَحْلا إلا بفنائك ، علما بأنك نثرة الفخر ، وغرة الدهر ، فتيمَّمت ساريا فى ساطع نورك ، متيمنا بيمن طائرك ، محققا للربح ، موقنا بالفَلَج والنُّجح ، حتى حللت فى دَوْحة المجد ، وأنخْتُ بدولة السعد ، واستشعرت لبسة الشكر والحمد ، وجعلت أنظِمُ من جَوَاهر الكلام ، ما يُرْبى على جواهر النِّظَام ، وأنثر من

(١) قالوا « أناخ الدهر بكلكله على فلان » يريدون أنه نال منه أعظم النيل ، والكلكل ــ بزنة جعفر ــ أصله صدر البعير ونحوه .

(٢) المثل المعروف « الحديث ذو شجون » أى أنه أنواع وضروب وأفانين .

(٣) فى ا « وفى ذكر » (٤) فى ا « من الهمم كامنها » (٥) فى ا « فى أعنتها »

وهى فى نهاية الحسن ، وبها خزانة كتب ، فيها تاريخ ابن عساكر ، وذيل هذا التاريخ واختصره أبو شامة ، سمعت عليه منه هنالك ما تيسر أيام إقامتى بدمشق.
وأولاد العادل ملوك البلاد فى صدر هذه المائة السابعة ، منهم الكامل والمعظم والأشرف ، وهؤلاء الثلاثة شهروا بالفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء ، انتهى .

شىء من خبر أحمد بن سعيد المرذغانى

وقال ابن سعيد ، فى ترجمة الرئيس صفى الدين أحمد بن سعيد المرذغانى (1) ، وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق : إن من شعره قوله :

كيف طابت نفوسكم بفراقى ... وفراقُ الأحباب مُرُّ المَذَاقِ
لو علمتم بلوعتى وصبابا ... تِى ووَجْدِى وزَفْرَتِى واحتراقى
لرَثَيْتُم للمستهام المُعَنَّى ... ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد : وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب « تاج المعاجم » ووجدت صاحبه الشهاب القوصى قد قال : أخبرنى بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها إلى مصر ، لأمر ضاق به صدره ، فهتف به هاتف فى النوم ، وأنشده :

يا أحمدُ اقْنَعْ بالذى أُعْطِيتَهُ ... إن كُنْتَ لا تَرْضَى لنفسك ذُلَّهَا
ودَعِ التكاثر فى الغِنَى لمعاشر ... أضحَوْا على جَمْعِ الدراهم وُلَّهَا
واعْلَمْ بأن الله جلَّ جلالُه ... لم يخلق الدنيا لأجلك كلَّهَا

فانثنى عزمه عن الحركة ، ثم بلغ ما أمّله دون سفر .

بعض خبر أحمد بن عبد الكريم دفترخوان

وقال ابن سعيد ، فى ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدِفْتِرْخُوان ، وهو الذى يقرأ (2) الدفاتر بين أيدى الملوك والأكابر : إنه كان يقرأ الدفاتر بين يدى العادل بن أيوب ، وكان يكتب له بالأشعار فى المواسم والفصول ، فينال من خيره ، وكتب له مرة وقد أظل الشتاء (3) فى دمشق فقال :

(1) فى ا « أحمد بن سعد المرذغانى » وفى ب « أحمد بن سعيد المردغانى » وفى نسخة عند ا « المزدغانى » (2) فى ب « وهو الذى كان يقرأ »
(3) فى أصل ا « وقد أطل الشتاء »

مَوْلاَىَ جاء الشتاء ... والكيس منه خَلاَء (1)
لا زَالَ يَجْرِى بما تر ... تَضِى عُلاك القَضَاءُ
وكلُّ كافٍ إليه ... يُحْتَاج فيه التواء (2)

فقال له العادل : هذا الضمير الذى فى البيت الأول على ماذا يعود؟ قال : بحسب مكارم السلطان ، إن شئت على الدراهم ، وإن شئت على الدنانير ! فضحك وقال : هات كيسك ، فأخرج له كيساً يسع قدر مائة دينار ، فملأه له ، وقال : أظنه كان مُعَدًّا عندك ، فقال : مثل السلطان مَنْ يكون جوده مظنونا .
وكتب إليه مرة وقد أملق :

أُنظر إلىَّ بعين جُودِكَ مرةً ... فلعلَّ محروم المطالب يرزق
طَيْرُ الرجاء على عُلاك مُحَلِّق ... وأظنُّه سيعود وَهْوَ مخلق

فأعطاه جملة دنانير ، وقال له : أُشْتَرِ بهذه ما تخلق به طير رجائك ، انتهى .

بين الرباطى وابن الربيب

وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة ، وهو أبو الحسن على بن مروان الرباطى (3) الكاتب :

أُنْسُ أخى الفضل كتابٌ أنيق ... أو صاحبٌ يُعْنَى بوُد وثيق
فإن تُعِرْهُ دون رَهْن به ... تخْسَرْهُ أو تخسَرْ وداد الصديق
ورُبَّما تخسر هَذَا وذا ... فاْسمَعْ رعاك اللهُ نُصْحَ الشفيق

قال : وأجابه المخاطب بهذه الأبيات ، وهو ابن الرَّبيب ، بنثر نصه : مثلك يُفيد تجربة قد نفق عليها عمر ، وضل عن فوائدها غِرٌّ غُمْر ، وقد أنفذتُ رهناً لا يسمح بإخراجه من اليد إلا ليدك ، فتفضل بتوجيه الجزء الأول ، فأنا أعلم أنه عندك

(1) فى أصل ا « والكيس منها خلاء » وهو أنسب بالدراهم والدنانير .
(2) يشير إلى كافات الشتاء المشهورة ، وقد جمعها ابن سكرة فى بيت واحد حيث يقول:
جاء الشتاء وعندى من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكأس طلا ... بعد الكباب و...... ناعم وكسا
(3) فى أصل ا « الزناطى »

حلا ماؤه كالرِّيق ممن أحِبُّهُ ... فمدت عليه حلة من حلى الخد

وقد كان مثل النهر من قبل مده ... فأصبح لما زاده المد كالوَرد

وقلت هذا لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه ، وإنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على أقطاره أبيض ، فإذا كان عباب النيل صار أحمر ، وأنشدنى علم الدين فخر الترك أيدَمُر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط :

حَبَّذا الفسطاط من والدة ... جَنَّبَتْ أولادَها دَرَّ الجَفَا[(١)]

يَرِدُ النيلُ إليها كَدِرًا ... فإذا ما زَجَ أهليها صفا

لطفوا فالمزن لا تألفهم ... خَجَلاً لما رأتهم ألطفا

ولم أر فى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط ، حتى إنهم ألطف من أهل القاهرة ، وبينهما نحو ميلين ، والحال أن أهل الفسطاط فى نهاية [من] اللطافة واللين فى الكلام ، وتحت ذلك من المَلَق وقلة المبالاة ورعاية[(٢)] قدر الصحبة وكثرة الممازجة والألفة ما يطول ذكره .

وأمّا ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندرانى والبحر الحجازى فإنه فوق ما يوصف ، وبه مجمع ذلك ، لا بالقاهرة ، ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد .

وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى ، لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند ، كما أن جميع زى[(٣)] الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط ، وكذلك ماينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية ، والخراب فى الفسطاط كثير ، والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة ، باعتبار انتقال السلطان إليها ، وسكنى الأجناد فيها ، وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن ، لمجاورتها للجزيرة الصالحية ، وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر ، انتهى .

(١) فى ب « جنبت أولادها دار الجفا » وأثبتنا ما فى ا

(٢) فى ا « برعاية قدر الصحبة » (٣) فى ا « ذى الجند »

قال المقريزى : يعنى ابنُ سعيد ما بنى على شقة مصر[(١)] من جهة النيل ، انتهى

وصف الروضة لابن سعيد

وقال ابن سعيد المذكور فى « المغرب ، من حلى المغرب » ما ملخصه : الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة ، وبها مقياس النيل ، وكانت منتزها لأهل مصر ، فاختارها الملك الصالح بن الملك الكامل سرير السلطنة[(٢)] ، وبنى فيها قلعة مُسَوَّرة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السَّمْك لم ترَ عينى أحسنَ منه ، وفى هذه الجزيرة كان الهَوْدَج الذى بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التى هام فى حبها ، والمختار بستان الإخشيد وقصره ، وله ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره ، ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار ، منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطى :

أرى سُرُجَ الجزيرة من بَعيدٍ ... كأحداق تُغَازِلِ فى المغازل

كأن مجرة الجوزاء خَطَّت ... وأثبتَتِ المنازلَ فى المنازل

قال : وكنت أبِيتُ بعض الليالى بالفسطاط ، فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدرى اللون ، ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور [هذه] القلعة ، وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها ، وهو من أعظم السلاطين فى البناء ، وأبصرت بهذه الجزيرة إيواناً لجلوسه لم ترعينى مثاله ، ولا يُقَدَّر ما أنفق عليه ، وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسى والكافورى والمجزَّع ما يذهل الأفكار ، ويستوقف الأبصار ، ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة فى بعضها حاظر حصر[(٣)] فيه أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان ، وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر ، قال : وقد تفرجت كثيراً فى طرف[(٤)] هذه الجزيرة مما يلى أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مُذْهَبَات ، لم تزل لأحزان الغربة مُذْهِبات ، وإذا زاد النيل فصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ، ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب ، انتهى .

(١) فى ا « شفة مصر » (٢) فى ا « سريراً لسلطنته »

(٣) فى أصل ا « خطر » ولعله محرف عن « حظر » وفى نسخة عند ا « خض »

(٤) فى ب « فى طرق هذه الجزيرة »

وقد عم ذلك مَنْ يعرف معاناة البحر منهم ومَنْ لا يعرف ، وهم فى القدوم عليها بين حالين : إن كان المغربى غنياً طولب بالزكاة وضُيِّق عليه(١) ، و إن كان مجرداً فقيراً حُمل إلى السجن حتى يحين وقت الأسطول

وفى القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال ، وهذا الشأن فى الديار المصرية يفضل كثيراً من البلاد ، وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول :

مَنْ فَضَّلَ النرجسَ وَهْوَ الذى   يَرْضَى بحكم الورد إذ يرأس
أما تَرَى الوردَ غَـدَا قاعداً   وقام فى خـدمته النرجس

وأكثر مافيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز ، أمّا التفاح والإجاص فقليل غال ، وكذلك الخوخ، وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الأخضر والأصفر ، وأما العنب والتين فقليل غال ، ولكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل ، ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء ، وعامتها يشربون المِزْرَ الأبيض المتخذ من الحنطة ، حتى إن الحنطة يطلع سعرها بسبب(٢) ذلك ، فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ، ولا ينكر فيها إظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرج النساء العواهر ، ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب ، وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب ، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب ، وذلك فى بعض الأحيان ، وهو ضيق ، عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة ، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العُبُور به فى مركب ، وللسُّرُج فى جانبيه بالليل منظر ، وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل ، وفى ذلك أقول :

لا تركَبَنْ فى خليج مصرٍ   إلا إذا أسْدِلَ الظَّلامُ

(١) فى ا « وضيقت عليه السعاة » جمع ساع ، وهو محصل الزكاة هنا

(٢) فى ا « بسببه »

فقد علمت الذى عليـه   من عالمٍ كلهم طَغَامُ
صفان للحرب قد أطـلا   سِـلاحُ ما بينهم كَلاَمُ(١)
يا سيدى لا تَسِرْ إليـه   إلا إذا هَـوَّمَ النيامُ
والليل سـتر على التصابى   عليه من فضله لثام
والسُّرْجُ قد بدت عليـه   منها دنانـير لاتُرام
وهو قد امتـدَّ والمبانى   عليه فى خـدمة قيام
لله كم دوحـة جنينا   هناك أثمارها الأثام

قال المقريزى : وفيه تحامل كثير ، انتهى .

ومَنْ نظر بعين الإنصاف علم أن التحامل فى نسبة التحامل إليه ، والله تعالى الموفق .

قال ابن سعيد : ومعاملة الفُسْطَاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء ، كل درهم منها ثلاث من الدراهم(٢) الناصرية ، وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ، ومخاصمة بين الفريقين ، وكان بها قديماً الفلوس ، فقطعها الملك الكامل ، فبقيت الآن مقطوعة منها ، وهى فى الإقليم الثالث ، وهواؤها ردىء ، لا سيما إذا هبَّ المَرِيسى من جهة القبلة ، وأيضاً فرَمَدُ العين فيها كثير ، والمعايش فيها متعذرة نَزْرة ، لا سيما أصناف الفضلاء ، وجوامك(٣) المدارس قليلة كدرة ، وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج ، والنصارى بها يمتازون بالزُّنَّار فى أوساطهم ، واليهود بعمائم صُفر ، و يركبون البغال ، و يلبسون الملابس الجليلة ، و يأكل أهل القاهرة البَطَارِخ ، ولا تصنع حلاوة القمح إلا بها و بغيرها من الديار المصرية ، وفيها جَوَارٍ طباخات أصلُ تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ، ولهن فى الطبخ صنائع عجيبة ، ورياسة متقدمة ، ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها

(١) فى ا « صفان للحرب قد أظلا » .

(٢) فى ا « ثلاث من الدرهم الناصرى » .

(٣) الجوامك : جمع جومك ، وهو الراتب الذى يعطى لرجالات الدولة .

فأعانه إسحاق على ذلك سريعاً ، ورَاشَ جناحه(١) ، فرحل عنه ، ومضى يبغى مغرب الشمس ، واستراح قلب إسحاق منه .

وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمساً فيه ، فأمر إسحاق بحضوره ، فقال : ومَنْ لى به يا أمير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يُزْهَى به من غنائه ، فما يرى فى الدنيا من يَعْدِله ، وما هو إلا أن أبطأتْ عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته ، فقدّر التقصير به ، والتهوين بصناعته ، فرحل مغاضباً ذاهباً على وجهه مستخفياً عنى ، وقد صنع الله تعالى فى ذلك لأمير المؤمنين ، فإنه كان به لَمَم(٢) يغشاه و يفرط خبطه ، فيفزع من رآه ، فسكن الرشيد إلى قول إسحاق ، وقال : على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير .

ومضى زرياب إلى المغرب ، فنُسِىَ بالمشرق خبره ، إذ لم يكن اسمه شهر هنالك شهرتَه بالصقع الذى قطنه ، ونزعت إليه نفسه ، وسَمَت به همته ، فأمَّ أمير(٣) الأندلس الحكم المباين لمواليه ، وخاطبه ، وذكر له نزاعه إليه ، واختياره إياه ، و يعلمه بمكانه من الصناعة التى ينتحلها ، و يسأله الإذن فى الوصول إليه ، فسرَّ الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع إليه وإجمال الموعد ما تمناه ، فسار زرياب نحوه بعياله وولده ، وركب بحر الزُّقاق إلى الجزيرة الخضراء ، فلم يزل بها حتى توالت عليه الأخبار بوفاة الحكم ، فهم بالرجوع إلى العدْوَة ، فكان معه منصور اليهودى المغنى رسول الحكم إليه ، فثَنَاه عن ذلك ورغبه فى قصد القائم مقام(٤) الحكم ، وهو عبد الرحمن ولده ، وكتب إليه بخبر زرياب ، فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه ، والسرور بقدومه عليه ، وكتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه ، و يوصلوه إلى قرطبة ، وأمر خصياً من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور

(١) راش جناحه : كناية يراد بها قواه وشد ساعده .

(٢) اللمم ـ بفتح اللام والميم جميعاً ـ الجنون الخفيف ، أو طرف من الجنون يلم بالإنسان .

(٣) أم : قصد

(٤) فى ا « مكان الحكم »

و إناث وآلات حسنة ، فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم ، وأنزله فى دار من أحسن الدور ، وحمل إليها جميع ما يُحْتاج إليه ، وخَلَعَ عليه ، و بعد ثلاثة أيام استدعاه ، وكتب له فى كل شهر بمائتى دينار راتباً ، وأن يجرى على بنيه الذين قدموا معه ـ وكانوا أربعة : عبدالرحمن ، وجعفر ، وعبيد الله ، و يحيى ـ عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر ، وأن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار ، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار ، وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح ، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة و بساتينها ومن الضياع ما يقوّم بأربعين ألف دينار ، فلما قضى له سؤله وأنجز موعوده وعلم أنْ قد أرضاه وملك نفسه استدعاه ، فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه ، فما هو إلا أن سمعه فاستهوله واطَّرح كل غناء سواه ، وأحبه حباً شديداً ، وقدمه على جميع المغنين ، وكان لما خلا به أكرمه غاية الإكرام ، وأدنى منزلته ، و بسط أمله ، وذاكره فى أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، فحرك منه بحراً زَخَر عليه مدّه(١) ، فأعجب الأمير به ، وراقه ما أورده ، وحضر وقتُ الطعام فشرفه بالأكل معه هو وأكابر ولده ، ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكا بما ذكرناه آنفاً ، ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه ، فتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراده .

وذكر أن زرياباً ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد ، فكان يَهُبُّ من نومه سريعاً فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة ، فيأخذان عودهما ، و يأخذ هو عوده ، فيطارحهما ليلته ، ثم يكتب الشعر ، ثم يعود مجلا إلى مضجعه ، وكذلك يحكى عن إبراهيم الموصلى فى لحنه البديع المعروف بالماخورى أن الجن

(١) فى ا « فحرك عليه بحرا ـ إلخ » زخر البحر : طما وتملأ ، والمد : ارتفاع ماء البحر ، وقالوا «زخر القوم» إذا جاشوا لنفير أو حرب

يا من يَضَنّ بصوت الطائر الغَـرِدِ ... ما كنت أحسب هذا الضن من أحد(١)

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة ... أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات ، فخرج حافياً لما وقف على ذلك ، وأدخله إلى مجالسه ، وتمتع من سماعها ، رحم الله تعالى الجميع ! .

وقال علوية : كنت مع المأمون لما قدم الشام ، فدخلنا دمشق ، وجعلنا نطوف فيها على أماكن بنى أمية ، فدخلنا قصرا مفروشاً بالرخام الأخضر ، وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقى بستاناً ، وفى القصر من الأطيار ، ما يغنى صوته عن العود والمزمار ، فاستحسن المأمون ما رأى ، وعزم على الصَّبوح ، فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ، ثم قال لى : غَنِّ بأطيب صوت وأطربه ، فلم يمر على خاطرى غير هذا الصوت :

لو كان حولى بنو أميـة لم ... ينطق رجال أراهمُ نطقوا

فنظر إلى مغضبا ، وقال : عليك لعنة الله وعلى بنى أمية ! فعلمت أنى قد أخطأت ، فجعلت أعتذر من هَفْوَتى ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، أتلوموننى أن أذكر موالى بنى أمية ، وهذا زرياب مولاك عندهم بالأندلس ، يركب فى أكثر من مائة مملوك وفى ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع ، وإنى عندكم أموت جوعا ، وفى الحكاية طول واختلاف ، ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب ، رحم الله تعالى الجميع ! .

وذكرها الرقيق(٢) فى كتاب « معاقرة الشراب » على غير هذا الوجه ، ونصه : وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج ، فمر ببركة عظيمة من برك بنى أمية ، وعلى جانبها أربع سروات ، وكان الماء يدخل سَيْحا ، فاستحسن المأمون

(١) الغرد — بفتح فكسر — الوصف من قولهم « غرد الطائر » من مثال فرح — إذا رفع صوته وطرب به ، ويقال « غرد » بكسر فسكون — أيضاً ، والضن : البخل ، يقول : إن السماح للناس باستماع هذا الصوت لا يجشمك شيئا ولا ينقص منه ، فلماذا تبخل عليهم بذلك ؟

(٢) ويقول أحيانا « ابن الرقيق »

الموضع ، ودعا بالطعام والشراب ، وذكر بنى أمية ، فوضع منهم وتَنَقَّصَهُم ، فأخذ علوية العود واندفع يغنى :

أرى أسرتى فى كل يوم وليلة ... يَرُوحُ بهم داعى المنون ويغتدى

أولئك قوم بعـد عز وثروة ... تفانَوْا فإلّا أذرفِ العينَ أكْمَدِ(١)

فضرب المأمون بكأسه الأرض ، وقال لعلوية : يا ابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه إلا هذا الوقت ؟ فقال : مولاكم زرياب عند مواليّ بالأندلس يركب فى مائة غلام ، وأنا عندكم بهذه الحالة ، فغضب عليه نحو شهر ، ثم رضى عنه ، انتهى .

ونحوه لابن الرقيق(٢) فى كتابه « قطب السرور » وقال فى آخر الحكاية : وأنا عندكم أموت من الجوع ، ثم قال : وزرياب مولى المهدى(٣) ، ووصل إلى بنى أمية بالأندلس فعلت حاله ، حتى كان كما قال علوية ، انتهى .

ولما غنى زرياب(٤) بقوله :

ولو لم يَشُقْنِى الظاعنون لَشَاقَنِى ... حمام تداعت فى الديار وُقُوعُ

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائح ما تجرى لهن دموع

ذَيَّلَهَا عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال :

شددت بمحمود يدًا حين خانها ... زمانٌ لأسباب الرجاء قَطُوعُ

بنى لِمَسَاعى الجود والمجد قبلة ... إليها جميع الأجودين ركوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا أبا القاسم ، أعَزُّ ما يحضرنى من مالى القُبَّة ، يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار ، وهى لك بما فيها مع كسوتى هذه ، ونكون فى ضيافتك بقية يومنا ، ودعا بكسوة فلبسها ، ودفع إليه الكسوة .

(١) فإلا : مؤلفة من ثلاث كلمات ، الفاء العاطفة ، وإن الشرطية ، ولا النافية ، وأذرف العين : أسيل دمعها ، وأكمد : أحزن

(٢) انظر الهامشة رقم ٢ فى ص ١٢٨ وص ١٣١ وص ١٤٤

(٣) فى ب « ولى المهدى » (٤) فى ا « ولما غنى ابن زرياب »

بخطه ، وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التى تُشَدُّ إليها الرحال(١) ، ووقف(٢) عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمسامحتها من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين ابن نُبَاتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله : وهو الذى مَدَّ يمينه بالسيف والقلم فكُتِبَ فى أصحابها ، وسطر الختمات الشريفة فأيَّدَ الله حزبه بما سطر من أحزابها ، واتصلت(٣) ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لأملياء الغرب(٤) فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى ، وخَطَّ سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الأعداء بالهِنْدِى(٥) ، ورتب عليها أوقافاً تجرى أقلام الحساب(٦) فى إطلاقها وطَلَقها ، وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التى سرت من مغرب الأرض إلى مشرقها ، والله تعالى يمتع مَنْ وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الأمور فى تقريرها ويتقبل من الواقف ، انتهى .

قلت : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة ، وهو الذى ببيت المقدس ، ور بعته فى غاية الصنعة .

وصف أبى الحسن المرينى لبعض المشارقة

وقال بعض المشارقة فى حق السلطان أبى الحسن ، ما صورته : ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله ، وجرت إلى المشرق أنواء نواله ، وطابت نَسَماتُه ، واشتهرت عَزَماتُه ، كان حسن الكتابة ، كثير الإنابة ، ذا بلاغة و براعة ، وشهامة وشجاعة ، كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة(١) ، أقام فى الملك عشر سنين وسبعة أيام ، ثم صُرِف بولده أبى عنان بعد حروب يطول شرحها ، انتهى من كتاب نزهة الأنام(٧) .

(١) هى المسجد الحرام ، ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الأقصى
(٢) فى أصل ا « وأوقف عليها » وفى نسخة عندها « وقفا جليلا »
(٣) فى ا « واتصلت أخبار ملائكة النصر » (٤) أملياء : جمع ملى
(٥) الهندى : السيف لأنه يصنع بالهند
(٦) فى ا « أقلام الحسنات » (٧) فى نسخة « نزهة الأيام »

هدية من السلطان أبى الحسن إلى الملك الناصر

ولما ذكر الإمام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه « المسند الصحيح الحسن ، من أخبار السلطان أبى الحسن » أمرَ الربعة التى أرسلها السلطانُ أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه : وأرسل معها للسلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ، ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ، ومن الزبرجد [مائة و](١) ثمانية وعشرين ، ومن الجوهر النفيس الملوكى ثمانمائة وأربعة وستين ، وأرسل حُلَلاً كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ، ومن الإناق عشرين مذهبة ، ومن الخلادى ستة وأربعين ، ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ، ومن المحررات المختمة ثمانمائة ، ومن الرصان عشرين شقة ، والأكسية المحررة أربعة وعشرين ، والبرانس المحررة ثمانية عشر ، والمشفقات(٢) مائة وخمسين ، وأحارم الصوف المحررة عشرين ، ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ، ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق(٣) والحلل ثمانمائة ، وأوجه اللحف المذهبة عشرين ، وحائطان حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير ، وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ، ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة ، والسروج عشرة بركب ذهب ومهاميز ذهب كذلك(٤) ، وثلاث ركب فضة ، وستة مزججة ومذهبة ، ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك ، وشاشية حرير مطوقة(٥) بذهب مكلل بالجوهر ، ومن لزمات الفضة عشرة ، وسرج مخروزة بالفضة عشرة ، وعشر علامات(٦) معششة مذهبة ، وعشر رايات مذهبة ، وعشر براقع مذهبة ، وعشر أمثلة مرقومة ، وثلاثين جلداً شرك ، وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانية عشر بنهود الفضة ، وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة

(١) كلمة « مائة » ساقطة من أصل ا
(٢) فى ب ونسخة عند ا « المشقفات »
(٣) فى نسخة عند ب « المنبوت » (٤) فى ب « والمهاميز الذهب كذلك »
(٥) فى ب ونسخة عند ا « وشاشية حديد بذهب » (٦) لعله « ملاءات »

لها أربعة أبواب ، وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة، وهى حرير أبيض ومرابطها حرير ملوّن وعمودها عاج وآبنوس ، وأكبارها من فضة مذهبة ، ومن البزاة الأحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ، ومن عِتاق الخيل العِراب ثلثمائة وخمساً وثلاثين[١]، ومن البغال الذكور والإناث مائة وعشرين ، ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمّ برسم الحج مع الرَّبْعة المكرمة ، وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهباً ، ولقاضى الركب ثمانمائة وكسوة ، ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات ، وللرسول المعين للهدية ألفاً ، والشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ، ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة، ولشراء رَبْعٍ[٢] ستة عشر ألفاً وخمسمائة ذهباً ، انتهى .

وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ، ومنها لصاحب الأندلس صلة وصدقة [وهدية] فى مرات ، ومنها لملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلاطين السودان كصاحب مالى ، ومنها لصاحب إفريقية ، ومنها لصاحب تلمسان ، انتهى .

وقال مؤرخ مصر المقريزى فى كتاب « السلوك » فى سنة ٧٣٨ ما نصه : وفى ثانى عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ، ومعها هدية جليلة إلى الغاية ، نزل لحملها من الإصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال ، وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حِجْرَة[٣] ومائة فحل ومائتا بغل ،

(١) فى ا « وخمسة وثلاثين »

(٢) فى ا « ولشراء ربع »

(٣) الحجرة · الأنثى من الخيل ، والفصيح بغير هاء

وجميعها بسُرُج ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وبعضها سرجُها وركبها كلها ذهب ، وكذلك لجمها ، وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر ، وفيها اثنان وثلاثون بازا ، وفيها سيفٌ قُرابه [ذهب] مرصع، وحياصة[١] ذهب مرصع، وفيها مائة كساء ، وغير ذلك من القماش العال ، وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم ، وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح ، وهم جمع كثير[٢] جداً ، وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة ، ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسْرِهم على قدر مراتبهم ، حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة هذه الهدية ما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نُقِلَت الحرة إلى الميدان بمن معها ، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرةً وعشيةً ماعمهم وفضل عنهم[٣]، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ، ونصف أردب أرز ، وقنطار حب رمان ، وربع قنطار سكر ، وثمان فانوسيات شمع ، وتوابل الطعام ، وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم ، وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ، ثم خلع على جميع مَنْ قدم مع الحرة ، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم ، حتى خلع على الرجال الذين قادوا[٤] الخيول ، وحمل إلى الحرة من الكسوة ما يجل قدره ، وقيل لها أن تُمْلِي ما تحتاج إليه ولا يعوزها شىء ، وإنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام مَنْ معها حيث كانوا ، فتقدم السلطان إلى النشو وإلى الأمير أحمد أقبغا[٥] بتجهيزها اللائق بها ، فقاما بذلك ، واستخدما لها السقائين والضوية[٦] ، وهَيَّآ كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط ، وطلبا الجمالة لحمل جهازها

(١) فى ا « وحياصته ذهب مرصع »

(٢) فى أصل ا « جمع كبير »

(٣) فى ا « وفضل منهم »

(٤) فى ا « قادوا الخيل »

(٥) فى أصل ا « الأمير أقتغا »

(٦) فى ا « والضوئية »

لها أربعة أبواب ، وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة، وهى حرير أبيض ومرابطها حرير ملوّن وعمودها عاج وآبنوس ، وأكبارها من فضة مذهبة ، ومن البزاة الأحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ، ومن عِتاق الخيل العِراب ثلثمائة وخمساً وثلاثين[1]، ومن البغل الذكور والإناث مائة وعشرين ، ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الرَّبْعة المكرمة ، وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهباً ، ولقاضى الركب ثثمائة وكسوة ، ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة و بغلات ، وللرسول المعين للهدية ألفاً ، ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ، ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة، ولشراء رَبْعٍ[2] ستة عشر ألفاً وخمسمائة ذهباً ، انتهى .

وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ، ومنها لصاحب الأندلس صلة وصدقة [وهدية] فى مرات ، ومنها للملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلاطين السودان كصاحب مالى ، ومنها لصاحب إفريقية ، ومنها لصاحب تلمسان ، انتهى .

وقال مؤرخ مصر المقريزى فى كتاب « السلوك » فى سنة ٧٣٨ ما نصه : وفى ثانى عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ، ومعها هدية جليلة إلى الغاية ، نزل لحملها من الإصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال ، وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حِجْرَةٍ[3] ومائة فحل ومائتا بغل ،

(١) فى ا « وخمسة وثلاثين »

(٢) فى ا « ولشراء ربع »

(٣) الحجرة · الأنثى من الخيل ، والفصيح بغير هاء

وجميعها بسُرُج ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، و بعضها سرجُها وركبها كلها ذهب ، وكذلك لجمها ، وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر ، وفيها اثنان وثلاثون بازا ، وفيها سيفٌ قُرابه [ذهب] مرصع، وحياصة[1] ذهب مرصع، وفيها مائة كساء ، وغير ذلك من القماش العال ، وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم ، وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح ، وهم جمع كثير[2] جداً ، وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة ، ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسْرِهم على قدر مراتبهم ، حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة هذه الهدية ما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نُقِلَت الحرة إلى الميدان بمن معها ، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرةً وعشيةً ماعمهم وفضل عنهم[3]، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ، ونصف أردب أرز ، وقنطار حب رمان ، وربع قنطار سكر ، وثمان فانوسيات شمع ، وتوابل الطعام ، وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم ، وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ، ثم خلع على جميع مَنْ قدم مع الحرة ، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم ، حتى خلع على الرجال الذين قادوا[4] الخيول ، وحُمل إلى الحرة من الكسوة ما يجل قدره ، وقيل لها أن تُمْلِي ما تحتاج إليه ولا يعوزها شىء ، وإنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام مَنْ معها حيث كانوا ، فتقدم السلطان إلى النشو وإلى الأمير أحمد أقبغا[5] بتجهيزها اللائق بها ، فقاما بذلك ، واستخدما لها السقائين والضوية[6] ، وهَيَّآ كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط ، وطلبا الحمالة لحمل جهازها

(١) فى ا « وحياصته ذهب مرصع »

(٢) فى أصل ا « جمع كبير »

(٣) فى ا « وفضل منهم »

(٤) فى ا « قادوا الخيل »

(٥) فى أصل ا « الأمير أقتغا »

(٦) فى ا « والضوئية »



تأليف

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي

المتوفى ٩٢٧

١٩٨٨

تحقيق

جعفر الحسني

عضو المجمع العلمي العربي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة . ت : ٩٢٢٦٢٠

رباطاً ، وعمَّر القدس وساق إليـــه الماء وأدخله الحرم على باب المسجد الأقصى ، وعمَّر به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية ، وعمر بصفد (١) البيمارستان المعروف به وخاناً وغيرها ، وله بجلجولية (٢) خان المنة (٣) للسبيل في غاية الحسن ، وبالقاهرة في الكافوري دار عظيمة وحمام وحوانيت وغير ذلك ، وجدّد القنوات بدمشق وكانت مياهها قد تغيرت ، وجدد عمائر المساجد (٤) والمدارس ، ووسع الطرقات بها واعتنى بأمرها ، وله في سائر الشام آثار وأملاك وعمائر انتهى ملخصاً . وقد بسط أحواله وأموره في نحو نصف كراسة فراجعه . ثم غضب السلطان عليه وجهز للقبض عليه جماعة ، فاستسلم وأخذ سيفه وقيّد خلف مسجد القدم (٥) ، وجُهّز إلى السلطان في ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة ، وتأسف أهل دمشق عليه ، واحتيط على حواصله ، ثم جهز إلى الاسكندرية وحبس بها مدة دون الشهر ، ثم قضى الله تعالى فيه أمره ، وصلى عليه أهل الاسكندرية ، وكان قبره يزار ويدعى عنده ، ولما كان في أوائل شهر رجب سنة أربع واربعين وسبعمائة أحضر تابوته من الاسكندرية إلى دمشق ودفن في تربته جوار الجامع المعروف بانشائه ، ورثاه الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى بأبيات طويلة ، ورأيت في قائمة قديمة من وقف دار القرآن والحديث هذا الهلالي (٦) : سوق القشاشين ، خارج السوق حوانيت ثمانية عشر حانوتاً ، وداخل السوق حوانيت أيضاً عدة تسعة عشر حانوتاً ، وبحارة القصر طبقتان واصطبل ،

---

(١) في (صل) : « بصف » والتصحيح من (م) وصفد هي بلدة في شمال فلسطين .

(٢) قال وستنفلد في تعليقاته على معجم البلدان ٥ : ١٧ « لم يذكرها المؤلف وهي قرية شهيرة بالقرب من الرملة ولم ارَ احداً ذكرها » .

(٣) لعله : « خان المنية » .

(٤) في (صل) : « المسجد » والتصحيح من (مخ و م) .

(٥) خارج دمشق مما يلي باب مصر .

(٦) كذا في (صل) ، وفي (مخ و م) : « هذه الهلالي » ولعل هذه الكلمة تفيد معنى الشهري أي : هذه القائمة الشهرية .

والخراجي بزبدين (١) بستان يعرف بالبندر ، وبها مشيخة الاقراء باسم البرهان الاربدي والامامة (٢) في الشهر مائة وعشرين ، وثلاث مشيخات للحديث الأولى باسم البرهان بن التقي ، شهره خمسة عشر ، الثانية باسم أولاد الشيخ شهره كذلك ، الثالثة باسم الشمس الأرموي شهره كذلك ، والمشتغلون بالقرآن العظيم عدة اثنى عشر لكل واحد في الشهر سبعة ونصف ، والمستمعون (٣) عدة خمسة لكل واحد في الشهر كذلك ، ولكاتب (٤) الغيبة في الشهر عشرة ، وأذان وبوابة وقيامة أربعين ، وصحابة الديوان أربعين ، والمشارف أربعين ، والعامل ثلاثين ، والجباية خمسين ، وشهادة العمارة خمسة وعشرين ، ومشد العمارة كذلك ، والمعمارية (٥) خمسة عشر ، ونيابة النظر أربعين ، والنظر مائة .

صدر الدين البارذي المالكي ٦٤٣ ـ ٧٤٩

قال السيد الحسيني في ذيل العبر في سنة تسع وأربعين : والامام صدر الدين سليمان بن عبد الحكم (٦) المالكي شيخهم ومدرس الشرابيشية وشيخ التنكزية بعد الذهبي انتهى . وقد تقدمت ترجمة الذهبي في دار الحديث السكرية . وقال الصلاح الصَفدي في تاريخه في حرف السين : سليمان ابن عبد الحكيم الشيخ الامام الفاضل صدر الدين البارذي (بالباء الموحدة وبعد الألف راء ودال مهملة) المالكي الأشعري ، مدرس المدرسة الشرابيشية بدمشق ، مولده سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ووفاته يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبعمائة انتهى .

---

(١) في (صل) : « بريدين » ولعل صوابه ما أثبتناه ، وهي قرية في غوطة دمشق . والخراجي هو مايدفع عنه الخراج .

(٢) في (صل) : « الأمانة » كما في (م) والتصحيح من (مخ) .

(٣) في (صل) : « والمستمين » ، والتصحيح من (مخ) .

(٤) في (صل) : « وكاتب » والتصحيح من (مخ و م) .

(٥) في (صل) : « المعاربه » والتصحيح من (مخ و م) .

(٦) في (مخ و م) : « ابن عبد الحليم » وفي الدرر : « عبد الحكيم بن عبد الحليم » .

مسعود انتهى. وقال فيه في سنة ستمائة: وتزوج الملك الأشرف صاحب التربة والمدرسة بالجبل. وقال ابن أبي السعادات بن الأثير: قال وزيره: ما قلت له في فعل خير إلا وبادر إليه.

وقال أبو شامة: كان عقد نور الدين صاحب الموصل مع وكيله بدمشق على بنت الملك العادل على مهر ثلاثين ألف دينار، ثم بان أنه مات من أيام. وقال ابن خلكان: وكان شهماً عارفاً بالأمور، تحوّل شافعياً ولم يكن في بيته شافعي سواه، وله مدرسة قلّ أن يوجد مثلها في الحسن. توفي في شهر رجب وتسلطن ابنه عز الدين. وقال في سنة خمس عشرة وستمائة: وصاحب الموصل السلطان الملك العادل عز الدين أبو الفتح مسعود ابن السلطان نور الدين أرسلان شاه الأتابكي، ولد سنة تسعين وخمسمائة، وتملك بعد أبيه وله سبع عشرة، وكان موصوفاً بالملاحة، والعدل والسماحة، قيل إنه سمّ ومات في شهر ربيع الآخر، وله خمس وعشرون سنة. وعظم على الرعية أمره، ووُلي بعده بأمر منه ولده نور الدين أرسلان شاه ويسمى أيضاً علياً وله عشر سنين، فمات في أواخر السنة أيضاً انتهى.

تاج الدين الاسكندري الشحرور
٠٠٠ – ٦٦٣

وقال العز الحلبي: أول من درّس بها تاج الدين أبو بكر بن طالب المعروف بالإسكندري وبالشحرور (١)، ولم يزل بها إلى أن توفي، وذكر بها الدرس نجم الدين إسماعيل المعروف بالمارداني، وهو مستمر بها إلى آخر سنة أربع وسبعين وستمائة انتهى. ودرّس بها العلامة صفي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الهندي الأرموي الشافعي المتكلم على مذهب الأشعري، ميلاده بالهند في شهر ربيع الأول (٢) سنة أربع وأربعين وستمائة. وكان جده لأمه فاضلاً فقرأ عليه، وخرج من دهلي في شهر رجب سنة سبع وستين، فحج وجاور ثلاثة أشهر. ثم دخل اليمن

صفي الدين الهندي
٦٤٤ – ٧١٥

(١) ترجمه في ذيل الروضتين.
(٢) في الشذرات: «في ربيع الآخر».

فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار، ثم دخل مصر سنة إحدى وسبعين وأقام بها أربع سنين، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية، فأقام إحدى عشرة سنة، [و]بقونية خمساً وسيواس خمساً، وبقيسارية سنة، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها، ووُلي بها مشيخة الشيوخ، ودرّس بها بالظاهرية الجوانية والرواحية والدولعية والأتابكية هذه، ونصب للافتاء والإقراء في الأصول والمعقول والتصنيف، وانتفع الناس به وبتصانيفه، إلا أن خطه في غاية الرداءة، وانتفع الناس أيضاً بتلاميذه، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية، وكان فيه برّ وصلة.

وقال الصفدي: وصنف (الفائق في أصول الدين)، وله أوراد، واشتغل بالجامع الأموي، وكان حسن العقيدة. وقال الذهبي: تفقه بالهند على جده لأمه الذي توفي سنة ستين وستمائة، وسار من دلهي في سنة سبع وستين إلى اليمن، ثم حجّ وجاور ثلاثة أشهر، وجالس ابن سبعين (١) ثم قدم مصر ثم [سافر إلى بلاد] (٢) الروم، ودرّس وتميز، واجتمع بالسراج الأرموي. ثم قدم دمشق وسمع من ابن البخاري، وتصدر للافادة، وأخذ عن ابن الوكيل (٣)، وابن الفخر المصري، وابن المرحّل (٣) والكبار، وكان يحفظ ربع القرآن، وكان ذا دين وتعبد وإيثار وخير.

وقال ابن كثير: توفي ليلة الثلاثاء تسع عشرين صفر سنة خمس عشرة وسبعمائة، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات، فأخذ بعده ابن الزملكاني الظاهرية، فدرّس بها وأخذ ابن صصري الأتابكية انتهى. ودفن بمقبرة الصوفية. ثم قال ابن كثير: في هذه السنة وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درّس ابن صصري بالأتابكية عوضاً عن

(١) عبد الحق بن ابراهيم الأشبيلي المرسي (٦١٤ – ٦٦٩) ترجمته في الشذرات وابن كثير والفوات.
(٢) من الشذرات.
(٣) محمد بن عمر العثماني ويعرف بابن الوكيل وابن المرحل، توفي سنة ٧١٦. ترجمته في الشذرات.

ضيعة تعرف بعجيدل السويدا (١) ، وقفاً على الخاتون ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي ، ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين (٢) ، ثم على أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم على أولاد أولادها ، ثم على أنسالهم كذلك ، فاذا انقرضوا ولم يوجدوا عاد على الجهات التي يأتي ذكرها ، فالدار مدرسة على الفقهاء والمتفقهة الشفعوية المشتغلين بها ، وعلى المدرس بها الشافعي قاضي القضاة زكي الدين أبي العباس الطاهر أحمد بن محمد بن علي القرشي (٣) إن كان حياً ، فان لم يكن حياً فعلى ولده ، ثم ولد ولده ، ثم نسله المنتسبين إليه ممن له أهلية التدريس ، فعلى المدرس الشافعي بهذه المدرسة ، ومن شرطهم أن يكونوا من أهل الخير والعفاف والسنة غير منسوبين إلى شر وبدعة ، والباقي من الأملاك على مصالح المدرسة ، وعلى [الفقهاء و] (٤) المتفقهة المشتغلين بها ، وعلى المدرّس بها قاضي القضاة زكي الدين أو من يوجد من نسله ممن له أهلية التدريس وعلى الامام المصلي بالمحراب بها ، والمؤذن بها والقيم المعدّ لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وإيقاد مصابيحها ، يبدأ من ذلك بعمارة المدرسة وثمن زيت ومصابيح وحصر وبسط وقناديل وشمع وما تدعو الحاجة إليه ، وما فضل كان مصروفاً إلى المدرس الشافعي وإلى الفقهاء والمتفقهة وإلى المؤذن والقيم ، فالذي هو مصروف إلى المدرس في كل شهر من الحنطة غرارة ومن الشعير غرارة ومن الفضة مائة وثلاثون درهماً فضة ناصرية ، والباقي مصروف إلى الفقهاء والمتفقهة والمؤذن والقيم على قدر استحقاقهم على ما يراه الناظر في أمر هـــذا الوقف من تسوية وتفضيل وزيادة ونقصان وعطاء وحرمان ، وذلك بعد إخراج العشر وصرفه

(١) في (م) : « بجيد السويدا » والتصحيح من كتابة العتبة .
(٢) ترجمها في اعلام النساء لعمر كحالة .
(٣) توفي سنة ٦١٧ . ترجمه في الشذرات وذيل الروضتين .
(٤) من فتاوى السبكي .

إلى الناظر عن تعبه وخدمته ومشارفته للأملاك الموقوفة وتردده إليها ؛ وبعد إخراج ثمانمائة درهم فضة ناصرية في كل سنة تصرف في ثمن بطيخ ومشمش وحلوى في ليلة النصف من شعبان على ما يراه الناظر ، ومن شرط الفقهاء والمتفقهة والمدرس والمؤذن والقيم أن يكونوا من أهل الخير والدين [والصلاح] (١) والعفاف وحسن الطريقة وسلامة الاعتقاد والسنة والجماعة ، وأن لا يزيد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلاً من جملتهم المعيد بها والامام ، وذلك خارج عن المدرس والمؤذن والقيم ، إلا أن يوجد في ارتفاع الوقف نماء وزيادة وسعة ، فللناظر أن يقيم بقدر ما زاد ونما ، هذا صريح في جواز الزيادة عند السعة بقدرها ، ومعرفة قدر الزيادة ما علمناه . والظاهر أنه مأيوس من معرفته في هذا الوقت ، فانه يستدعي معرفة حال الوقف ، وبسطه في قريب كراسة فراجعه انتهى (٢) .

ودرّس بها العلامة أبو عمرو بن الصلاح . قال ابن كثير في تاريخه في سنة ثمان وعشرين وستمائة : وفيها درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري (٣) الشافعي بالمدرسة الشامية الجوانية جوار البيمارستان في جمادى الأولى منها انتهى . زاد الأسدي وحضر الملك الصالح الدرس انتهى . وقد تقدمت ترجمة الشيخ تقي الدين بن الصلاح هذا في دار الحديث الأشرفية الدمشقية . وقال ابن شداد : ثم من بعده شمس الدين عبد الرحمن المقدسي ؛ ثم انتزعت من يده وتولاها تاج الدين محمد بن أبي عصرون (٤) وهو مستمر بها إلى الآن انتهى . قال الذهبي في العبر في سنة ست وتسعين وستمائة : وابن ابي عصرون تاج الدين محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن ابي سعد بن عصرون

تاج الدين ابن عصرون ٦١٠ ـ ٦٩٦

(١) من فتاوى السبكي ٢ : ١١٩
(٢) من فتاوى السبكي ٢ : ١١٨ وما بعدها .
(٣) في (صل) : « السهروردي » والتصحيح من ابن كثير .
(٤) ستأتي ترجمته في هذا الفصل ، وذكره الشذرات في وفيات سنة ٦٩٥

والرها وخلاط وهمّ المعظم بنقض ذلك فلم يتفق له . وقام بتدبير مملكته الطواشي شهاب [الدين] طغرل (١) الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً انتهى .

قال الأسدي في تاريخه : في سنة عشر وستمائة وفي ذي الحجة ولد الملك المنصور محمد بن الظاهر صاحب حلب من ضيفة (٢) خاتون بنت الملك العادل . قال ابن واصل : فزينت له حلب وصاغ له عشرة من المهود من الذهب والفضة ، وفتح للطفل ثلاث ترجيات من اللؤلؤ والياقوت ، ودرعان وخوذتان وبركطوان (٣) من اللؤلؤ وغير ذلك ، وثلاثة سروج مجوهرة ، وثلاثة سيوف غلفها (٤) بالذهب والياقوت ، ورماح أسنتها جوهر منظوم ، وفرحوا به فرحاً شديداً انتهى ، وقال الأسدي أيضاً : الملك الظاهر غازي صاحب حلب بن يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان السلطان الملك الظاهر غياث الدين ابو منصور ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، ولد بمصر في شهر رمضان سنة ثمان وستين ، وسمع بالاسكندرية من ابن عوف (٥) ، وبمصر من ابن بري ، وبدمشق من الفضل (٦) البانياسي ، وحدث بحلب وولي سلطنتها ثلاثين سنة .

الملك الظاهر غازي ٥٦٨ - ٦١٣

قال الموفق بن عبد اللطيف : كان جميل الصورة ، رائع الملاحة ، موصوفاً بالجمال في صغره وفي كبره ، وله غور ذكاء ودهاء ومكر ، وأعظم دليل على دهائه مفاوضته لعمه العادل ، وكان لا يخليه يوماً من شغل قلب وخوف ، وكان يصادق ملوك الأطراف ويباطنهم (٧) ويلاطفهم ؛ ويوهمهم أنه لولاه

(١) في (صل) : « طغر بك » كما في الشذرات وابن كثير ، وجاء في الروضتين : « طغريل » وما أثبتناه هو الموافق لما في تاريخ ابن العبري ، توفي سنة ٦٣١ .
(٢) في (صل) : « صفية خاتون » ، وصوابه ما أثبتناه .
(٣) في (مخ و م) : « بركشطوان » .
(٤) في (م) : « علقها » .
(٥) في (صل) : « ابن عرفة » ، وفي (م) : « ابن غرف » ، وصوابه ما أثبتناه وهو : صدر الاسلام أبو طاهر بن عوف اسماعيل بن مكي الزهري الاسكندراني ، توفي سنة ٥٨١ ، ترجمته في الشذرات .
(٦) في (صل) : « من أبي الفضل » ، وصوابه ما أثبتناه .
(٧) أي يسارّهم ويصافيهم .

لكان العادل يقصدهم ، ويوهم عمه أنه لولاه لم يطمه أحد من الملوك ولكاشفوه بالشقاق ، فكان بهذا التدبير يستولي على الجهتين ويستعبد الفريقين ، ويشغل بعضهم ببعض ، وكان كريماً معطياً ، يغمر الملوك بالتحف ، والشعراء والقصاد بالصلات ، وتزوج بنت العادل وماتت معه ، ثم تزوج باختها فكان له عرس مشهور ، وجاءت منه بالملك العزيز في أول سنة عشر وأظهر السرور بولادته ، وبقيت حلب مزينة شهرين ، والناس في الأكل والشرب ولم يبق صنف من أصناف الناس الا أفاض عليهم النعم ، ووصلهم بالاحسان ، وسير الى المدارس والخوانق الغنم والذهب ، وأمرهم أن يعملوا الولائم . ثم فعل ذلك مع الأجناد والغلمان والخدم ، وكان عنده من أولاد أبيه وأولاد أولادهم مائة وخمسة وعشرون نفساً ، وزوج الذكور منهم بالاناث ، وعقد في يوم واحد خمسة وعشرين عقداً بينهم ، ثم صار كل ليلة يعمل عرساً ويحتفل به . وقال أبو المظفر ابن الجوزي : كان مهيباً ، له سياسة وفطنه ، ودولة معمورة بالفضلاء والعلماء ، مزينة بالملوك والأمراء ، وكان محسناً الى رعيته والى الوافدين عليه ، حضر معظم غزوات أبيه ، وانضم اليه اخوته وأقاربه ، وكان يزور الصالحين ويتفقدهم ، وكان يتوقد ذكاءً وفطنة . وقال الحافظ أبو عبد الله : ذكرت في الحوادث أن الظاهر قدم دمشق وحاصرها غير مرة مع أخيه الأفضل (١) وحاصر منبج وأخذها ، وحاصر حماة ، وكان ذا شجاعة واقدام ، وكان سفاكاً لدماء الخلق في أول أمره ، ثم قصر عن ذلك وأحسن الى الرعية وكان ذكياً حسن النادرة . قال له الحلي (٢) الشاعر مرة في المنادمة وهو يعبث به وزاد عليه فقال : انظم ؟ يهدد بالهجو فقال السلطان : انثر ؟ وأشار الى السيف ،

(١) نور الدين علي ، (٥٦٥ - ٦٢٢) ، ترجمته في الشذرات وابن كثير والروضتين .
(٢) في (صل) : « الحاي » ، وصوابه ما أثبتناه ، وهو : راجح بن اسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلي ، توفي سنة ٦٢٧ ، رثى الملك الظاهر غازي بقصيدة طويلة ذكرها ابن خلكان مطلعها :
سل الخطب ان أصغى الى من يخاطبه بمن علقت أنيابه ومخالبه
ترجمته في الشذرات والفوات .

توفي في جمادى الآخرة عن خمس واربعين سنة [بدمشق] (١) ، ودفن بالقلعة ثم نقل الى مدفن مدرسته التي أنشأها بحلب ، وله مدرسة اخرى بدمشق بالمنيبع ، وأوصى بالسلطنة لابنه العزيز محمد لأنه كان من بنت العادل . وطلب بذلك استمرار الأمر له لأجل جده واخواله ، وهكذا وقع وجعل الأمر من بعده لولده الأكبر أحمد (٢) . وقام بأمر ابنه الخادم طغرل (٣) أحسن قيام ، (وقصد عز الدين (٤) صاحب الموصل حلب في [أيام] الأشرف ، ونزل بظاهر حلب ، فرجع عز الدين الى بلاده (٥)) ، وهمّ المعظم عيسى بأخذ حلب ، فلم يوافقه أخوه الأشرف موسى انتهى .

وقال ابن قاضي شهبة : وفي المحرم سنة تسع وستمائة اصطلح الملك الظاهر مع عمه العادل وتزوج بابنته وكان العقد بدمشق بوكالتين على خمسين الف دينار ، وهي ضيفة خاتون شقيقة الملك الكامل وبعثت الى حلب في الحال ، وكان جهازها على ثلاثمائة جمل وخمسين بغلاً ، ومعها مائتا جارية ، فلما أدخلت على الظاهر مشى لها خطوات ، وقدم لها خمس عقود جوهر قيمتها ثلاث مائة الف وخمسون الف درهم ، وأشياء نفيسة ، وكان عرساً مشهوراً اه .

شمس الدين ابن سلطان ٠٠٠ ـ ٦٠٤

ودرس بها العلامة شمس الدين محمد أبو عبد الله بن مَعْن (بفتح الميم وسكون العين المهملة ثم نون) ابن سلطان الشيباني الدمشقي ؛ تفقه بحلب على ابن شداد ، وحفظ كتاب الوسيط للغزالي ، وسمع وحدث ودرّس بالظاهرية البرانية هذه ، وكان فقيهاً إماماً مناظراً ، أديباً قارئاً بالسبع ، توفي في سنة أربع وستمائة ، وله كتاب (التنقيب على المذهب (٦)) في

---

(١) من (م) .
(٢) الملك الصالح صلاح الدين أحمد صاحب عينتاب ، (٦٠٠ – ٦٥١) ، ترجمته في الشذرات
(٣) في (صا) : « طغريد » ، وصوابه ما أثبتناه .
(٤) مسعود بن قطب الدين مودود ، (٥٩٠ – ٦١٥) ، ترجمته في الوفيات والشذرات ومرآة الزمان وابن الوردي .
(٥) هذه الجملة مشوشة ، ويظهر أنه سقط منها كلمات لم تتبينها .
(٦) في (مخ) : « على المذهب » .

جزئين فيه غرائب وأوهام في عزو الأحاديث إلى الكتب . وقال الذهبي في تاريخه العبر في سنة اثنتين وتسعين وستمائة : وابن الأستاذ عز الدين أبو الفتح عمر بن محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي الحلبي (١) مدرّس المدرسة الظاهرية التي بظاهر دمشق . روى سنن ابن ماجه (٢) عن عبد اللطيف ، توفي في شهر ربيع الأول انتهى . وقال ابن كثير في سنة اثنتين وتسعين وستمائة : وفي عاشر جمادى الأولى درّس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية وحضر عنده القضاة والأعيان انتهى . وقال في سنة أربع وتسعين وستمائة : وفي آخر (٣) شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها : تدريس الغزالية لابن صصري عوضاً عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع بتدريس الأمينية لامام الدين القزويني عوضاً عن نجم الدين بن صصري ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرانية [عوضاً] (٤) عنه انتهى . وقال في سنة خمس وتسعين : وفي شهر رجب درس كمال الدين بن القلانسي بالظاهرية البرانية عوضاً عن جلال الدين القزويني انتهى . وقال في سنة أربع وعشرين وسبعمائة : وفي شهر رمضان قدم إلى دمشق الشيخ نجم الدين عبد الرحيم ابن الشحام الموصلي من بلاد السلطان [أزبك] (٤) وعنده فنون في علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية [به] ، فأعطي تدريس الظاهرية البرانية ، نزل [له] عنها جمال الدين بن القلانسي (٥) ، فباشرها في مستهل ذي الحجة ، ثم درّس بالجاروخية انتهى ، وقد تقدمت ترجمة الشيخ نجم الدين هذا في المدرسة الجاروخية . ثم درّس بها بعده بنزول له عنها

---

(١) ترجمته في الشذرات .
(٢) محمد بن يزيد الربعي القزويني ، أحد أئمة الحديث وكتابه هذا هو أحد الصحاح الستة ، (٢٠٩ – ٢٧٣) ، ترجمته في الوفيات وتهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ
(٣) في ابن كثير : « وفي أوائل » .
(٤) من ابن كثير .
(٥) في (صا) : « ابن العلامي » ، والتصحيح من ابن كثير .

سنة ست وستين ببعلبك ، وتوفي سنة ثلاثين [1] وسبعمائة ، تفقه وبرع بحلب ، وكان صاحب فنون ، وولي قضاء بعلبك مدة ، ثم ترك ذلك وسكن دمشق ، وأمّ بتربة أم الصالح ، ودرس بالقوصية ، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس ، فمات بعد أشهر انتهى . وسمع الكثير . وقرأ على ابن مشرف والموازيني [2] ، وسمع سنن ابن ماجة من القاضي تاج الدين عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد بن علوان ، وأجاز له [3] بخطه في سنة تسع وعشرين وستمائة [4] بدمشق انتهى . ثم تولاها بعده ولده تقي الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين ، أسمعه والده ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها . ثم درّس بها الامام بهاء الدين بن إمام المشهد ، وقد مرت ترجمته في المدرسة الأمينية . وقال الشيخ تقي الدين الأسدي في صفر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة : وفي يوم الأربعاء تاسع عشريه حضرت الدرس بالحلقة القوصية بالجامع الأموي ، وكان المرحوم بدر الدين ابن الشيخ شمس الدين المغربي قد نزل في مرض موته عن نصف تدريس التقوية ونصف تدريس القوصية ولولده عن النصف الآخر انتهى . وقال في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين : وفي يوم الأحد رابع عشره درس القاضي تقي الدين ابن الأذرعي بالحلقة القوصية ، أعرضت له عنها وحضرت أنا عنده وجماعة من الفقهاء انتهى . ثم درس بها شيخنا العلامة بدر الدين بن قاضي شهبة . ثم درس بها القاضي محب الدين أبو الفضل محمد ابن شيخنا العلامة القاضي برهان الدين بن قاضي عجلون . ثم درس بها صهره السيد كمال الدين ابن السيد عز الدين في كتاب البيع ، وقد مرت ترجمتهم في المدرسة الأمجدية انتهى .

(١) في (صل) : « ثلاث وسبعمائة » وصوابه ما اثبتناه

(٢) محمد بن علي بن الحسن مسند دمشق والشام (٦١٤ - ٧٠٨) ترجمته في الشذرات والدرر

(٣) في (مخ و م) : « واجاز لي »

(٤) كذا في النسخ ، وهذا التاريخ لا يتفق مع الحوادث المذكورة

٧٧ — المدرسة القيمرية [1]

بالحريميين [2] . قال ابن شداد : المدرسة القيمرية ، منشؤها الأمير ناصر [الدين] الحسين بن علي [3] ، وقفها على القاضي شمس الدين علي الشهرزوري [4] ، وهو مستمر بها إلى الآن انتهى . وقال الذهبي في عبره سنة خمس وستين وستمائة : والقيمري الامام مقدم الجيوش ناصر الدين حسين بن عبد العزيز الذي أنشأ المدرسة بسوق الحريميين [5] ، كان بطلاً شجاعاً رئيساً عادلاً جواداً ، وهو الذي ملك دمشق للناصر ، توفي مرابطاً بالساحل في شهر ربيع الأول انتهى . وقال في مختصر تاريخ الاسلام في هذه السنة : ومات واقف المدرسة القيمرية مقدم الجيوش ناصر الدين حسين ابن عبد العزيز القيمري انتهى . وقال تلميذه ابن كثير في هذه السنة أيضاً : واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين أبو المعالي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي ، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب حين قتل توران شاه بن الصالح [6] أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مئذنة فيروز ، وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثلها ولا عمل على شكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم . وقال الصفدي : حسين بن عبد العزيز أبي الفوارس الأمير ناصر الدين أبو المعالي القيمري صاحب المدرسة القيمرية الكبرى التي بسوق الحريميين ، كان من أعظم الناس

(١) مخطط المنجد رقم (١٤)

(٢) حي القيمرية اليوم

(٣) في الشذرات : « حسين بن عزيز » . ترجمته في ذيل الروضتين

(٤) في (صل) : « السهروردي » وصوابه ما أثبتناه وهو علي بن محمود بن علي الشهرزوري ، توفي سنة ٦٧٥ . ترجمته في ابن كثير والطبقات وستأتي ترجمته في هذا الفصل

(٥) جاء في ابن كثير في سنة ٧٤٩ في ترجمة شمس الدين الشهرزوري : « مدرس القيمرية الكبيرة بالمطرزيين »

(٦) الملك المعظم غياث الدين ، قتل سنة ٦٤٨ ، ترجمته في ابن كثير والشذرات

وجاهة وأقطاعاً ، وكان بطلاً شجاعاً ، وهو الذي ملك الناصر دمشق ، وكان أبوه شمس الدين من أجل الأمراء ، وتوفي مرابطاً بالساحل سنة خمس وستين وستمائة ، وكان الظاهر قد أقطعه أقطاعاً جيداً ، وجعله مقدم العساكر بالساحل ، فمات به وعمل عزاه بالجامع ، وكان يضاهي الملوك في مركبه وتجمله وغلمانه وحاشيته ، وقيل إنه غرم على الساعات التي على باب مدرسته ما يزيد على أربعين ألف درهم انتهى . ثم إن واقفها فوّض تدريسها إلى القاضي شمس الدين الشهرزوري وإلى [أولي] الأهلية من ذريتـــه ، وهو الامام شمس الدين أبو الحسن علي بن محمود بن علي بن محرز بن علي الشهرزوري الكردي . قال الذهبي : فقيه ، إمام ، عارف بالمذهب موصوف بجودة النقل ، حسن الديانة قوي النفس ، ذو هيبة ووقار ، وقد ناب في القضاء عن ابن خلكان ، تكلم بدار العدل بحضرة الملك الظاهر عندما احتاط على الغوطة فقال : الماء والكلأ والمرعى لا تملك وكل من بيده ملك فهو له ، فبهت السلطان لكلامه ، وانفصل الموعد على هـذا المعنى ، وقد وقع نحو هذا الكلام للملك الظاهر من قاضي القضاة الحنفية

شمس الدين الأذرعي ٥٩٥ ـ ٦٧٣

شمس الدين أبي محمد المعروف بالقاضي عبد الله الأذرعي مدرس المرشدية ، وهو أول من درس بها وأول من ولّي قضاء الحنفية مستقلاً بدمشق ، ثم أغلظ على السلطان في خطابه ، حيث قال بدار العدل : اليد لأرباب الأملاك ، ولا يحل لأحد أن ينازعهم في أملاكهم ، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر ، فغضب السلطان غضباً شديداً وتغير لونه وقال : أنا أكفر؟ انظروا لكم سلطاناً غيري ، وانفضّ المجلس على وحشةٍ من السلطان ، فلما كان الليل أرسل السلطان في طلب القاضي ، فلما دخل عليه قام له وعظمه وخلع عليه ونزل مجبوراً معظماً ، لخصت ذلك من شرح الطوسي للمنظومة ، توفي صاحب الترجمة شمس الدين في شوال سنة خمس وسبعين[1]

(١) تاريخ وفاته في الشذرات وابن كثير في سنة ٦٧٣

وستمائة ، وأظن أنه دفن تجاه وجه الشيخ تقي الدين بن الصلاح بالصوفية (١) وتوفي قبله قاضي القضاة شمس الدين الحنفي (٢) يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، ودفن بسفح قاسيون ، ثم درس بهذه المدرسة ولد الشهرزوري الشيخ صلاح الدين محمد . قال ابن كثير في سنة إحدى وثمانين وستمائة : الشيخ صلاح الدين محمد ابن القاضي شمس الدين علي ابن محمود بن علي الشهرزوري مدرس القيمرية وابن مدرسها ، توفي في آخر رجب ، وتوفي أخوه شرف الدين بعده بشهر انتهى . وقال الصفدي في تاريخه في المحمدين : صلاح الدين مدرس القيمرية محمد بن علي بن محمود أبو عبد الله الشهرزوري الشافعي مدرّس القيمرية بدمشق وناظرها الشرعي ، كان شاباً نبيهاً ، حسن الشكل ، كريم الأخلاق ، طيب الكلام ، ولّي تدريسها بعد والده القاضي شمس الدين علي ، توفي في إحدى وثمانين وستمائة ، ودفن إلى جانب والده بتربة الشيخ تقي الدين بن الصلاح ولم تكمل له أربعون سنة . ثم درس بها بعده في هذه السنة القاضي بدر الدين ابن جماعة . ثم قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، وهو أول من جدد في أيامه قاضي القضاة من سائر المذاهب ، فاستقلوا بالأحكام بعدما كانوا نواباً له ، وقد مرت ترجمته في المدرسة الأمينية . وقال ابن كثير في سنة سبع وثمانين وستمائة : وفي شهر رمضان توجه الشيخ بدر الدين ابن جماعة إلى خطابة القدس الشريف بعد موت خطيبه قطب الدين ، فباشر بعده تدريس القيمرية علاء الدين أحمد ابن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز قاضي مصر ، ثم من بعد ثلاث سنين أخذ ابن جماعة قضاء الديار المصرية عوضاً عن ابن بنت الأعز انتهى . وقال في سنة إحدى وتسعين وستمائة : وفي سادس شوال ولى السلطان الأشرف خليل بن

صلا[ح الدين] الشه[رزوري] ٦٤١

(١) دفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون حسب رواية ابن كثير

(٢) التبس الأمر على المؤلف وفرق بين الاسمين كأنهما لشخصين والحقيقة هما لشخص واحد يكنى بالأذرعي والحنفي كما جاء في ابن كثير

١٣٨

المؤيد الطوسي ، ومن زينب الشعرية[1] ، وأبي روح[2] وغيرهم ، وتوفي في جمادى الآخرة انتهى . وقال البرزالي في تاريخه في سنة ثلاثين وسبعمائة :

سيف الدين محمد بن الأمجد ٠٠٠ ـ ٧٣٠

وفي بكرة السبت عاشر[3] جمادى الآخرة توفي الأمير العالم الفاضل سيف الدين أبو بكر محمد بن صلاح الدين أبي الحسن محمد ابن الملك الأمجد مجد الدين الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سبط أبي بكر محمد بن أيوب ابن شادي بسفح جبل قاسيون ، وصلي عليه الظهر بجامع الصالحية ، ودفن بالتربة المعظمية عند والده وأجداده ، وكان فقيهاً فاضلاً ، وله شعر كتبت عنه [شيئاً] منه سنة خمس وسبعمائة ، وذكر لي أنه مدح الخليفة والسلطان وقاضي القضاة نجم الدين بن صصري[4] والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وذكر لي أن الشيخ كمال الدين المذكور أجابه بقصيدة مدحه فيها عوضاً عن قصيدته ، وأقام بحماة مدةً ، ثم عاد إلى دمشق واقام بها ، وسمع معنا على الفاروثي وغيره ، وكان يسمع مع والده أيام الجمع بالكلاسة بقراءة الشيخ جمال الدين المزي ، وسمع بقراءتي على ابن مؤمن سنة تسعين وستمائة انتهى .

العادل أبو بكر بن داود ٠٠٠ ـ ٦٨٢

وقال الصفدي في حرف الباء : أبو بكر بن داود بن عيسى بن أبي بكر بن محمد بن أيوب بن شادي سيف الدين الملقب بالملك العادل ، كان جمع من حسن الأوصاف ، ومكارم الأخلاق ، وحسن الصورة ، وسعة الصدر ، وحسن العشرة ، وكثرة الايصال ، واحتمال الأذى ، وبذل المعروف ، ما لا يضاهيه في ذلك أحد من أبناء جنسه ، وكان له ميلٌ

(١) في (صل) : « الشعرية » ، والتصحيح من الشذرات ، وهي زينب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن النيسابوري الشعري ، (٥٢٤ – ٦١٥) ، ترجمتها في الشذرات .

(٢) في (صل) : « أبي الدوح » ، وصوابه ما أثبتناه وهو عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل ابن أحمد بن روح الهروي البزاز ، (٥٢٢ – ٦١٨) ، ترجمته في الشذرات .

(٣) في (مخ) : « حادي جمادى » .

(٤) في (صل) : « ابن خيفري » ، والتصحيح من (مخ و م) .

للاشتغال بالعلم والأدب ، وعنده ذكاء مفرط ، وحدة ذهن ، وعبارة حلوة ، وآدابه ملوكية ، لم ير في زمانه أوفر عقلاً منه ، وكان له وقار[1] وحشمة وميل إلى أرباب القلوب وأصحاب الاشارات يلازمهم ويقتدي بهم ، ويمتثل ما يأمرونه به ، ويزور الصلحاء حيث سمع بهم ، وروى عن ابن اللتي ، وتوفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وصلي عليه بالجامع الأموي ، وحمل إلى تربة جده الملك المعظم بسفح قاسيون ، وهو في عشر الأربعين لم يبلغها انتهى . وقال الأسدي في تاريخه في سنة أربع وعشرين وستمائة : الملك المعظم عيسى بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد صاحب دمشق الفقيه الحنفي الأديب ، وُلد بالقاهرة سنة ست وسبعين ، قيل إنه ولد بعد أخيه موسى بليلة واحدة ، ونشأ بالشام ، وحفظ القرآن ، وتفقه على الشيخ جمال الدين الحصيري[2] ، وبرع في المذهب ، ولازم التاج الكندي مدةً ، وكان ينزل إلى داره بدرب العجم من القلعة والكتاب تحت إبطه ، فيأخذ عنه كتاب سيبويه[3] وشرحه للسيرافي[4] ، وأخذ عنه الحجة في القراآت لأبي علي الفارسي[5] ، والحماسة ، وغير ذلك من الكتب المطولة ، وحفظ الايضاح في النحو ، وسمع المسند من حنبل ، وسمع من عمر بن طبرزد وغيره ، واعتنى بالجامع الكبير فشرحه في عدة مجلدات بمعاونة غيره ، وصنف في العروض ، وله ديوان مشهور ، وكان محباً لمذهبه مغالياً فيه ، قيل إن أباه قال له كيف خالفت أهلك وصرت حنفياً ؟ قال : يا خوند ألا ترضون أن يكون منكم واحد

(١) في (م) : « وكان أكثر وقاراً » .

(٢) في (صل) : « الخضيري » ، وصوابه ما أثبتناه .

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان ، (١٤٨ – ١٨٠) .

(٤) أبو سعيد الحسن بن عبد الله ، (٢٨٤ – ٣٦٨) ، ترجمته في الوفيات .

(٥) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، (٢٨٨ – ٣٧٧) ، ترجمته في الوفيات ونزهة الألباء .

مسلماً ؟ قاله على سبيل المداعبة ، وكان كثير الاشتغال مع كثرة الأشغال ، وكان يحب كتاب سيبويه وطالعه مرات ، وكان يحب الفضيلة ، جعل لمن يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار ، ولمن يحفظ الجامع الكبير مائتي دينار ولمن يحفظ الايضاح ثلاثين ديناراً سوى الخلع (١) ، وقد حجّ سنة إحدى عشرة ، وجدد البرك والمصانع ، وأحسن إلى الحجاج كثيراً ، وبنى سور دمشق والطارمة التي على باب الحديد ، وبنى بالقدس مدرسة ، وبنى عند جعفر الطيار (٢) رضي الله تعالى عنه مسجداً ، قال أبو المظفر الجوزي : وبنى بمعان (٣) دار مضيف وحمامين ، وكان قد عزم على تسهيل طريق الحجاج ، وأن يبني في كل منزلة مكاناً ، وكان يتكلم مع العلماء ويناظر ويبحث ، وكان ملكاً حازماً وافر الحرمة ، مشهوراً بالشجاعة والاقدام ، وفيه تواضع وكرم وحياء ، وكان قد اعتدّ للجواسيس والقصاد ، فان الفرنج كانوا على كتفه ، ولذلك كان يظلم ويعسف ويصادر ، وأخرب القدس لعجزه عن حفظه من الفرنج ، وكان يملك من العريش إلى حمص والكرك ، وكان يركب وحده مراراً عديدة ثم يتبعه غلمانه يتطاردون خلفه ، وكان مكرماً لأصحابه كأنه واحد منهم ، ويصلي الجمعة في تربة عمه الصالح السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ويمشي منها إلى تربة أبيه ، وكان إخوته وملوك [الأرض و] (٤) الأطراف يعظمونه . قال الملك الظاهر صاحب حلب عنه : هو والله واسطة العقد وعين القلادة . وكان الملك الكامل يقول : وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا الملك المعظم . قال ابن الأثير : كان عالماً بعدة علوم فاضلاً فيها ، منها الفقه ومنها علم النحو ، وكذلك اللغة ، نفق سوق العلم في زمنه ، وقصده العلماء من

(١) في (صل) : « الجامع » ، والتصحيح من (م) .
(٢) ابن أبي طالب ، استشهد سنة ٨ في موقعة مؤتة .
(٣) من منازل طريق الحج بين دمشق والمدينة .
(٤) من (م) .

الآفاق فأكرمهم وأعطاهم . إلى أن قال : ولم يسمع أحد منهم ممن صحبه كلمة نزقة ، وكان يقول كثيراً : اعتقادي في الأصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي ، وكان يقول في مرضه : لي عند الله في أمر دمياط ما أرجو أن يرحمني به . وقال ابن واصل : كان جند الملك المعظم ثلاثة آلاف فارس لم يكن عند إخوته جند مثلهم ، في فرط تجملهم وحسن زيهم ، وكان بهذا العسكر القليل يقاوم إخوته ، وكان الكامل يخافه لما يتوهمه من ميل عسكر مصر إليه لما يعلمونه من أمر اعتنائه بأمر أجناده ، وكان المعظم يخطب لأخيه الكامل في بلاده ، ويضرب السكة باسمه ولا يذكر اسمه مع الكامل ، وكان مع شهامته وعظم هيبته قليل التكلف جداً ، لا يركب في الصناجق السلطانية في غالب أوقاته ، بل في جمع قليل ، ولقد رأيته بالقدس الشريف في سنة ثلاث وعشرين الرجال والنساء يزاحمونه فلا يردهم ، فلما كثر هذا منه ضرب به المثل فيمن يفعل فعلاً لا تكلف فيه قيل : فعله كالمعظم ، توفي رحمه الله في سلخ ذي القعدة وأوصى أن لا يدفن في القلعة ، ويخرج إلى الميدان ويصلي عليه الناس ويحمل إلى قاسيون فيدفن على باب تربة والدته ، فلم تنفذ وصيته ودفن في القلعة ، ثم أخرجه الملك الأشرف لما ملك دمشق ، ودفن مع والدته (١) في القبة وفيها أخوه المغيث ، وجرى على الرعية ما لا يجر عليهم عند موت أحد من الملوك انتهى . وقال الأسدي أيضاً في سنة إحدى عشرة وستمائة : وفيها حج المعظم فسار على الهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه عز الدين أيبك صاحب صرخد وعماد الدين بن موسك (٢) والظهير بن سنقر الحلبي ، وجدد المصانع والبرك ، وأحسن إلى الناس ، وتلقاه سالم (٣) صاحب المدينة ،

(١) في (صل) : « مع والده » ، والتصحيح من (مخ و م) كما تقدم .
(٢) داود بن موسك بن جكر ، توفي سنة ٦٤٤ ، ترجمه في ذيل الروضتين وابن كثير .
(٣) توفي سنة ٦١٢ ، ترجمه في ذيل الروضتين .

نفسه للشهادة ويسألها ، ولقد أحسن إلى العلماء وأكرمهم ، وبنى دور العدل وحضرها بنفسه ، ووقف على المرضى ، وأدرّ على الضعفاء والايتام وعلى المجاورين ، وأمر بإكمال سور المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، واستخرج العين التي بأحد وكانت دفنتها السيول ، وفتح سبيل الحاج من الشام ، وعمر الربط والخوانق والبيمارستانات في بلاده ، وبنى الجسور والطرق والخانات ، ووقف كتباً كثيرة على أخذ العلم ، وكسر الفرنج وكسر الأرمن على حارم ، وكان العدو ثلاثين ألفاً فلم يفلت منهم إلا القليل ، وقبلها كسر الفرنج على بانياس ، وأرسل جيوشه إلى مصر مرات إلى أن استولوا عليها وطهروها من الرفض ، وأعادوا الخطبة العباسية . قال ابن عساكر : وكان حسن الخط ، حريصاً على تحصيل الكتب الصحاح والسنن ، كثير المطالعة للفقه والحديث ، مواظباً على الصلوات في جماعة ، كثير التلاوة والصيام والتسبيح ، عفيفاً متحرياً في المطعم والمشرب ، عرياً عن التكبر ، وكان ذا عقل متين ، ورأي رصين ، مقتدياً بسيرة السلف الصالح ، متشبهاً بالعلماء والصلحاء ، وروى الحديث وأسمعه بالاجازة ، وكان من رآه شاهد من جلالة السلطنة وهيبة الملك ما يبهره ، و[إذا فاوضه](١) رأى من لطافته وتواضعه ما يحيره . قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : ولي الشام سنين ، وجاهد الثغور ، وانتزع من أيدي الكفار نيفاً وخمسين مدينة وحصناً ، وبنى مارستاناً بالشام ، وبنى بالموصل جامعاً غرم عليه سبعين ألف دينار ، ثم أثنى عليه . وقال ابن شداد بل ابن الجوزي رحمهما الله تعالى : شد من طاعة الخلافة (٢) ، وكان يميل إلى التواضع ومحبة العلماء والصلحاء ، وعاهد صاحب طرابلس ، وقد كان في قبضته أسيراً على أن يطلقه على ثلاثمائة ألف دينار ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة زردية ، ومثلها أتراس أفرنجية ، ومثلها قنطاريات ، وخمسمائة أسير مسلم ،

(١) من الروضتين ١ : ٢٢٩ .

(٢) في (مخ و م) : « ثم اثنى عليه وقال شد من طاعة الخلافة الخ » .

وأن لا يغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة أشهر ، وأخذ منه في قبضته على الوفاء بذلك نيابة عن أولاد الفرنج وبطارقتهم ، فان نكث أراق دماءهم وعزم على فتح بيت المقدس ، فتوفي رحمه الله تعالى . وقال الموفق عبد اللطيف : كان نور الدين له بمنزلة كسير (١) من الجهاد ، وكان يأكل من عمل يده : ينسخ تارة ، ويعمل علاباً (٢) تارة ، ويلبس الصوف ، ويلازم السجادة والمصحف ، وكان حنفياً ويراعي مذهب الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنهم . وقال ابن خلكان : كان زاهداً عابداً متمسكاً بالشريعة ، مجاهداً ، كثير البر والأوقاف ، وبنى بالموصل الجامع النوري ، وله من المناقب ما يستغرق الوصف ، توفي رحمه الله تعالى بقلعة دمشق بالخوانيق ، وأشاروا عليه بالفصد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع ، وكان أسمر طويلاً ، ليس له لحية إلا في حنكه ، وكان واسع الجبهة ، حسن الصورة ، حلو العينين ، وقد طالعت السير فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أحسن من سيرته ، ولا أكثر تحرياً للعدل ، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه إلا من ملك كان له ، قد اشتراه من سهمه في الغنيمة ، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ، ولقد طلبت منه زوجته ، فأعطاها ثلاثة دكاكين بحمص كراها نحو عشرين ديناراً في السنة فاستقلتها ، فقال : ليس لي إلا هذا وجميع ما أنا فيه خازن المسلمين ، وهو أول من بنى دار الحديث ، وكان رحمه الله تعالى يصلي كثيراً بالليل ، وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، ولم يترك في بلاده على سعتها مكساً . إلى أن قال في أوقافه على أنواع البر : سمعت أن حاصل وقفه في الشهر لتسعة آلاف دينار صوري . وقال له القطب النيسابوري مرة : بالله لا تخاطر بنفسك ، فان أصبت في معركة لم يبقَ للمسلمين أحد إلا أخذه السيف ، فقال له :

(١) كذا في (صل) وفي (مخ و م) : « كبد » .

(٢) في (صل) : « اعلاباً » وفي (مخ) : « العلب » جمع علبة .

ومن محمود حتى يقال له ذلك ؟ من حفظ البلاد قبل ذلك غير الذي لا إله إلا هو ؟!. ولأسامة بن منقذ فيه :

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا   له فكلٌ عن الخيرات منكمشُ
أيامه مثلُ شهر الصوم طاهرة   من المعاصي وفيها الجوع والعطش[1]

وقال مجد الدين بن الأثير في تاريخ الموصل : لم يلبس حريراً قطُّ ولا ذهباً ولا فضة ، ومنع من بيع الخمر في بلاده ، وكان كثير الصيام ، وله أوراد في الليل والنهار ، وكان كثير اللعب بالكرة ، فكتب إليه بعض الصالحين ينكر عليه ويقول : تتعب الخيل في غير فائدة ، فكتب إليه بخطه : والله ما أقصد اللعب ، وإنما نحن في ثغر ؛ فربما وقع الصوت لتكون الخيل قد أدمنت الكر والفر ، وكان رحمه الله تعالى عارفاً بمذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وليس عنده تعصب ، والمذاهب عنده سواء . قال : وكان يلعب يوماً في ميدان دمشق وجاءه رجل وطلبه إلى الشرع ، فجاء معه إلى مجلس القاضي كمال الدين بن الشهرزوري ، وتقدّم الحاجب يقول للقاضي : قد قال لك لا تنزعج ، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس ، فلما حضر سوّى بينه وبين خصمه ، فتحاكما فلم يثبت للرجل عليه حق ، وكان يدعي ملكاً في يد نور الدين [فقال نور الدين] : هل ثبت له حق ؟ فقالوا لا . قال : فاشهدوا علي أني قد وهبت له الملك وإنما حضرت معه لئلا يقال عني دعيت إلى الشرع فأبيت ، قال : ودخل يوماً فرأى مالاً كثيراً فقالوا : بعث هذا القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف ، فقال : ردوه وقولوا إنما رقبتي رقيقة لا أقدر على حمله غداً ، وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله ، ولما قدم أمراؤه دمشق ، اقتنوا الأملاك ، واستطالوا على الناس خصوصاً أسد الدين شيركوه ، ولم يقدر القاضي كمال الدين على الانتصار من شيركوه ، فأمر نور الدين ببناء دار العدل في الأسبوع ، فقال شيركوه : إن نور الدين ما بنى هذه الدار

(١) في الروضتين ١ : ٢٢٩ : « له فكل على الخيرات منكمش » .

إلا بسببي ! وإلا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين ؟. وقال لنوابه[1] : والله إن حضرت إلى دار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه ، فإن [كان] بينكم وبين أحدٍ منازعة فارضوه مهما أمكن ولو أتى على جميع مالي . وكان نور الدين يقف عند دار العدل في الأسبوع أربع مرات ، ويحضر عنده العلماء والفقهاء ، ويأمر بإزالة الحجّاب والبوابين ، وأنفق على عمارة جامع الموصل ستين ألف دينار ، وفوّض أمر عمارته إلى الشيخ عمر الملا الزاهد ، ويقال أنفق عليه ثلاثمائة ألف دينار ، فتمّ في ثلاث سنين ، وبنى جامع حماة على جانب العاصي ، ووقع في أسره ملك الفرنج[2] ، فأشار الأمراء ببقائه في أسره خوفاً من شره ، فبذل هو في نفسه مالاً ، فبعث إليه نور الدين سراً يقول له : أحضر المال فأحضر ثلاثمائة ألف دينار فأطلقه ، فعند وصوله إلى مأمنه مات ، فطلب الأمراء سهمهم من المال ، فقال : ما تستحقون منه شيئاً لأنكم نهيتم عن الفداء ، وقد جمع الله تعالى [لي] الحسنتين : الفداء ، وموت اللعين وخلاص المسلمين منه ، فبنى بذلك المال المارستان والمدرسة بدمشق ودار الحديث ، وما كان أحد من الأمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته ، فإذا دخل عليه فقيرٌ أو عالم أو رثّ خرقة[3] ، قام ومشى إليه وأجلسه إلى جانبه ، ويعطيهم الأموال ، فإن قيل له : يقول هؤلاء لهم حق في بيت المال ، فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا . وقال العماد الكاتب في البرق الشامي : أكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف ، وعمارة المساجد ، وأسقط كل ما فيه حرام ، فما أبقى سوى الجزية والخراج ، وما يحصل من الغلات على قويم[4] المنهاج ، وأمرني بكتب مناشير لجميع

(١) في (صل) : « لصاحب ديوانه » ، وفي (مخ و م) : « وقال لديوانه » ، والتصحيح من الروضتين .
(٢) في (مخ و م) : « ملك افرنجي » .
(٣) في (صل) : « أورث خوفه » ، وفي (مخ و م) : « أورث حوته » ، ولعل صوابه ما أثبتناه ، ويكون المراد به احد المتصوفة .
(٤) في (صل) : « على قديم » والتصحيح من (مخ و م) .

نفسه للشهادة ويسألها ، ولقد أحسن إلى العلماء وأكرمهم ، وبنى دور العدل وحضرها بنفسه ، ووقف على المرضى ، وأدرَّ على الضعفاء والايتام وعلى المجاورين ، وأمر بإكمال سور المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، واستخرج العين التي بأحد وكانت دفنتها السيول ، وفتح سبيل الحاج من الشام ، وعمر الربط والخوانق والبيمارستانات في بلاده ، وبنى الجسور والطرق والخانات ، ووقف كتباً كثيرة على أخذ العلم ، وكسر الفرنج وكسر الأرمن على حارم ، وكلف العدو ثلاثين ألفاً فلم يفلت منهم إلا القليل ، وقبلها كسر الفرنج على بانياس ، وأرسل جيوشه إلى مصر مرات إلى أن استولوا عليها وطهروها من الرفض ، وأعادوا الخطبة العباسية . قال ابن عساكر : وكان حسن الخط ، حريصاً على تحصيل الكتب الصحاح والسنن ، كثير المطالعة للفقه والحديث ، مواظباً على الصلوات في جماعة ، كثير التلاوة والصيام والتسبيح ، عفيفاً متحرياً في المطعم والمشرب ، عرياً عن التكبر ، وكان ذا عقل متين ، ورأي رصين ، مقتدياً بسيرة السلف الصالح ، متشبهاً بالعلماء والصلحاء ، وروى الحديث وأسمعه بالاجازة ، وكان من رآه شاهد من جلالة السلطنة وهيبة الملك ما يبهره ، و[إذا فاوضه](1) رأى من لطافته وتواضعه ما يحيره . قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : وَلِي الشام سنين ، وجاهد الثغور ، وانتزع من أيدي الكفار نيفاً وخمسين مدينة وحصناً ، وبنى مارستاناً بالشام ، وبنى بالموصل جامعاً غرم عليه سبعين ألف دينار ، ثم أثنى عليه . وقال ابن شداد بل ابن الجوزي رحمهما الله تعالى : شد من طاعة الخلافة (2) ، وكان يميل إلى التواضع ومحبة العلماء والصلحاء ، وعاهد صاحب طرابلس ، وقد كان في قبضته أسيراً على أن يطلقه على ثلاثمائة ألف دينار ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة زردية ، ومثلها أتراس أفرنجية ، ومثلها قنطاريات ، وخمسمائة أسير مسلم ،

(1) من الروضتين ١ : ٢٢٩ .
(2) في (مخ و م) : « ثم اثنى عليه وقال شد من طاعة الخلافة الخ » .

وبأن لا يغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة أشهر ، وأخذ منه في قبضته على الوفاء بذلك نيابة عن أولاد الفرنج وبطارقتهم ، فان نكث أراق دماءهم وعزم على فتح بيت المقدس ، فتوفي رحمه الله تعالى . وقال الموفق عبد اللطيف : كان نور الدين له بمنزلة كبير (1) من الجهاد ، وكان يأكل من عمل يده : ينسج تارة ، ويعمل علاباً (2) تارة ، ويلبس الصوف ، ويلازم السجادة والمصحف ، وكان حنفياً ويراعي مذهب الشافعي ومالك رضي الله تعالى عنهم . وقال ابن خلكان : كان زاهداً عابداً متمسكاً بالشريعة ، مجاهداً ، كثير البر والأوقاف ، وبنى بالموصل الجامع النوري ، وله من المناقب ما يستغرق الوصف ، توفي رحمه الله تعالى بقلعة دمشق بالخوانيق ، وأشاروا عليه بالفصد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع ، وكان أسمر طويلاً ، ليس له لحية إلا في حنكه ، وكان واسع الجبهة ، حسن الصورة ، حلو العينين ، وقد طالعت السير فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أحسن من سيرته ، ولا أكثر تحرياً للعدل ، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه إلا من ملك كان له ، قد اشتراه من سهمه في الغنيمة ، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ، ولقد طلبت منه زوجته ، فأعطاها ثلاثة دكاكين بحمص كراها نحو عشرين ديناراً في السنة فاستقلتها ، فقال : ليس لي إلا هذا وجميع ما أنا فيه خازن المسلمين ، وهو أول من بنى دار الحديث ، وكان رحمه الله تعالى يصلي كثيراً بالليل ، وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، ولم يترك في بلاده على سعتها مكساً . إلى أن قال في أوقافه على أنواع البر : سمعتُ أن حاصل وقفه في الشهر تسعة آلاف دينار صوري . وقال له القطب النيسابوري مرة : بالله لا تخاطر بنفسك ، فان أصبت في معركة لم يبقَ للمسلمين أحد إلا أخذه السيف ، فقال له :

(1) كذا في (صل) وفي (مخ و م) : « كبد » .
(2) في (صل) : « اعلاباً » وفي (مخ) : « العلب » جمع علبة .

أهل البلاد ، فكتبت أكثر من ألف منشور ، وحسبنا ما تصدق به في تلك الشهور فكان ثلاثين ألف دينار ، وكان له برسم نفقة الخاص في كل شهر من الجزية ما يبلغ ألفي قرطاس ، يصرفها في كسوته وما حوله وأجرة خياطة وجامكية طباخه (١) ، ويستفضل منها ما يتصدق به في آخر الشهر ، وقيل إن استمر كل ستين (٢) قرطاساً بدينار . وذكر العماد الكاتب جملة من فضائله ، ومبلغ ما أطلق من الرسوم والضرائب في كل سنة خمس مائة ألف وستة وثمانون ألفاً وأربع مائة وستون ديناراً . وقد ذكر الذهبي تفصيل ذلك بالنسبة إلى كل بلد من بلاده . ونقل ابن واصل وغيره أنه كان من أقوى الناس بدناً وقلباً ، وأنه لم يُر على ظهر فرس أشدّ منه ، كأنما خلق عليه ولا يتحرك ، وكان إذا حضر الحرب أخذ قوسين وتركاشين (٣) وباشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها . قال الذهبي : قلت وقد أدركها على فراشه وبقي ذلك في أفواه المسلمين تراهم يقولون نور الدين الشهيد ، وما شهادته إلا بالخوانيق رحمه الله تعالى ، ومن فضائله كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه كان له عجائز بدمشق وحلب ، وكان يخيط الكوافي ويعمل السكاكر (٤) ويبيعها له العجائز سراً ، فكان يوم يصوم يفطر على أثمانها . وحكى شرف الدين يعقوب بن المعتمد أن في دارهم سكرة على خرستان من عمل نور الدين يتبركون بها ، وهي باقية إلى سنة خمسين وستمائة . قال ابن كثير : كان يجلس يوم الثلاثاء في المسجد المعلق الذي بالكشك ليصل إليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة ، وأغلق باب كيسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية ، وفي أيامه فتحت المشاهد الأربعة بالجامع ،

(١) في (صل) : « خياطة » ، والتصحيح من (مخ و م) والروضتين .
(٢) في (صل) : « كل سنتين » والتصحيح من (مخ و م) .
(٣) تثنية (تركش) وهي كنانة السهام .
(٤) جمع سكرة وهي قفل من خشب .

وقد كانت حواصل الجامع فيها من حين احترق سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المذكور الأوقاف التي لا يعرف واقفها ولا تعرف شروطهم فيها ، وجعلها قلماً واحداً ، وسمي مال المصالح ، ورتب عليه لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك ، توفي رحمه الله تعالى في شوال في قلعة دمشق بالخوانيق ، ودفن بتربته بمدرسة باب الخواصين (١) ، وعهد بالملك إلى ولده الصالح إسماعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وحلّف الوزراء لولده أن يكون في السلطنة بعده ، وكان الصالح أحسن أهل زمانه صورةً . وللعماد الكاتب يرثيه ويقول : شعر :

يا ملكاً أيامه لم تزلْ … بفضله باهية فاخرهْ
ملكت دنياك وخلفتها … وسرت حتى تملك الآخره (٢)

وفي كتاب البرق الشامي وغيره من مؤلفات العماد الكاتب كثير من سيرة نور الدين واجتهاده ، وقد عني الامام أبو شامة في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين بسيرته وترجمة السلطان نور الدين وكراماته ومناقبه ومآثره ، وما مدح به ورثي طويلة مشهورة ، وهذا الكتاب مبني على الاختصار ، وفيما ذكرناه مقنع وبلاغ ؛ بل فيه تطويل بالنسبة إلى موضوع هذا الكتاب انتهى . قلت : وقد جمع شيخنا ولده كتاباً أسماه : الدر الثمين في مناقب نور الدين ، ورأيت في الروضتين لأبي شامة أنه في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ولد بحمص لنور الدين ابن سماه أحمد ، ثم توفي بدمشق ، وقبره خلف قبر معاوية رضي الله تعالى عنه إذا دخلت الحظيرة (٣) في مقابر باب الصغير انتهى . وقال شيخنا بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في

(١) في (مخ) : « ودفن بتربته التي بباب الخواصين . وفي (م) : « ودفن بتربته بمدرسته بباب الخواصين » .
(٢) في الروضتين ١ : ٢٢٨ .

يا ملكاً ايامه لم تزل … لفضله فاضلة فاخره
غاصت بحار الجود مذ غيبت … أنملك الفائضة الزاخره
ملكت دنياك وخلفتها … وسرت حتى تملك الآخره

(٣) في (صل) : « الخضيرة » والتصحيح من الروضتين .

مكسورة ثم زاي بعدها ياء تحتية ثم نون ، هي بلدة من همدان بينها اثنى عشر [فرسخاً] ه(١) .

وهذه الزاوية بمقبرة باب الصغير شرقي محلة مسجد الذبان ، وشرقي مئذنة البصير ، قال [الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك](٢) الصفدي رحمه الله تعالى في المحمدين من كتاب الوافي بالوفيات ما صورته : محمد بن يونس الشيخ جمال الدين الساوجي(٣) الزاهد شيخ الطائفة القلندرية ، قدم دمشق وقرأ القرآن والعلم ، وسكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي ، وصلى بالشيخ عثمان المذكور مدة ، ثم حصل له زهد وفراغ من الدنيا فترك الزاوية وأقام بمقبرة الباب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لاصحابه ، وبقي مدة بقبة زينب بنت زين العابدين رضي الله تعالى عنهم ، واجتمع بالجلال الدركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي الذي دفن بالقنوات بمكان القلندرية ، ثم إن الساوجي حلق وجهه ورأسه ، ولاق حاله باولئك فوافقوه وحلقوا مثله ، ثم إن أصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي فوجدوه بالقبة فسبوه وقبحوا فعله فلم ينطق ، ثم إنه اشتهر وتبعه جماعة وحلقوا ، وذلك في حدود العشرين وستمائة ، ثم إنه لبس دلق شعر ، وسافر الى دمياط فانكروا حاله وزيه ، فزبق بينهم ساعة ثم إنه رفع رأسه فاذا هو(٤) بشيبة بيضاء [كبيرة] على ما قيل ، فاعتقدوا فيه ، وتوفي رحمه الله تعالى بدمياط ، وقبره هناك مشهور . وذكر شمس الدين بن الجوزي في تاريخه : أنه رأى كراريس بخطه من تفسير له ، وجلس في المشيخة بعده بمقبرة باب الصغير جلال الدركزيني ، وبعده الشيخ محمد البلخي الذي شرع لهم الجولق الثقيل وأقام الزاوية وأنشأها ، وكثر أصحابه ، وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد ، فلما تسلطن طلبه ، فلم يمض اليه ، فبنى لهم

(١) جاءت العبارة المنقولة عن الاسدي ملحقة بنهاية بحث الزاوية القومية الانفة الذكر . التصحيح من (مخ وم) .
(٢) من (مخ وم) .
(٣) في (صل) : « الساذجي » وفي (م) : « الساوحي » التصحيح من (مخ) .
(٤) في (صل) : « فنعبوا » التصحيح من (مخ وم) .

السلطان هذه القبة من مال الجامع ، وكان اذا قدم الشام يعطيهم الف درهم وشقتي بسط ورتب لهم ثلاثين غرارة قمح في السنة ، وفي اليوم عشرة دراهم ، وكان السويداوي منهم(١) يحضر سماط السلطان الملك الظاهر ويمازح السلطان ، ولما أنكروا في دولة الأشرف موسى على الشيخ علي الحريري أنكروا على القلندرية ونفوهم الى قصر الجنيد . وذكر نجم الدين ابن اسرائيل الشاعر : أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة ست عشرة وستمائة ، وكانت وفاة الساوجي المذكور في حدود الثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى انتهى كلامه في الجزء الثامن(٢) من العشرة . وقال والد شيخنا الأسدي في آخر الجزء الثاني من تاريخه المسمى بالأعلام المنتقى من تاريخ الاسلام للذهبي وما أضيف اليه من تاريخ ابن كثير والكتبي وغيرهما ماصورته : محمد الشيخ جمال الدين الساوجي الزاهد شيخ الطائفة القلندرية ، قدم دمشق ، وقرأ القرآن والعلم ، وسكن جبل قاسيون بزاوية الشيخ عثمان الرومي ، وصلى بالشيخ عثمان مدة ، ثم حصل له زهد وفراغ عن الدنيا ، وترك الزاوية [وانكمش] وأقام بمقبرة الباب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لأصحابه ، وبقي مدة مديدة بقبة زينب بنت زين العابدين رحمها الله تعالى ، واجتمع فيها بالجلال الدركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي الذي دفن بالقنوات بمكان القلندرية ، ثم ان الساوجي حلق رأسه ولحيته فانطلى حاله الشيطاني على جماعة فوافقوه وحلقوا ، ثم فتش أصحاب الشيخ عثمان على الساوجي فوجدوه بالقبة فسبوه وقبحوا فعله فلم ينطق ولا رد عليهم ، ثم اشتهر وتبعه خلق وحلقوا . قال الذهبي : وذلك في حدود العشرين والستمائة فيما أظن ، ثم لبس دلق شعر وسافر الى دمياط فانكروا حاله وزيه المنافي للشرع فزبق بينهم ساعة ثم رفع رأسه فاذا هو بشيبة

(١) في (صل) : « وكان منهم السويدا ويحضر » التصحيح من (مخ وم) .
(٢) في (م) : « في الجزء الثاني » .

فيما قيل كبيرة بيضاء ، فاعتقدوا فيه وضلوا[١] به ، حتى قيل إن قاضي دمياط وأولاده وجماعة حلقوا لحاهم وصحبوه والله تعالى أعلم بصحة ذلك ، وتوفي بدمياط وقبره بها مشهور ، وله هناك اتباع . وذكر شمس الدين بن الجوزي في تاريخه : [أنه رأى كراريس من تفسيرات القرآن للساوجي وبخطه ، وجلس في المشيخة بعده بمقبرة باب الصغير الشيخ جلال الدين الدركزيني وبعده الشيخ محمد البلخي ، وهو أعني البلخي من مشاهير القوم ، وهو الذي شرع الجولق الثقيل ، واقام الزاوية وأنشأها ، وكثر أصحابه ، وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد ، فلما تسلطن طلبه فلم يمض اليه ، فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال الجامع ، وكان إذا قدم يعطيهم الف درهم وشقتين من البسط ، ورتب لهم ثلاثين غرارة قمح في السنة وعشرة دراهم في اليوم . قال الذهبي : ولما أنكروا في دولة الاشرف موسى على الشيخ علي الحريري انكروا على القلندرية ، وتفسيره بالعربية المحلقين ، ونفوهم الى قصر الجنيد ، وذكر ابن اسرائيل الشاعر : أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة ست عشرة وستمائة ، ثم أخذ يصف حالهم الملعون وطريقتهم الخارجة عن الدين . انتهى كلام الاسدي][٢] .

٢٢٨ — الزاوية القلندرية الحيدرية [٣]

قال ابن كثير في سنة خمس وخمسين وستمائة : وفيها دخلت الفقراء الحيدرية الشام ، ومن شعارهم لبس الفراجي والطراطير[٤] ، ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم ، وهو خلاف السنة ، وتركوها لمتابعة شيخهم حيدر حين أسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه ، فاقتدوا به [في ذلك] وهو معذور مأجور وليس لهم فيه قدوة ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العونية انتهى .

(١) في (صل) : « وضجيا به » والتصحيح من (مخ وم) .
(٢) اكتفى في (صل) بالعبارة التالية : « وذكر شمس الدين بن الجوزي في تاريخه الكلام المتقدم ذكره الى اخره ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب انتهى » والاضافة من (مخ وم) .
(٣) مجهولة اليوم .
(٤) في (صل) : « والطراحية » والتصحيح من (مخ وم) وابن كثير .

٢٢٩ — الزاوية اليونسية [١]

يونس الشيباني
٠٠٠ _ ٦١٩

بالشرف الشمالي بدمشق غربي الوراقة والمدرسة العزية البرانية ، قال الذهبي في العبر في سنة تسع عشرة وستمائة : والشيخ يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني[٢] المخارقي[٣] القنيي ، والقنية قرية من نواحي ماردين ، وهذا شيخ الطائفة اليونسية أولي الشطح وقلة العقل ، أبعد الله شرهم ، وكان [رحمه الله] صاحب حال وكشف ، يحكى عنه كرامات ، وقال ابن خلكان في وفياته : الشيخ يونس بن يوسف بن جابر بن ابراهيم بن مساعد الشيباني المخارقي[٣] شيخ الفقراء اليونسية وهم منسوبون اليه ويعرفون به ، وكان رجلا صالحاً ، وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من ، فقالوا لم يكن له شيخ وإنما كان مجذوبا ، وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب ، يريدون بذلك أنه جذب الى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات كثيرة ، أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد ، وكان قد رآه وهو صغير ، وذكر أن اباه أحمد كان صاحبه ، قال كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ونزلنا في الطريق على عين بوار[٤] وهي التي يجلب منها الملح البواري ، وهي بين سنجار وعانة ، قال : وكانت الطريق مخوفة ، فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ، ونام الشيخ يونس ، قال فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام ؟ فقال لي : والله ما نمت حتى جاء اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وتدرك القفل ، فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس ، قال وعزمت مرة على دخول

(١) مجهولة .
(٢) ترجمه في الشذرات وتاريخ ابن الوردي ودول الاسلام والوفيات .
(٣) في (صل) : « الخانقي » التصحيح من (م) والشذرات والوفيات .
(٤) في (صل) : « عين بوارا » التصحيح من الوفيات

الحجاب غير مرة ، وقبض عليه المؤيد في فتنة نوروز وسجن في المرقب [1]، ثم أطلق في سنة ثمان عشرة ، وولي نيابة حماة في شهر رجب سنة عشرين ، ثم نقل قبل سنة إلى حجوبيته بدمشق على عادته ، ثم قبض عليه في ذي القعدة من السنة الحالية وسجن بقلعة دمشق ، ثم أطلق وأرسل إلى نيابة حماة فمات بها في آخر سنة ثلاث وعشرين ، ونقل إلى دمشق فدفن بتربته تجاه باب المصلى وكان خيراً قوي النفس ، وينسب الى شجاعة ، وهو حسن الشكل [2] انتهى .

٣٠٣ — التربة المزلقية

شمس الدين ابن المزلق ٧٥٤ـ٨٤٨

بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية ، أنشأها رأس الخواجكية ، تاجر الخاص الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق [3] ، ميلاده سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وكان أبوه لباناً ، أدركه جماعة وهو يباشر ملبنته عند جامع يلبغا ، فنشأ ولده هذا ودخل في البحر ، وحكى عن نفسه أن أول سفرة سافرها كسب فيها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم ، وانفتحت الدنيا عليه ، وعمر أملاكا كثيرة ، وأنشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب [4] والمنية [5] وعيون التجار ، أنفق على عمارتها ما يزيد على مائة الف دينار ، وكل هذه الخانات فيها الماء ، وجاءت في غاية الحسن ، ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء [6] لمثل ذلك ، وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف

(١) قلعة تشرف على الساحل قرب بانياس .
(٢) في (مح و م) : « وكان شكلا حسناً » .
(٣) ترجمته في الضوء والشذرات .
(٤) في (مخ) : « جب يعقوب » ويقال اليوم : جسر بنات يعقوب وهو على نهر الشريعة .
(٥) شمال غربي بحيرة طبرية ، اكتشف بقربه بقايا قصر أموي من عهد الخليفة هشام .
(٦) في (مخ) : « الخلق » ، وفي (م) : « الحكام »

الكثيرة الحسنة ، وعين للحجرة الشريفة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام الشمع والزيت في كل عام ، وكان رحمه الله تعالى رجلا من رجال الدهر ، حسن الكلام ، له جرأة واقدام ، وجرى له أمور ومخاصمات مع جماعات من الحكام [1] ، واسمه مشهور في الممالك كلها ، يكاتب ملوك الاطراف [2] ويقضون حوائجه ويهاديهم ، وكلمته نافذة عندهم ، وكذلك العربان كانوا يراعونه ويحفظون [3] متاجره ، وكان مكتنباً حريصاً على جمع المال ، وكان يحب الدنيا غارقاً في بحارها ، لا يبالي من أي وجهة يحصل الدنيا ، [كذا] قاله الأسدي . ثم قال الأسدي : وقد عمر خانات ضروريات ، وله في غير دمشق أوقاف وقراء ، وكان قد ضعف بصره قبل أن يموت بسنتين ، ثم تزايد ذلك إلى أن قارب العمى ، وهو متمتع ببقية حواسه ، وكان بخيلا على نفسه غير مترف ، توفي ليلة الأحد تاسع عشريه ، وصلي عليه بالجامع الاموي ، وحضر النائب الصلاة عليه وخلق كثير ، ودفن بتربته المذكورة يعني في سنة ثمان وأربعين وثمانمائة في جمادى الآخرة منها ، وأوصى بثلث ماله في أنواع من القربة [4] ، وكان قد وقف أملاكه قبل ذلك ، وجعل النظر في ذلك لحاجب الحجاب وخطيب الجامع الاموي القاضي نظام الدين الحنفي واحد من أولاده أظنه قال أرشدهم انتهى . وترك ولدين وهما الخواجا بدر الدين حسن والخواجا شهاب الدين أحمد [5] وبنات ، ثم سافر ولده هذا الى مصر لأجل تركته انتهى والله تعالى أعلم بالصواب .

٣٠٤ — التربة الملكية الاشرفية [6]

قال بن شداد : ولما ملكها يعني دمشق الملك الاشرف موسى إلى أن

(١) في (مخ) : « من الكبار » .
(٢) في (صل) : « الارض » التصحيح من (مخ) .
(٣) في (صل) : « كانت تراعيه وتحفظ متاجره » التصحيح من (مح وم) .
(٤) في (صل) : « من القرب » التصحيح من (م)
(٥) مات سنة ٨٧٣ . ترجمته في الضوء .
(٦) مخطط المنجد رقم (٣٠)

أرام مجتمعين حلقاً (١) ، فقيل له السبب كيت وكيت ، فقال : أنا أجيبه من كتاب الله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) الآية . وقال : قرأت في الكتاب الذي فيه أخبار الأوائل ، ان هذه الدار المعروفة بالخضراء مع الدار المعروفة بالمطبق (٢) مع دار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع أقاموا وقت بنائها يأخذون لها الطالع ثاني عشرة سنة وقد اجتهدوا في ذلك وما حفروا أساس الحيطان حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا بطلوعها أن المسجد لا يخرب ابداً ولا يخلو من العبادة ، وأن هذه الدار اذا بنت لا تخلو أن تكون دار الملك والسلطنة ، والضرب ، والحبس وعذاب الناس والقتل ، ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة ، فبني عليه هذا ، وكانت في ذلك الزمان كلها داراً واحدة .

وقد بنى الوليد بن عبد الملك بن مروان كل ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمكها ، ولما بنى القبة فيه واستقلت وتمت ، وقعت ، فشق ذلك على الوليد ، فأتاه رجل من البنائين فقال له : أنا أتولى بنيانها على أن تعطيني عهد الله أن لا يدخل معي أحد في بنيانها ، ففعل ذلك ، فحفر موضع الاركان حتى بلغ الماء ثم بناها ، فلما استعلت على وجه الارض غطاها بالحصر وهرب عن الوليد ، فاقام بطلبه ولم يقدر عليه ، فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد الا وهو على بابه ، فقال له: ما دعاك الى ما صنعت . قال : تخرج معي حتى أريك فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الارض فقال : من هذا ، ثم بناها ببنائها الذي هي عليه حتى قامت ، ويقال إنه حفر الاساس أي اساس مسجد دمشق حتى بلغ الحفير إلى الماء ،

(١) في ابن عساكر : « حلقاً حلقاً » .

(٢) في (صل) : « بالطبق » وفي ابن عساكر « بالقبق » التصحيح من (مخ و م)

وألقي فيه جراز (١) الكرم ، وبنى عليه ذلك الاساس ، وقد روى عن بعض قومة المسجد في بنائه ، قال : حدث ان الوليد بن عبد الملك بعث إليه يوماً عند فراغه من القبة الكبيرة ولم يبق منها الا عقد رأسها ، فقال : اني عزمت ان أعقدها بالذهب ، فقال له : يا أمير المؤمنين [هل اختلطت (٢)] هذا شيء لا تقدر عليه ، فقال له : ياماص هن امه (٣) ، تقول لي هذا ، وامر به فضرب خمسين سوطاً ، ثم قال : اذهب فافعل ما امرت به ، قال : فذكر ني عمل لبنة من ذهب وامر بحملها اليه ، فلما نظر اليها وعرف ما فيها وما تحتاج القبة الى مثلها قال : هذا شيء لا يوجد في الدنيا فرضي عنه وامر له أي المضروب بخمسين ديناراً .

ثم اراد ان يبني المسجد اسطوانات الى الكوى ، فدخل بعض البنائين فقال : لاينبغي ان يبنى كذا ولكن ينبغي ان يبنى فيها قناطر وتعقد اركانها بعضها الى بعض ، ثم تجعل اساطين ، ويجعل عمداً ، ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخف عن العمد البناء ، ويجعل بين كل عمودين ركن ، فبني كذلك . قال ابن الرامي يرفعه عن رجل : ولما قطع الوليد ابن عبد الملك بن مروان بالرصاص لمسجد دمشق على اهل الكور ، كانت كورة الاردن اكثرهم في ذلك فطلبوا الرصاص في النواويس ، فانتهوا الى قبر من حجارة في داخله قبر من رصاص ، فأخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الارض ، فوقع في هوة من الارض فانقطع عنقه فسال من فيه دم ، فهالهم ذلك ، فسألوا عنه ، فكان فيمن سألوا عبادة بن نسي الكندي (٤) ، فقال لهم : هذا قبر طالوت الملك ، كذا قرأه على عبد الكريم (٥) .

(١) في ابن عساكر : « جمان » .
(٢) من ابن عساكر .
(٣) في ابن عساكر : « ياناصر » وفي (م) : « ياماص هن امة »
(٤) عبادة بن نسي قاضي الاردن ، مات سنة ١١٨ .
(٥) اي ابن حمزة الحداد .

وانبأنا ابو محمد بن الاكفاني قال : قرأت على ابن محمد السلمي عن بعض المشايخ قال : لما فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد قال له بعض ولده اتعبت الناس طينته كل سنة ، ويخرب سريعاً ، فأمر ان يسقف بالرصاص ، فطلب الرصاص من كل بلد فوصل اليه ، فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً ، فكتب الى عماله بحرضهم في طلبه ، فكتب اليه بعض عماله : انا وجدنا عند امرأة منه شيئاً وقد ابت ان تبيعه الا وزناً بوزن من النضار (١) ، فكتب اليه : أن خذه وزناً بوزن ، فأخذه وزناً بوزن ، فلما وافاها النضار ، قالت : هو هدية مني للمسجد ، فقال لها : العامل انت ابيتي ان تبيعني إياه إلا وزناً بوزن شحاً منك ، فكيف تهديه الى المسجد ، فقالت : انما فعلت ذلك ظننت ان صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ اموالهم ، فلما رأيت الوفاء منكم علمت انه لم يكن يظلم فيه احداً [ويبتاع وزناً بوزن (٢)] فكتب الى الوليد بذلك ، فأمر ان يعمل في صفائحه لله ولم يدخله في جملة ما عمله فهو الى اليوم مكتوب عليه : لله ، طبع بطابع على السقف انتهى .

وكان سليمان بن عبد الملك هو المقيم (٣) مع الصناع ، فكان يفضل عند الرجل الفلس ورأس المسمار فيجيء به فيرميه في الخزانة .

انبأنا ابو الحسن علي الخطيب يرفعه الى احمد بن هشام (٤) يقول : سمعت ابي يقول ما في مسجد دمشق شيء من الرخام الا ما كان من رخامي المقام فانه يقال انها من عرش بلقيس ، واما الباقي فكله مرمر . وقيل انه اجتمع في ترخيمه اثنا عشر الف مرخم . قال بعضهم كتب لي [ابو] عبد الله محمد الفراوي (٥) ، وقيل انه الفاه يخبرني عن ابي بكر

(١) في ابن عساكر : « الابوزنه ذهباً » .
(٢) من (م) .
(٣) في (صل) : « هو القيم » التصحيح من ابن عساكر .
(٤) احمد بن هشام بن عمار السلمي الدمشقي .
(٥) ابو عبد الله كمال الدين محمد بن الفضل بن احمد الصاعدي ، مات سنة ٥٣٠ وقيل سنة ٥٤٨ ترجمه في الوفيات والشذرات وكشف الظنون .

احمد بن الحسين (١) الحافظ يرفعه الى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : عجائب الدنيا خمسة اشياء ، احدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين ، والثانية اصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا ، والثالثة مرآة في بلاد الاندلس معلقة على باب المدينة اي مدينة الاندلس الكبيرة فاذا غاب الرجل من بلادهم على مسيرة مائة فرسخ في مائة فرسخ اتى بعض اهله الى تلك المرآة يقعد تحتها وينظر في المرآة يرى صاحبه من مائة فرسخ ، والرابعة مسجد دمشق وما يوصف به ومن الانفاق عليه وكثرة محاسنه ، والخامسة الرخام والفسيفساء فانه لا يدرى (٢) له موضع . ويقال ان الرخام الذي فيه كله معجون والدليل على ذلك انه لو وضع على النار لذاب ، وهذا من العجب العجاب وقيل لما اخذ الوليد في بناء مسجد دمشق ، وظهر من تزويقه وتنميقه [وبنائه وعظم مؤنته ما ظهر تكلم الناس فقالوا : انفق] (٣) فيئنا واتلف ما في بيوت اموالنا في نقش الخشب وتزويق الحيطان ، ثم كأنا به قد حرمنا اعطاءنا ، واعتل علينا بذهاب المال وقلته ، فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوه ، فصعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا ايها الناس قد بلغني مقالتكم ، وانتهى اليّ ما خفتم من حبس اعطائكم ، ودفعكم عن حقوقكم ، وليس الامر كما ظننتم اما واني امرت باحصاء ما في بيوت الاموال فاصبت اعطاكم فيه ست عشر سنة مستقبلة من يومي هذا ، ثم نزل ، وقيل انهم حسبوا ما انفق على الكرمة التي قبلي المسجد الاموي فكان سبعين الف دينار . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد دمشق اربعمائة صندوق ، في كل صندوق اربعة عشر الف دينار وقيل انه قال : رأيتكم يا اهل دمشق تفتخرون على الناس بأربع خصال ، فأحببت ان يكون مسجدكم الخامس ، تفتخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم

(١) البيهقي الخسروجردي ، (٣٨٤ — ٣٥٨) . ترجمه في الوفيات و طبقات الحفاظ ، وكشف الظنون ، والشذرات .
(٢) في (صل) : « لا يدركه » التصحيح من (م) وابن عساكر .
(٣) من (م وابن عساكر) .

وحماماتكم فأردت ان يكون مسجدكم الخامس . وقيل انه اشترى العامودين الاخضرين اللذين تحت [قبة] النسر من حرب [١] بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار ، واخبرني ابو الفضل القاسم بن السمرقندي قال : قال ابو يوسف يعقوب بن سفيان قرأت في صفائح في قبلة مسجد الجامع بدمشق مذهبة بلازورد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم . الى آخر الآية ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، امر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد امير المؤمنين في ذي القعدة من سنة ست وثمانين في ثلاث صفايح منها ، وفي الرابعة فاتحة الكتاب الى آخرها ، ثم النازعات الى آخرها ، ثم عبس الى آخرها ، ثم اذا الشمس كورت الى آخرها . قال ابو يوسف : وقدمت بعد ذلك فرأيت هذا قد محي وكان هذا قبل المأمون . وقال ابن الرامي : سمعت ابا مروان عبد الرحيم [بن] عمر المازني يقول : لما كان في ايام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد الجامع احتفر فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً فلم يفتحوه ، وأعلموا به الوليد ، فخرج من داره حتى وقف عليه وفتح بين يديه ، فاذا داخله مغارة فيها تمثال انسان من حجارة على فرس من حجارة في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ، ويده الاخرى مقبوضة[١] فأمر بها فكسرت فاذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل لو تركت الكف [٣] لم يكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير .

وانبأنا ابو محمد بن الاكفاني اخبرني ابو القاسم غنائم بن احمد الخياط حدثني ابو احمد الحافظ الوراق وكان قد عمر مائة سنة ، قال : سمعت بعض الشيوخ

(١) في (صل) : « من الحائط » التصحيح من ابن كثير .
(٢) في (صل) : « مفتوحة » التصحيح من ابن عساكر .
(٣) : (صل) : « اليد » التصحيح من (م) وابن عساكر .

يقولون إنه لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها وجدوا على العمود الذي [في المقلاط] على السفود الحديد[١] الذي في أعلاه صنما مادّاً يده بكف مطبقة فكسروه فاذا فيه حبة قمح ، فسألوا عن ذلك فقيل لهم هذه الحبة القمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم طلسما حتى لا يسوس القمح ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر قلت : ورأيت انا هذا السفود على قناطر كنيسة بالمقلاط [٢] . وأنبأنا أبو القاسم علي بن ابراهيم الحسيني قال : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون ان العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق ام حكيم عليه حجر مدور مثل الكرة ، كبير ، لعسر بول الدواب ، اذا دار الفرس أو الحمار ثلاث مرات حول العمود انطلق البول منه ، عملته حكماء الروم من اليونانيين .

وكان مبدأ شروع الوليد في عمارة المسجد سنة سبع وثمانين ، وتوفي يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكانت مدة ولايته تسع سنين وثمانية أشهر . قال الذهبي في العبر : وكان مع ظلمه كثير التلاوة للقرآن . قيل : إنه كان يختم في كل ثلاث ، ويقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة ، ورزق سعادة سعيدة في أيامه ، فافتتحت الهند في أيامه ، والترك ، والاندلس ، وكان كثير الصدقات ، جاء عنه أنه قال : لولا ماذكر الله آل لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعله ، وكان يكنى أبا العباس ، وكان دميما سافلا ، يتبختر في مشيه ، وأدبه ناقص ، حتى قيل إنه قرأ في الخطبة قوله تعالى : (ياليتها كانت القاضية) بضم التاء من ليت ، وأنشأ هذا الجامع ولم يكمله كما تقدم فأتمه أخوه سليمان .

(١) في (صل) : « وجدوا على العمود الذي على السفود الحديد » وفي ابن عساكر « على العمود الذي في المقلاط على التاج الحديد » ولعل صوابه ما أثبتناه .
(٢) في ابن عساكر : « وقد رأيت هذا السفود على عمود قائم بالمقلاط » .

تراثنا

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومى

المؤسسة المصرية العامة

فإذا آنتهت زيادتُه، فتحت خُلْجانات وتُرَع تتخرّق المياه فيها يمينًا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل .

§ وللنيل ثمان خُلْجانات . وهى : خليج الإسكندرية ، وخليج دِمياط ، وخَليج مَنْف ، وخليج المَنْهى (حفره يوسفُ الصدّيق عليه السلام) ، وخليج أُشْموم طَنَّاح ، وخليج سَرْدُوس (حفره هامانُ لفرعونَ) ، وخليج سَخَا ، وخليجٌ حفره عَمْرو بن العاص ، يجرى إلى أن يصُبّ فى السَّباخ .

§ ويحصل لأهل مصر إذا وفى النيلُ ستة عشر ذراعا — وهى قانون الرىّ — فرحٌ عظيم ، بحيث إن السلطان يركَبُ فى خواصّ دولته وأكابر الأمراء فى الحَرَاريق إلى المِقْياس ، ويمدّ فيه سماطٌ يأكل منه الخواصّ والعوامّ ، ويَخْلَع على القَيَّاس ، ويَصله بصلة مقرّرةٍ له فى كلّ سنة .

§ وقد ذكر بعض المفسرين "للكتاب العزيز" أن يوم "وفاء النيـل" هو اليوم الذى وَعَد فيه فرعون موسى بالآجتماع ، وهو قوله تعالى إخبارا عن فرعون ﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يومُ الزِّينَـةِ وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ . والعـادة جارية أن آجتماع الناس للتخليق فى هذا الوقت .

ومتى قصَّر النيل عن هذا المقدار، غَلَتِ الأسعارُ .

وهو إذا آبتدأ فى زيادته يكون مُخْضَرًّا ، ثم محمرًّا ، ثم كَدِرا .

وإذا آنتهى فى الزيادة غشّى الأرض ، وتصـير القرى فوقَ الرَّوابى فلا يُتوصَّـل إليها إلا فى المراكب أو على الجسور الممتدّة التى تُنفَق عليهـا الأموال الكثيرة وتُتخذ لحفظ المـاء .

فإذا آنتهى رىّ مكان وأخذ حدّه ، قُطِع جَسْر ذلك المكان من مكان معـروف (يعرفه خَوَلة البلاد ومشايخها) تروى منه الجهـة التى تليها مع ما تجمع فيها من المـاء المختص بها . ولولا إتقان هذه الجسور وحفر الترع لَقَلّ الآنتفاع بالنيل .

§ وقد حكى أنه كان يُرْصَد لعمارة الجسور فى كل سنة ثلثُ الخَرَاج لعنايتهم بهـا : لمـا يترتب عليها من المصالح ، ويحصُل بها من النفع فى رىّ البلاد .

§ وقد وصف بعض الشعراء النيل فى طلوعه وهُبوطه ، فقال :

واهًا لهذا النِّيلِ ، أىُّ عَجيبةٍ * بِكْرٍ بمثـل حديثِها لا يُسمَعُ !
يَلْقَى الثرى فى العامِ وهو مسلِّمٌ * حتى إذا ما مَـلَّ عاد يودِّعُ .
مستقبِلٌ مثلَ الهلالِ ، فدهرُه * أبدا يَزيد كما يَزيد ويَرجِـعُ .

وللشعراء فيه أوصاف وتشبيهات ، نذكرها بعدُ إن شاء الله تعالى فى موضعها .

§ وهذا النهر مخالف فى جريه لسائر الأنهار ، لأنه يجرى ممـا يَلِى الجنوب مستقبل الشمال . وكذلك نهر مِهْرانَ بالسِّند ، ونهر الأُرُنْط ، وهو نهر حِمْص وحَمَاة ، ويسمّى العاصىَ لمخالفته للأنهار فى جريها . وما عداها من الأنهار جريُها من الشمال إلى الجَنُوب : لآرتفاع الشمال عن الجنوب وكثرة مياهه .

وهو أخفُّ المياه وأحلاها وأعمُّها نفعا وأكثرُها خراجا .

§ وقد حُكى أنه جُبِىَ فى أيام كيقاوش (أحد ملوك القبط الأُوَل) مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار ، وجباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار ، وجباه عمرو بن العاص آثنَى عشرَ ألف ألف دينار ، ثم رَذُل إلى أن جُبِىَ أيام القائد جوهر (مولى المعزّ العُبيدىّ) ثلاثةَ آلاف ألف ومائتَىْ ألف دينار .

وحكى عمرو بن مهاجر الأنصارى قال : حَسَبوا ما أُنفق على الكرمة التى فى قبلة مسجد دمشق ، فإذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أُنفق فى عمارة مسجد دمشق أربعمائة صُندوق ، كل صُندوق أربعةَ عشر ألفَ دينار .

وقال بعض شعراء المُحْدَثين فى وصفه :

دِمَشْقُ قد شاع ذِكْرُ جامعها * وما حَوَتْه رُبى مَرابِعِها .
بديعةُ المُدْنِ فى الكمال لَنْ * يُدْرِكَه الطَّرْفُ من بَدائعِها .
طَيِّبةٌ أرضُها مباركَةٌ * باليُمْن والسَّعد أخْذُ طالِعِها .
جامعُها جامعُ المحاسن قَدْ * فاقتْ به المُدْنَ فى جَوامعِها .
تُذْكَر فى فَضْلِه ورِفْعتِه * أخبارُ صِدقٍ راقت لسامِعِها .
قد كان قبلَ الحريق مَدْهشةً * فغَيَّرته نارُ بلاقِعِها .
فأذهبَتْ بالحريق بهجتَه * فليس يُرْجى إيابُ راجعِها .
إذا تَفَكَّرتَ فى الفُصوص وما * فيها ، تيقَّنْتَ حِذْقَ واضعِها .
أشجارُها لا تزالُ مثمرةً * لا تَرْهَبُ الريحَ فى مَدافِعِها .
كأنَّها من زُمُرُّدٍ غُرِستْ * فى أرض تِبْرٍ يُغشى بفاقِعِها .
فيها ثِمارٌ تخالُها يَنَعتْ * وليس يُخْشى فسادُ يانِعِها .
تُقْطَف باللحظ لا بجارحة الأيدى ولا تُجْتَنى لبائعِها .
وتحتها من رُخامه قِطَعٌ * لا قَطَعَ اللهُ كَفَّ قاطِعِها .
أحكَمَ ترخيمَها المرخِّم قد * بانَ عليها إحكامُ صانِعِها .

وإنْ تفكَّرْتَ فى قناطِرِه * وسَقْفه ، بانَ حِذْق رافعِها .
وان تبيَّنْتَ حُسْنَ نُقْبته * تحيَّرَ اللُّبُّ فى أضالِعِها .
تخترقُ الريحُ فى مَخارِمها * عَصْفًا فتقْوى على زَعازعِها .
وأرْضُه بالرُّخام قد فُرِشَتْ * يَنْفَسِحُ الطَّرْف فى مَواضِعِها .
مجالِسُ العِلْم فيه مُونِقَةٌ * يَنْشَرِحُ الصدْرُ فى مجامِعِها .
وكلُّ بابٍ عليه مِطْهرةٌ * قد أمِنَ الناسُ دَفْعَ مانِعِها .
يرتِفقُ الخلْقُ من مَرافِقِها * ولا يُصَدُّونَ عن منافِعِها .
ولا تزالُ المِياهُ جاريةً * فيها لما شُقَّ من مَشارِعِها .
وسوقُها لا تزالُ آهِلةً * يزدَحِمُ الناسُ فى شَوارِعِها .
لِمَا يَشاءُون من فواكِهِها * وما يُريدون من بضائعِها .
كأنَّها جَنَّةٌ معجَّلةٌ * فى الأرض ، لولا سُرى بخائعِها .
دامتْ بِرَغْم العِدا مُسَلَّمةً * وحاطَها اللهُ من قَوارِعِها .

وقال عبد الله بن سلام: بالشام من قبور الأنبياء ألفَا قبر وسبعُمائة قبر، وقبرُ موسى بدمشق؛ ودمشق معقِل الناس فى آخر الزمان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مَنْ أراد أن ينظر إلى الموضع الذى قال الله عز وجل فيه ﴿ وآوَيْناهُمَا إلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ ﴾ فليأت النَّيْرب الأعلى بدمشق بين النهرين ، وليَصْعد الغارَ فى جبل قاسِيُونَ ، فلْيُصَلِّ فيه فإنه بيتُ عيسى وأمِّه . ومن أراد أن ينظر إلى إرَمَ ، فليأت نهرا فى دمشق يقال له بَرَدَى . ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التى فيها مريمُ بنتُ عمران والحواريُّونَ . فليأت مقبُرة الفراديس .

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الأول

(فيما وصفت به القصور والمنازل)

ولنبدأ بذكر ما بناه المتوكل من القُصور وما أُنْفِق عليها، ثم نذكُر ما قيل فى وصفها، وما وُصِفت به المنازل الخالية، وما قيل فى حُبّ الوطن .

فأما قصور المتوكل، فهى : الكامِلُ، والجَعْفَرِىّ، وبِركوانا[1]، والعَرُوس، والبِرْكة، والجَوْسَق، والمُخْتار، والغَرِيب، والبَدِيع، والصَّبِيح، والمَلِيح، والقَصْر، والبُرْج، والمتوكِّلِيَّة، والقُلّاية .

حكى المؤرّخون أنه أنفق فى بنائها مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار عينا، ومائتا ألف ألف وثمانيةٌ وخمسون ألف ألف وخمسمائة ألف درهم .

قالوا : وكان "البرج" من أحسنها . كان فيه صُوَر عظيمةٌ من الذهب والفضة، وبركةٌ عظيمة غُشّى ظاهرُها وباطنها بصفائح الفضة، وجعل عليها شجرةٌ من الذهب فيها طُيُور تصوت وتصَفِّر سماها "طُوبى" بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار .

وقد وصفه الشعراء، فمن ذلك قول السرىّ :

مَجْلِسٌ فى فِناء دِجْلَةَ، يَرْتا * حُ إليه الخَليع والمَسْتُورُ.
طائرٌ فى الهواءِ، فالبَرْق يَسْرى * دُونَ أعلاهُ والحَمَامُ يَطِيرُ.
فإذا الغَيْمُ سدّ، أُسْبِل منه * حُلَلٌ دون جُدْرِه وسُتُورُ.
وإذا غارتِ الكواكبُ صُبْحا، * فهو الكَوْكَبُ الذى لا يَغُورُ!

(1) كذا بالأصل . وفى معجم ياقوت "بَزْكَوار" .

وقال أيضا :

مَنْزِلٌ كالرَّبيع حَلَّت عليه * حالِياتُ السَّحاب عقدَ النِّطاق.
يُمْتِع العَيْنَ فى طرائِف حُسْنٍ * تتحامى بها عن الإطْراق.
بَيْن ساجٍ كأنّهُ ذائِبُ التِّبْرِ على مِثْل ذائبِ الأَوْراق.

وقال أيضا :

والقصرُ يَبْسِم عن وجه الضُّحى فترى * وجهَ الضُّحى عند ما أبدى له [illegible]
يبيت أعلاهُ بالجَوْزاء مُنْتطِقا * ويَغْتَدِى بِرِداء الغَيْم [illegible]

وقال أبو سعيد الرستمى، يصف دارا بناها الصاحب بن عَبّاد :

وسامِيةِ الأعْلامِ تَلْحَظُ دُونَها * سَنَا النَّجْم فى آفاقِها مُتَضائِلا .
نَسَخْتَ بها إيوانَ كِسْرى بنِ هُرْمُزٍ، * فأصبحَ فى أرض المَدائِن عاطِلا .
فلو أبصَرَتْ ذاتُ العِمادِ عِمادَها، * لأمسَتْ أعالِيها حَياءً أسافِلا .
ولو لحَظَتْ جَنّاتُ تَدْمُرَ حُسْنَها، * دَرَتْ كيف تَبْنِى بعدَهُنّ المَجادِلا .
متى تَرَها خِلْتَ السماءَ سُرادِقًا * عليها وأعلامَ النُّجوم تَماثِلا .

وقال علىّ بن يوسف الإيادى، يذكر دارا بناها المعز العُبَيْدى بمصر وسماها "العروسين" :

بَنَى مَنْظَرًا يُسْمَى "العَرُوسَيْنِ" رِفْعةً، * كأنّ الثُّرَيّا عَرَّسَتْ فى قِبابِهِ .
إذا الليلُ أخفاهُ بحُلْكةِ لَوْنِه، * بَدَا ضَوْءُهُ كالبدر تحت [illegible]
تَمَكّنَ من سَعْدِ السُّعُود مَحَلُّه، * فأضحى ومِفْتاحُ الغِنَى فَتْحُ بابِهِ .
ولو شادَهُ عَزْمُ المُعِزِّ ورأيُهُ * على قَدْرِه فى مُلْكه ونِصابِهِ
لكانَ حَصَى الياقُوتِ والتِّبْرِ مُفْرَغًا * على المِسْك من أحْجارِه وتُرابِهِ .

مخـدّة وقال : بلغنى أن المعتصم دفع إليـك فى أوّل يوم جلست بين يديه مِخدّة ، وقال : إنه لا يستجلب ما عند حرّ مثلُ إكرامه. ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم؛ فأمر أن يُسـقَى . فلما شرب أقداحا قال : هاتوا لأبى محمد عُودا؛ فجىء به فاندفع يغنّى بشعره :

ما علّة الشيخ عيناه بأربعةٍ * تَغْرَوْرِقانِ بدمع ثم ينسكب

قال آبن حَمْدون : فـا بقى غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ [على الخَيْر][1] إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بمـا يفعل؛ فأمر له بمائة ألف دينار[2] . ثم آنحـدر المتوكل الى الرّقة وكان يستطيبها لكثرة تغريد الطير فيها؛ فغنّاه إسحاق :

أأن هَتَفت وَرْقاءُ فى رَوْنق الضُّحَى * على فنن غضّ النبات من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبـكى الوليـدُ ولم تزل * جليـدًا وأبديت الذى لم تكن تُبْدِى

فضحك المتـوكل ثم قال : يا إسحاق ، هـذه أخت فَعلتك بالواثق لمـا غنّيته بالصالحيّـة :

طَرِبتُ إلى أُصَيْبِيَةٍ صِغارِ * وذكّرنى الهوى قربُ المزار

فكم أعطاك لمـا أذِن لك فى الآنصراف ؟ قال : مائـة ألف دينـار؛ فأمر له بمـائة ألف دينار[2] وأذن له بالآنصراف[3] . وكان آخر عهده بإسحاق . توفى بعد ذلك بشهرين . وكانت وفاته فى شهر رمضان سـنة خمس وثلاثين ومائتـين . وكان يسأل الله تعـالى ألا يبتليه بالقُولَنْج[4] لِـا رأى من صعوبته على أبيـه ، فرأى فى منامه كأنّ قائلا يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولست تمـوت بالقُولَنْج ولكنّك

(١) زيادة عن الأغانى . والخير : اسم قصر بسرّ من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعة آلاف ألف درهم . (٢) فى الأغانى : "درهم" .
(٣) عبارة الأغانى : «وأذن له بالانصراف الى بغداد . وكان هذا آخر عهدنا به لأن إسحاق الخ»

تموت بضـدّه ، فأصابه ذَرَب فى شهر رمضان ، فكان يتصدّق فى كل يوم يمكنه صومه بمائة درهم ، ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقه ومات فى الشهر . ولمـا نُعِى إلى المتوكل غمّـه وحزِن عليه وقال : ذهب صـدر عظيم من جمـال الملك وبهائه وزينته . رحمه الله تعالى .

ذكر أخبـار عَلُّويَه

هو أبو الحسن على بن عبد الله بن سيف . وجدّه سيف من الصُّغْد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفّان وآسترق منهم جماعة آختصهم لخدمته وأعتق بعضهم ولم يُعتِق الباقين فقتلوه . قال أبو الفرج الأصفهانى : وكان علىٌّ هـذا مغنّيا حاذقا ، ومؤدّ با مُحسِـنا ، وصانعا متقنا ، وضاربا متقدّما ، مع خفّة رُوح وطيب مجالسةٍ وملاحة نوادر . وكان إبراهيم الموصلىّ علّمه وخرّجه وعُنى بتحـذيقه جدًّا ، فبرع وغنّى لمحمد الأمين وعاش إلى أيام المتوكّل ومات بعد إسحاق الموصلى بيسير . وكان سبب وفاته أنه خرج عليه جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَوَيْهِ ، فبعث إليه بدواء مُسهل وطِلاء ، فشرب الطلاء وآطّلى بالدواء ، فقتله ذلك . قال : وكان عَلُّويَه أعسر ، فكان عوده مقلوب الأوتار : البَمّ أسفل الأوتار كلها ثم المِثْلَث فوقه ثم المَثْنَى ثم الزِّير؛ فكان عوده إذا كان فى يد غيره يكون مقـلوبا ، وإذا أخذه كان فى يده اليمنى وضرب باليسرى فيكون مستويا . وكان إسحـاق يتعصّب له فى أكثر أوقاته على مُخَارِق . وقال حماد آبن إسحاق : قلت لأبى : أيّمـا أفضل عندك مُخَارق أم عَلُّويه[1]؟ فقال : يابنىّ ، عَلُّويه أعرفهما فهمًا بما يخرج من رأسه ، وأعلمُهما بما يغنّيه ويؤدّيه ، ولو خُيِّرت[2] بينهما من يطارح جوارىّ ، أو شاورنى من يستنصحنى لمـا أشرت إلا بعَلُّويه ؛ لأنه يؤدّى

(١) فى الأصل : [illegible] (٢) [illegible]

الرشيد فقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلًّا ولا أمنعكِ بعدها من شيء تُريدينه.
ولها فى طلّ هذا عدّة أشعار صنعت فيها ألحانا ، وكانت فى بعضها تصحّف آسمه وتكنى
عنه بغيره. وكانت أيضا تقول الشعر فى خادم لها يقال له : رَشَأ وتَكْنِي عنه بزينبَ.
فمن شعرها فيه :

وَجَدَ الفؤادُ بزينَبا * وَجْدًا شـديدًا مُتْعِبَا
أصبحتُ مِن كَلَفٍ بها * أُدْعَى شَـقِيًّا مُنْصَبا
ولقد كَنَيتُ عن آسمها * عمـدًا لكى لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وكَتَمتُ أمرًا مُعْجِبا
قالت وقد عَزّ الوِصا * لُ ولم أجِدْ لى مَذْهَبا
واللهِ لا نِلتَ المـودّةَ أو تنالَ الكوكبا

فصحّفت آسمه فى قولها : "زينبا"، وهذا من الجناس الخطّى . قال : وكانت لأمّ
جعفر جارية يقال لها طُغيان ، فوشتْ بعليّة إلى رَشَأ وحكت عنها ما لم تقل .
فقالت عليّة :

لِطُغيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجّةً * جديدٌ فلا يَبْلَى ولا يَتَخرّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كلَّه (1) * على قدميها فى السماءِ معلّقُ
فما خَرقتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرَبًا * وأمّا سَراويلاتها فتمزّقُ

ورُوِى عن أبى هَفّان قال :
أُهدِيت للرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال ؛ فخلا معها يوما وأخرج كلّ قينة فى داره
وآصطبح . وكان مَنْ حضر من جواريه الغناءَ والخدمةَ فى الشراب زُهاء ألفى جارية
فى أحسن زِىّ من كل نوعٍ من أنواع الثياب والجوهر . وآتّصل الخبر بأمّ جعفر

(1) رواية الأغانى (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : "فى الهواء" .

فعظُم عليها ذلك ؛ فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّة : لا يهولنّكِ
هذا ، والله لأردّنّه إليكِ . قد عزمتُ أن أضع شِعرًا وأصوغ فيه لحنًا وأطرحه على
جوارىّ ، فلا تُبقِى عندكِ جاريةً إلا بعثتِ بها إلىّ وألبسيهنّ أنواعَ الثيابِ ليأخذن
الصوت مع جوارِىّ ؛ ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به . فلما جاء وقت صلاةِ العصرِ
لم يشعر الرشيد إلا وعليّة وأمّ جعفر قد خَرَجتا إليه من حُجْرتيهما معهما زُهاء ألفى
جارية من جوارِيهما وسائر جوارى القصر عليهنّ غرائب اللّباس وكلهنّ فى لحن
واحد هَزَجٍ صنعته عليّة وهو :

مُنْفصِلٌ عـنّى وما * قلبىَ عنه مُنْفصِـلْ
يا هاجِرِى اليـومَ لمن * نَوَيْتَ بعدِى أن تَصِلْ

فطَرِب الرشيد وقام على رجليه حتى آستقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور،
وقال : لم أرَ كاليوم قطّ . يا مسرور ، لا تُبْقِينّ فى بيت المال دِرْهمًا إلا نثرته .
فكان ما نُثِر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُمِع بمثل ذلك اليوم .

ورُوِى عن عَرِيب أنها قالت : أحسنُ يوم رأيته فى الدنيا وأطيبه يوم آجتمعت
فيه مع إبراهيم بن المهدىّ عند أخته عليّة وعندهما أخوهما يعقوب بن المهدىّ، وكان
أحذق الناسِ بالزَّمْر . فبدأت عليّة فغنّت من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها :

تَحَبَّبْ فإنّ الحبّ داعيـةُ الحبِّ * وكم من بعيدِ الدارِ مُستوجِبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإنْ حُدِّثْتَ أنّ أخا هـوًى * نجا سالمًا فارْجُ النجاةَ من الحبّ
إذا لم يكن فى الحبّ سُخْطٌ ولا رِضًا * فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتُبْ

وغنّى إبراهيم فى صنعته وزمَر عليه يعقوب :

لم يُنْسِنِيك سرورٌ لا ولا حَزَنُ * وكيف لا، كيف يُنْسَى وَجْهُكَ الحَسَنُ
ولا خلا منك قلبى لا ولا جَسَدِى * كُلّى بكُلّكَ مشغولٌ ومُرْتَهَنُ

نزهة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة اولي الابصار » و« سحر العيون »

وكم بالشام من شرف وفضل ... ومرتقب لدى برّ وبحر
بلاد بارك الرحمن فيها ... فقدّسها على علم وخبر
بها غرر القبائل من معدّ ... وقحطان ومن سروات فهر
اناس يكرمون الجار حتى ... يجير عليهم من كل وتر

أحمد بن محمد بن المدبر الكاتب

طبع على نفقة

المكتبة العربية - ببغداد

لصاحبها : نعمان الاعظمي

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

القاهرة : ١٣٤١

بالرخام الابيض المختم بالارزق ، وسقفه لاخشب فيه ، مذهب كله من اعلاه الى اسفله ؛ وبه ثلاثة منابر » انتهى

ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها.
نقلت من خط الشريشي قال: أملى عليّ شيخنا ابن جبير في وصف جامع دمشق ما صورته قال « الجامع الاموي من اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء ؛ وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف

ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فامر باشخاص اثنى عشر الف صانع من جميع بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف. فامتثل امره مذعنا فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة المذهبة المعروفة بالفسيفساء ومثلت به الاشجار مفرّعة الاغصان بانواع الازهار ، فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا

وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار

ومائتي الف دينار

وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها صالح النصارى بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره مسجداً وبقي النصف الغربي للنصارى فاخذه الوليد وادخله في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذه قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيستهم يجن ؛ فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن في حب الله وبدأ الهدم بيده فتبادر المسلمون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم

وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيره من المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبي ﷺ غير ان طوله في مسجد رسول الله ﷺ من القبلة [الى الشمال] . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة

رحلة ابن جبير



دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م

ذي النّون المصريّ ، مشهد الرجل الصالح المعروف بالأقطع المغربيّ ،
المقرىء وَرْش ، مشهد الطّبريّ ، مشهد شيبان الراعي
المشاهد الكريمة بها أكثر من أن تُضْبَط بالتقييد أو تتحصّل بالإحصاء وإنّما
ا منها ما أمكنتْنا مشاهدتُه .
بقبلة القرافة المذكورة بَسيط متّسع يُعرف بموضع قبور الشهداء ، وهم
استُشهدوا مع سارية رضي الله عن جميعهم . والبسيط المذكور مُسنّم
للعيان على مثال أسنِمة[1] القبور دون بناء . ومن العجب أن القرافة
نورة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة يأوي إليها الغُرباء والعلماء
لحاء والفقراء ، والإجْراء على كلّ موضع منها متّصل من قِبَل السلطان
كلّ شهر ، والمدارس التي بمصر والقاهرة كذلك ، وحُقّق عندنا أن الإجراء
ذلك كلّه نيّف على ألفَيْ دينار مصرية في الشهر ، وهي أربعة آلاف
ر مؤمنية .
وذُكر لنا أنّ لجامع عمرو بن العاص بمصر من الفائد نحو الثلاثين ديناراً
رية في كلّ يوم تتفرّق في مصالحه ومرتّبات قَوَمَته وسَدَنَته[2] وأئمته والقراء
وممّا شاهدناه بالقاهرة أربعة جوامع حفيلة البنيان أنيقة الصنعة إلى مساجد عدّة.
وفي أحد الجوامع الخُطبة اليوم ، ويأخذ الخطيب فيها مأخذ سُنّيّ يجمع
ا الدّعاء للصحابة ، رضي الله عنهم ، وللتابعين ومن سواهم ولأمهات المؤمنين
جات النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم ، ولعمّيه الكريمين حمزة والعباس ، رضي
عنهما ، ويُلطّفُ الوعظ ويُرقّقُ التّذكير حتى تخشع القلوب القاسية وتتفجّر
يون الجامدة . ويأتي للخطبة لابساً السّواد على رسم العبّاسيّة . وصفة لباسه
ردة سوداء عليها طيلسان شَرْب[3] أسود ، وهو الذي يسمى بالمغرب الإحرام ،

١ الأسنمة هنا : ما يرفع أو يبنى فوق القبر .
٢ السدنة ، الواحد سادن : خادم المسجد أو المعبد .
٣ الشرب : نوع من الحرير .

وعمامةٌ سوداء ، متقلداً سيفاً . وعند صعوده المنبر يضرب بنعل سيفه المنبر
في أول ارتقائه ضربة يُسْمِعُ بها الحاضرين كأنّها إيذان بالإنصات ، وفي
توسطه أخرى ، وفي انتهاء صعوده ثالثة . ثم يُسلّم على الحاضرين يميناً وشمالاً
ويقف بين رايتين سوداوين فيهما تجزيع بياض قد رُكزتا في أعلى المنبر .
ودعاؤه في هذا التاريخ للإمام العباسي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ابن
الإمام أبي محمد الحسن المستضيء بالله ابن الإمام أبي المظفّر يوسف المستنجد بالله ،
ثم لمحيي دولته أبي المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين ، ثم لأخيه وليّ عهده
أبي بكر سيف الدين[1] .

قلعة القاهرة

وشاهدنا أيضاً بنيان القلعة وهو حصنٌ يتصل بالقاهرة حصين المَنَعَة ،
يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه ، ويمدّ سورَه حتى ينتظم بالمدينتين
مصر والقاهرة . والمسخّرون في هذا البنيان والمتولّون لجميع امتهاناته ومؤونته
العظيمة كنشر الرُّخام ونحت الصخور العظام وحفر الخَنْدق المُحدِق بسور
الحصن المذكور ، وهو خندق يُنقَرُ بالمعاول نقراً في الصخر عجباً من العجائب
الباقية الآثار ، العُلوج الأسارى من الروم ، وعددهم لا يُحصى كثرة ، ولا
سبيل أن يُمتَهن في ذلك البنيان أحدٌ سواهم .
وللسلطان أيضاً بمواضع أُخر بنيان والأعلاج يخدمونه فيه ، ومن يمكن
استخدامه من المسلمين في مثل هذه المنفعة العامّة مُرفّهٌ عن ذلك كلّه ولا وظيفة
في شيء من ذلك على أحد .

١ الملك العادل .

المسالك والممالك

لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه
المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ هـ

ويليه

نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة

لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٢٠

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

ضاحك وتوضح والمقراة، قال امرؤ القيس a

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

والمجازة b، قال الشاعر

مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالأجيفر فالثماد

5 ووادى قران c ٭

قرى d البحرين

وهي الخط والقطيف والآرة e وهجر والفروق f وبينونة، قال النابغة الجعدى g

علهين من وحش بينونة نعاج مطافيل فى ربرب

10 والسقر والزارة وجواثا h، قال الشاعر

ما ضر أشناس i لا يكون له يوم جواثا ويوم ذى قر

وسابون k ودارين والغابة والشنون l ٭

الطريق من اليمامة الى اليمن

من اليمامة الى الخرج m، ثم الى نبعة n، ثم الى المجازة، ثم

دبيسان; vid. Jâk. I, ٧٨٩, 9 seqq. Hamd. فيشان, quod etiam a Jâk. memoratur.

a) Notus versus secundus Mo'allakae. b) Hoc nomen et vs. seq. in A male post والقطيف collocata sunt, itaque in Bahrain. Cf. Hamd. l.l. 20 B والنجار. Versus autem male h. l. laudatur, suo loco est supra p. ١٤٩, 1. A h. l. قنونا et بالاذيفر. c) A قنان, B القنان; vid. Hamd. l.l. 10 et Jâk. in v. d) A om. Etiam Jâk. in suo codice non habuisse videtur (vid. I, ٥٠٧, 9). e) A et C والاروه, B الاوره. De اوارة non cogitandum est. Vid. Ibn al-Fakîh ٣٠, 12. f) B والعوق. Ibn al-Fak. et Jâk. l.l. om. Cf. Hamdânî ١٣٨, 7. g) Bekrî ١٠٨, 2. h) B وجونة i. e. جونة. i) Sic quoque pronunt. in versu *Agh.* XVIII, ٢٠, 7 a f. k) A وسابون, B والسابون. Jâkût habet السابور et sic rec. apud Ibn al-Fak., sed Mokadd. et Belâdh. habent ut rec., sive cum, sive sine artic. l) E solo A. m) B الخروج. Cf. Hamd. ١٣٩, 22, ١٥٠, 13. n) A s. p., Kod. ضعب, in B deëst. Conjectura edidi.

الى المعدن، ثم الى الشفق a، ثم الى الثور b، ثم الى الفلج c، ثم الى الصفا، ثم الى بئر الآبار، ثم الى نجران، ثم الى الحمى d، ثم الى برانس e، ثم الى مربع f، ثم الى المهجرة، ثم الى المنازل التى قد مر ذكرها فى طريق الجادة الى صنعاء ٭

5 انقضى خبر التيمن

(129) سكك البريد فى المملكة

تسع مائة وثلثون سكة ونفقات الدواب واثمانها وارزاق البنادرة g والفرانقين لسنة مائة الف دينار وتسعة h وخمسون الفا ومائة دينار i ٭

مسلك التجار اليهود الراذانية k

10 الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية وانهم l يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا يجلبون m من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز * والفراء والسمور n والسيوف ويركبون o من فرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما ويحملون p تجارتهم q على الظهر الى

15 القلزم وبينهما خمسة r وعشرون فرسخا ثم s يركبون البحر الشرقى من القلزم الى * الجار وجدة t ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك u والعود والكافور والدارصينى وغير ذلك

---

a) Kod. العسعف, B non habet. b) A الثوز, Kod. s. p., B non habet. c) A الفلج, Kod. الملح, B المرج. d) Sic B et Kod.; A الحمى. e) Sic A et B; Kod. براس. f) B et Kod. مربع, A سريع. Vid. Jâk. IV, ٥١٦, 2. g) B البريد. h) B واربعة. i) B add. واحده *sic*. k) A in textu الراذانية, in marg. correctum. Prior pars hujus relationis ad finem paginae codicis, in charta agglutinata scripta est. Cf. supra p. ١٢٥, ann. a. l) B فانهم. m) B يحملون. n) B om. o) B sine و; Makrîzî I, ٢٠٣, 10 فيركبون et mox ويخرجون. p) B c. ف. q) B et Makr. تجاراتهم. r) B male ins. ايام. s) B و. t) Makr. male تجار جدة. u) B السمك.

آ... ... ...

الاستخراج لأحكام الخراج

للامام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥

صححه وعلق عليه الأستاذ السيد عبد الله الصديق
أحد علماء الأزهر الشريف حفظه الله

الحاج بركة شكا

سنة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م

المطبعة الاسلامية بالازهر
لصاحبها : عبد المعطى أحمد الحسينى

قال أبو عبيد إنما وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم قال ولم نسمع فى استيفاء الخراج
والجزية وقتا من الزمان يجتبى فيه غير هذا ثم روى عن مروان بن معاوية عن
خالد ، مولى آل جعدة عن رجل من آل أبى المهاجر قال استعمل على
رضى الله عنه رجلا على عكبرا فذكر نحو حديث عبد الملك بن عمير مختصراً
وقال فيه لا تبيعن لهم فى خراجهم حماراً ولا بقرة ولا كسوة شتا ولا صيف
وارفق بهم وروى عن أحمد مايدل على أنه لا يباع لهم شىء فى الخراج
قال صالح سألت أبى عن الرجل يبيع الشىء على حد الضرورة أيشترى منه قال
لا كأنه يؤخذ بخراج فيبيع ليؤدى قال لا يعجبنى أن يشترى منه وذكر الحسن
ابن زياد اللؤلؤى فى كتاب الخراج أنهم ان كسروا من الخراج شيئاً لم يبع لهم
عرضاً ولم يعدل بهم وإن صار على أحد منهم ماشد بعد ما مضت السنة لم يأخذه
بالماشد وفى صحيح مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن
حزام قال مر بالشام على أناس وقد أقيموا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت
فقال ماهذا قيل يعذبون فى الخراج فقال أما أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول إن الله يعذب الذين يعذبون فى الدنيا وفى رواية أخرى له حبسوا
فى الجزية . المسئلة الثانية فى مصرف الخراج ومصرفه مصرف الفىء عند الجمهور
وقد سبق لأحمد نصوص متعددة بذلك وأن حكم السواد حكم الفىء يعنى مغله
وخراجه وكذلك قال فى رواية بكر بن محمد وأبى النصر الفىء ماصولحوا عليه
من الأرضين وجزية الرؤس وخراج الأرضين فهذا لكل المسلمين فيه حق
الغنى والفقير وهذا أيضاً مذهب الحسن بن حى والشافعى ونقل صاحب التهذيب
من المالكية وهو البرادعى قال الأوزاعى وقف عمر والصحابة رضى الله عنهم
الفىء وخراج الأرضين للمجاهدين ففرض منه للمقاتلة والعيال والذرية فصار
ذلك سنة لمن بعده فمن افترض فيه ونيته الاجتهاد فلا بأس به قال قال مالك
أما جزية الأرض فلا أدرى كيف كان يصنع فيها إلا أن عمر رضى الله عنه

أقر الأرض ولم يقسمها بين الذين فتحوها وأرى لمن نزل ذلك به أن يكشف
عنه من يرضاه من أهل العلم والأمانة من أهل البلد كيف كان الأمر فى ذلك
فان لم يجد علما يشفيه ولا اجتهد هو ومن بحضرته انتهى وإنما توقف فيه مالك
لأن الخراج ليس مأخوذاً من الكفار خاصة بل يؤخذ من الكفار وغيرهم
وهو مأخوذ بعقد معاوضة لكنه لما كان عوضاً عن منفعة الأرض المستحقة
للمسلمين التى هى فىء لهم صرف مصرف الفىء وقد تقدم عن معمر أنه قال بلغنا
أن هذه الآية (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) نزلت فى الجزية والخراج
وذكر ابن المغلس الظاهرى من أصحاب داود أن مال الجزية عندهم يصرف
فى المصالح وليس بفىء فان الفىء عندهم يخمس كله ولم يذكر قولهم فى مصرف
الخراج وقد ذكر طائفة من أصحابنا الاختلاف فى تخميس الفىء وعدوا أما من
جملة أموال الفىء المختلف فى تخميسه الجزية والخراج ومنهم من قال لا يخمس
الخراج وان قلنا بتخميس الفىء كذا ذكره القاضى فى الأحكام السلطانية إلا
أنه علل بأن أصله قد خمس وهو الأرض المغنومة وهذا لا يجىء على المذهب
فان المذهب أن الأرض كلها توقف من غير تخميس وحكى طائفة من أصحابنا
منهم أبو الخطاب الاجماع على أن الجزية لا تخمس فالخراج أولى إذ الجزية
مأخوذة من مال الكفار وأما الخراج فهو عوض عن مالهم . المسئلة الثالثة
للامام ولاية المطالبة بالخراج كجزية الرؤس وقد كان عمر وعثمان وعلى ومن
بعده يبعثون عمالهم على جباية الخراج وهذا متفق عليه فان طالب الامام
وجب الدفع اليه وما لم يجز تفرقته وذكر القاضى والأصحاب فى كتاب الزكاة أنه
لا يجوز تفرقته دون الامام بخلاف الزكاة وفرقوا بينهما بأن الزكاة فرض من
فروض الاسلام ومصارفها معينة فجاز لمن وجبت عليه أن يتولاها بنفسه
والخراج والجزية يصرف فى المصالح العامة ويحتاج إلى اجتهاد ويتعلق بها حق
جميع المسلمين والامام هو النائب لهم والمجتهد فى تعيين مصالحهم وكذا

كر القاضى فى الأحكام السلطانية متابعة للماوردى أن أموال الصدقات
وز أن ينفرد أربابها بقسمتها فى أهلها بخلاف من فى يده من مال الفئ
ه ليس له أن ينفرد بقسمته فى مستحقيه حتى يتولاه أهل الاجتهاد
الأئمة وذكر القاضى فى خلافه الكبير فى مسائل الاجتهاد أن المنصوص
أحمد أنه يجوز لمن عليه الخراج أن يتولى تفرقته بنفسه على مستحقيه ثم ذكر
ل أحمد فى رواية محمد بن العباس وسئل عن الرجل يكون له الغلات فى مثل
ذا البلد يعنى بغداد فيمسحها ويخرج خراجها على ما وظف عمر رضى الله عنه
لى السواد ويقسم على المساكين قال إن فعل فهو حسن وكذلك نقل يعقوب
بن بختان فى الرجل عما فى يديه على ما وظف عمر رضى الله عنه على كل جريب
تصدق به قال ما أجود هذا ثم علله القاضى بأنه مال لاقوام غير معنين فجاز
ن حصل فى يديه تفرقته كاللقطة والزكاة قال ويتخرج المنع وأنه يحمله إلى
لامام لأنه قال فيمن كانت فى يده رهون لايعرف مالكها أنه يتصدق بها
يرفعها إلى الحكام وللقاضى طريقة ثالثة كتبها بخطه على ظهر جزء من خلافه
نه يجوز عند تعذر الامام المجتهد العادل لمن عليه الخراج أن يتولى إخراجه
بنفسه على مستحقيه بغير خلاف وذكر نص أحمد المتقدم ثم قال والوجه فيه
أنه قد تعذر الوصول إلى جهة الامام الذى يتولى إخراج ذلك فى وجوهه قال
وقد أجاز أحمد ماهو فى معنى هذا فيمن فى يده وديعة ولا يعرف مالكا جاز
له أن يتصدق بها وكذلك قال فى الرهون إذا عدم أصحابها قال والوجه فيه أنه
مال ليس له مالك معين فجاز لمن حصل فى يده أن يتولى صرفه بنفسه كاللقطة
قال فان كان من وجب عليه الخراج يجوز صرفه عليه فهل يجوز له صرف ذلك إلى
نفسه نقل عن أحمد مايدل على جوازه لأنه قال فى رواية الميمونى فى الوالى
يدع الخراج فقال لا الخراج فى ء لو تركه أمير المؤمنين كان فأما من دونه فلا
قال وقد أجاز إسقاط الخراج عنه قبل قبضه منه لذلك فى حق من وجب عليه

لأن الخراج حق فى الذمة فلا معنى لأخذه منه ورده عليه وتفارق الزكاة
لأنها تجب فى العين فلهذا إذا وجبت عليه وهو ممن يجوز أن يرد عليه أنها تقبض
منه قال ويحتمل المنع لأنه قد وجب عليه إخراج ذلك من ماله ولا يجوز له
أخذه لحق نفسه من تحت يده كزكاة ماله إذا كان به حاجة اليها انتهى ماذكره
وعندى أن كلام أحمد فى جواز صرف الخراج إلى مستحقه انما هو فيما اذا لم
يطالب به الامام فان كلام أحمد انما هو فى دور بغداد كما كان هو يفعل بداره
ومعلوم أن دور بغداد لم يكن السلطان يطالب بخراجها فاما مع مطالبة الامام
وبعثه الجباة لأخذ الخراج فليس فى كلام أحمد جواز تولى إخراج ذلك لمن
هو عليه وأما أخذه من رواية الميمونى أن من عليه الخراج له أخذه لنفسه فان
رواية الميمونى تدل على عكس ذلك فانه لم يجز فيها لمن دون الامام الأعظم
من ولاة الأمور الاستبداد باسقاطه فكيف يجيز ذلك لمن هو عليه
أن يسقطه عن نفسه وانما فى نصه هذا أن إيتاء الخراج ليس بواجب بخلاف
الزكاة وسنذكر هذه المسئلة إن شاء الله تعالى ومذهب أبى حنيفة إذا أخرج
الخراج بدون إذن الامام فله أخذه منه ثانيا وان لم يطالبه الامام أخرجه المالك
المسئلة الرابعة أن قبض الخراج ليس بواجب عندنا بل يجوز للامام اسقاطه
عمن وجب عليه اذا كان من مستحقه وقد تقدم نص أحمد بذلك فى رواية
الميمونى وهو قول أبى يوسف وقال محمد بن الحسن واسحاق بن راهويه فيما
نقله عنه حرب لايجوز بل يجب فيه القبض كعشر الزكاة وقد تقدم أن القاضى
فرق بين الزكاة والخراج بأن الخراج حق فى الذمة فلا معنى لأخذه منه ورده
عليه كما يقول فى تقاضى الدينين فى الزكاة عندنا وعند الاكثرين وهذا الفرق
انما يجب عندنا بوجوب الزكاة فى العين أما على قولنا بوجوبها فى الذمة فلا
يتوجه وفرق غيره بينهما بأن الزكاة يجب ايتاؤها لله عبادة وطهرة فالاخراج
فيها واجب ولهذا يشترط لها النية ولا يحصل ذلك بالاسقاط بخلاف الخراج

الخراج وصناعة الكتابة

لقدامة بن جعفر

شرح وتحقيق

الدكتور محمد حسين الزبيدي

الثغور المعروفة بالشامية . فنبدأ بذكرها وهي : طرسوس وأذنة ، والمصيصة ، وعين زربة ، والكنيسة ، والهارونية ، وبياس ، ونقابلس ، وارتفاعها نحو المائة ألف دينار . ينفق في مصالحها وسائر وجوه شأنها . وهي المراقب ، والحرس ، والفوانيس ، والركضة ، والموكلين بالدروب ، والمخايض ، والحصون ، وغير ذلك مما جانسه من الامور والاحوال ، ويحتاج الى شحنتها من الجند والصعاليك ، ورواتب مغازيها ، الصوائف ، والشواتي ، في البر والبحر في السنة على التقريب مائتي ألف دينار وعلى المبالغة ، وهي أن يتبع ثلثمائة ألف دينار ، والذي يلقاها في بلاد العدو ويتصل بها ، اما من جهة البر فالقبادق[5] ويقرب منها الناطلوس[6] ، ومن جهة البحر سلوقية وعواصم هذه الثغور ، وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، وانما سمي كل واحد منهما عاصما لانه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل انطاكية والجومة وقورس[7] .

ثم يلي هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة بالجزرية ، وأول ما يحاد الثغور الشامية منها مرعش ، ويليه ثغر الحدث وكان يلي هذه زبطرة ، فخربت أيام المعتصم ، وكان له عند النهوض الى بلاد العدو حتى فتح عمورية ــ الحدث[8] المشهور ــ فلما انتهى الى موضع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منها حصونا لتقوم مقامه ، وهي الحصون المعروفة[9] بطبارجي ، والحصن المعروف بالحسينية ، والحصن المعروف ببني المؤمن ، والحصن المعروف بابن رحوان ، ثم يلي

(٥) في النسخ الثلاث : فالقبادق .
(٦) في النسخ الثلاث : الناطلق ، والمثبت ما ذكره ابن خرداذبة ص ١٠٧ .
(٧) في س : القورس .
(٨) في س : الحدب .
(٩) في النسخ الثلاث : الحصون المعروف .

هذه الحصون ثغر كيسوم ، ثم ثغر حصن منصور ، ثم ثغر شميشاط[10] ، ثم ثغر ملطية[11] ، وهو الخارج في بلد العدو من جميع هذه الحصون ، وكل واحد بينه وبين بلد العدو ، درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة وأرض واحدة . وكان يواجه هذه الثغور ، ويحاذيها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية ، فحدث في هذا الوقت بينهم وبين الروم والارمن الذين في جنة مليح الارمني في بلد كان يسكنه قوم يسمون السالفة ، وهم من الروم الا انهم يخالفونهم في كثير من أديانهم ، وكان [هؤلاء][12] مع المسلمين يعينونهم في غزواتهم ، ويتوفر على المسلمين المعونة بهم ، الى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع ، بمساعدة أهل الثغور معاشرتهم وقلة اشراف المدبرين على أمرهم ، فتفرقوا في البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن ، وابتنوا الحصون المنيعة ، ثم صارت لهم العدة الكثيفة والمعرة الشديدة . وارتفاع هذه الثغور مع ملطية سبعون ألف دينار يصرف منها في مصالحها أربعون ألف دينار ، ويبقى ثلاثون ألف دينار ، ويحتاج لنفقة الاولياء والصعاليك على التجزئة ، مئة ألف وعشرون ألف دينار ، [تضاف الى البقية وعلى المبالغة مئة وسبعون ألف دينار][13] ، تضاف اليه تتمة مائتا[14] ألف دينار سوى نفقات المغازي في أوقاتها ، وهذه الثغور هي الواسطة ومنها كانت تقع المغازي فاذ احتيج الى الغزو منها كانت النفقة حسب الغزاة ، وعواصم هذه الثغور دلوك ورعبان ، ومنبج ، ويلي هذه الثغور عن يمينها أيضا وفي جهة الشمال ، الثغور المسماة بالبكرية وهي : سميسط ، وحاني ، وملكين ، وحصونها منها : جمح ، ومنها حوران ومنها الكلس وغيرها ،

(١٠) في النسخ الثلاث : سميساط .
(١١) في س ، ت : ملاطية .
(١٢) بياض في النسخ الثلاث .
(١٣) ليست في نسخة س .
(١٤) في س : تتمه ثمانية الاف دينار .

الثغور المعروفة بالشامية . فلنبدأ بذكرها وهي : طرسوس وأذنة . والمصيصة ، وعين زربة . والكنيسة . والهارونية . وبياس . ونقابلس . وارتفاعها نحو المائة ألف دينار ، ينفق في مصالحها وسائر وجوه نوائبها . وهي المراقب . والحرس . والفوائير . والركاضة . والموكلين بالدروب . والمخايض ، والحصون ، وغير ذلك مما جانسه من الامور والاحوال . ويحتاج الى شحنتها من الجند والصعاليك ، وراتب مغازيها ، الصوائف ، والشواتي ، في البر والبحر في السنة على التقريب مائتي ألف دينار وعلى المبالغة ، وهي أن يتبع ثلثمائة ألف دينار ، والذي يلقاها في بلاد العدو ويتصل به . أما من جهة البر فالقبادق[5] ويقرب منها الناطلوس[6] . ومن جهة البحر سلوقية وعواصم هذه الثغور . وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، وانما سمي كل واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمده في أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل انطاكية والجومة وقورس[7] .

ثم يلي هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة بالجزرية ، وأول ما يحاذ الثغور الشامية منها مرعش ، ويليه ثغر الحدث وكان يلي هذه زبطرة ، فخربت أيام المعتصم ، وكان له عند النهوض الى بلاد العدو حتى فتح عمورية ـ الحدث[8] المشهور ـ فلما انتهى الى موضع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منها حصونا لتقوم مقامه ، وهي الحصون المعروفة[9] بطبارجي ، والحصن المعروف بالحسينية . والحصن المعروف ببني المؤمن ، والحصن المعروف بابن رحوان ، ثم يلي

(5) في النسخ الثلاث : فالقندق .

(6) في النسخ الثلاث : الناطيق : واثبتنا ما ذكره ابن خرداذبة ص ١٠٧ .

(7) في س : القورس .

(8) في س : الحدب .

(9) في النسخ الثلاث : الحصون المعروف .

هذه الحصون ثغر كيسوم ، ثم ثغر حصن منصور ، ثم ثغر شميشاط[10] ، ثم ثغر ملطية[11] ، وهو الخارج في بلد العدو من جميع هذه الحصون . وكل واحد بينه وبين بلد العدو ، درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة وأرض واحدة . وكان يواجه هذه الثغور . ويقابلها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية . فحدث في هذا الوقت بينهم وبين الروم والارمن الذين في جملة مليح الارمني في بلد كان يسكنه قوم يسمون السالفة ، وهم من الروم الا انهم يخالفونهم في كثير من أديانهم . وكان [هؤلاء][12] مع المسلمين يعينونهم في غزواتهم . ويتوفر على المسلمين المعونة بهم . الى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع . بامساك عن الثغور معاشرتهم وقلة اشراف المدبرين على أمرهم . فتفرقوا في البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن ، وابتنوا الحصون المنيعة ، ثم صارت لهم العدة الكثيفة والمعرة الشديدة . وارتفاع هذه الثغور مع ملطية سبعون ألف دينار يصرف منها في مصالحها أربعون ألف دينار . ويبقى ثلاثون ألف دينار ، ويحتاج لنفقة الاولياء والمطوعة على التجزئة . مائة ألف وعشرون ألف دينار . [يضاف الى البقية وهي مائة مائة وسبعون ألف دينار][13] ، تضاف اليه تتمة مائتي[14] ألف دينار سوى نفقات المغازي في أوقاتها . وهذه الثغور هي الواسطة ومنها كانت تقع المغازي اذا احتيج الى الغزو منها كانت نفقته حسب الغزاة ، وعواصم هذه الثغور دلوك ورعبان . ومنبج ، ويلي هذه الثغور عن يمينها أيضا وفي جهة الشمال ، الثغور المسماة بالبكرية وهي : سميساط ، وحاني ، وملكين ، وحصونها منها : جمح ، ومنها حوران ومنها الكلس وغيرها ،

(10) في النسخ الثلاث : سميساط .

(11) في س ، ت : ملاطية .

(12) ساقطة في النسخ الثلاث .

(13) ليست في نسخة س .

(14) في س : تتمه ثمانية الاف دينار .

ثم ثغر قاليقلا في جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة ، الا انه كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة . والذي تقابله هذه الثغور من أعمال الروم على الارمنياق ، وبعض[15] عمل الخلدية ويقرب منه عمل افلاجونية[16] المتصل ببلاد الخزر ، وارتفاع هذه الثغور في السنة ألف ألف وثلثمائة ألف درهم ، تحتاج نفقاتها في مصالحها وحصونها وأرزاق شحنها الى هذا المقدار وزيادة ألف ألف وسبعمائة ألف تتمة ثلاثة آلاف ألف درهم[17] .

أما الثغور البحرية وهي سواحل جند حمص ، أنطرسوس[18] وبلنياس[19] ، واللاذقية ، وجبلة ، والهريادة ، وسواحل جند دمشق ، عرقة ، وطرابلس ، وجبيل ، وبيروت ، وصيدا ، وحصن الصرفند ، وعدلون ، وسواحل جند الاردن ، صور ، وعكا ، وبصور صناعة المراكب وسواحل جند فلسطين قيسارية ، وارسوف ، ويافا ، وعسقلان ، وغزة ، وسواحل مصر ، رفح ، والفرما ، والعريش ، ومقدار ما يغزو في الغزاة من مراكب الثغور الشامية ، ما يجتمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثلاثين الى المائة ، والغزاة اذا عزموا عليها في البحر كوتب صاحب مصر والشام في العمل على ذلك ، والتأهب له يجتمع بجزيرة قبرس ويسمى ما يجتمع منه الاسطول ، كما يسمى ما يجتمع من الجيش في البر المعسكر ، والمدبر لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار .

(15) في س : بعض .

(16) في النسخ الثلاث : اولا عونية .

(17) في س : وسبعمائة الف ثلاثة آلاف الف درهم .

(18) في الاصل : انطرطوس :

(19) في النسخ الثلاث : وبالينس .

واذ قد ذكرنا أمر الثغور الرومية وأسبابها ، فلا بأس أن نذكر أحوال الروم ما ينتفع بعضها ، فأول ذلك ترتيب جيوشهم وهو ان البطريق يكون رئيساً على عشرة آلاف مع كل بطريق[30] ، طرمخان[31] ، وكل طومرخ على خمسة آلاف ، ومع كل طومارخ خمسة طربخارين كل طربخار على ألف ومع كل طربخار خمسة قمامسة كل قومس على مائتين ، ومع كل قومس خمسة قنطرخين كل قنطرخ [على أربعين ومع كل قنطرخ] أربعة داقرخين[32] كل داقرخ[33] على عشرة[34] .

فأما عدة جيوشهم ، فمنها بقسطنطينية[35] وهي حضرة الملك أربعة وعشرون ألفاً منهم الفرسان ستة عشر ألفاً ، والرجالة ثمانية آلاف ، فينقسم الفرسان أربعة أقسام ، أولها الاسخلارية ، وصاحبهم الدمستق الكبير وهو صاحب فرض الفروض ، والرئيس على الجماعة وعدتهم أربعة آلاف فارس .

(30) ذكر الخوارزمي هذه التقسيمات بأسماء مختلفة بعض الشيء فقال : البطريق هو القائد من قواد الروم ، يكون تحت يده عشرة آلاف رجل ، والطرخان ، تحت يد البطريق ، على خمسة آلاف رجل ، والقومس على مائتي رجل ، والقنطرخ على أربعين رجلاً ، والداقرخ على عشرة انظر : مفاتيح العلوم ص ٧٧ .

(31) في النسخ الثلاث : طومرخان ، طومرخ : واثبتناه عن ابن خرداذبه ص ١١١ .

(32) في س : داقرحين ، وهو خطأ .

(33) في س : داقرخ .

(34) كتب في هامش الاصل بخط مغاير لخط الاصل ما يلي : كل من اصطنع فيه من العسكر وصلى خبره الى كبيرة ، اي امير العشرة ثم من امير الى امير ، وهلم جرا ، الى ان يصل الى الملك فيصله من حصن العسكر بحالا يعلمه غيره بهذا الترتيب حتى لو مات احدهم اقاموا غيره مقامه .

(35) في النسخ الثلاث : بقسطنطينة .

ثم ثغر قاليقلا في جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة . الا انه كالمنفرد بينه وبينها من المسافة البعيدة . والذي تدبره هذه الثغور من أعمال الروم على الارمنياق . وبعض[15] عمل الخالدية ويقرب منها عمل افلاجونية[16] المتصل ببلاد الخزر ، وارتفاع هذه الثغور في السنة ألف ألف وثمانمائة ألف درهم ، تحتاج نفقاتها في مصالحها وحصونها وأرزاق شحنها الى هذا المقدار وزيادة ألف ألف وسبعمائة ألف تتمة ثلاثة آلاف ألف درهم[17] .

أما الثغور البحرية وهي سواحل جند حمص : أنطرسوس[18] وبنياس[19] ، واللاذقية ، وجبلة ، والهرياذة ، وسواحل جند دمشق . عرقة ، وطرابلس ، وجبيل ، وبيروت ، وصيدا ، وحصن الصرفند ، وعدلون . وسواحل جند الاردن . صور ، وعكا ، وبصور صناعة المراكب وسواحل جند فلسطين قيسارية ، وارسوف ، ويافا ، وعسقلان ، وغزة . وسواحل مصر ، رفح ، والفرما ، والعريش . ومقدار ما يغزو في الغزاة من مراكب الثغور الشامية ، ما يجتمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثلاثين الى المائة . والغزاة اذا عزموا عليه في البحر كوتب صاحب مصر والشام في العمل على ذلك . والتأهب له يجتمع بجزيرة قبرص ويسمى ما يجتمع منه الاسطول ، كما يسمى ما يجتمع من الجيش في البر المعسكر ، والمدبر لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار .

(15) في س : بعض .

(16) في النسخ الثلاث : اولا عونية .

(17) في س : وسبعمائة الف ثلاثة الاف الف درهم .

(18) في الاصل : انطرطوس .

(19) في النسخ الثلاث : وبالنباس .

واذ قد ذكرنا أمر الثغور الرومية وأسبابها ، فلا بأس أن نذكر أحوال الروم ما ينتفع بعلمها . فأول ذلك بترتيب جيوشهم وهو ان البطريق يكون رئيسا على عشرة آلاف مع كل بطريق[30] ، طرماخان[31] . وكل طومرخ على خمسة آلاف ، ومع كل طومارخ خمسة طربخارين كل طربخار على ألف ومع كل طربخار خمسة قمامسة كل قومس على مائتين . ومع كل قومس خمسة قنطرخين كل قنطرخ [على أربعين ومع كل قنطرخ] أربعة داقرخين[32] كل داقرخ[33] على عشرة[34] .

فأما عدة جيوشهم ، فمنها بقسطنطينية[35] وهي حضرة الملك أربعة وعشرون ألفا منهم الفرسان ستة عشر ألفا ، والرجالة ثمانية آلاف ، فينقسم الفرسان أربعة أقسام ، أولها الاسخلارية . وصاحبهم الدمستق الكبير وهو صاحب فرض الفروض ، والرئيس على الجماعة وعدتهم أربعة آلاف فارس .

(30) ذكر الخوارزمي هذه التقسيمات بأسماء مختلفة بعض الشيء فقال : البطريق هو القائد من قواد الروم ، يكون تحت يده عشرة الاف رجل . والطرخان ، تحت يد البطريق ، على خمسة الاف رجل . والقومس على مائتي رجل ، والقنطرخ على اربعين رجلا ، والداقرخ على عشرة انفار . مفاتيح العلوم ص ٧٧ .

(31) في النسخ الثلاث : طومرخان ، طومرخ ، واثبتناه ما ذكره ابن خرداذبة ص ١١١ .

(32) في س : دامرخين ، وهو خطأ .

(33) في س : دامرخ .

(34) كتب في هامش الاصل بخط مغاير للاصل ما يلي : [illegible] من العسكر [illegible] خمرة الى كبيرة [illegible] العشيرة [illegible] حسنا [illegible] العسكر بحلا يعلمه غيره بهذا الترتيب حتى لو مات احدهم اقيموا غيره مقامه .

(35) في النسخ الثلاث : قسطنطينية .

فيتحاصون في ذلك على انهم شركاء فيجب على الاعلى من كل درهم ينفقونه عشرة وعلى صاحب العشرين تجريب عشرة ، وعلى صاحب الثلاثين ثلاثة أعشاره ، وعلى صاحب الاربعين أربعة أعشاره فاذا فرغوا من العشرين والاربعين فيتحاصوا على قياس هذا • وقال أبو حنيفة ، ومالك ، والثوري ، وزفر : في الانهار العظام أن كريها وعمل ساقها وسد بثوق ان انفجرت فيها على الامام من مال المسلمين • وكان في كتاب عبيدالله معاوية بن عبدالله الذي كان كتبه الى المهدي واقتصصنا بعض ما وجب اقتصاصه منه في المقاسمة والطسوق في موضعه ان كرى الاعمدة وعمل القناطر[٤] والشاذوانات واستخراج الانهار والنفقة على البريدات والجسور والسنايات التي على الانهار العظام واجب اخراج ذلك أجمع من بيت المال ، قال : وانما وجبت هذه النفقة منه لان الحافة لا مالك لها ، فالنفقة واجبة على من يعود الضرر عليه وما يعود من الضرر بشيء من ذلك فانما هو عائد على بيت المال فالنفقة عليه واجبة منه • وقال الواقدي • قال مالك ، ابن أبي ذويب : اذا اشترى رجل مسيل ماء بغير أرض ان ذلك جائز وكرهه الثوري ، وأبو حنيفة ، ويعقوب • وقال الواقدي : سألت الثوري عن نهر لرجل يشق أرض آخر فأدعى رب الارض مسناة النهر قال : هي من أرضي ، وقال رب النهر هي لي وليس يعلم لمن هي • فقال : هي لرب الارض وليس له ان يهدمها لان للنهر بها منفعة وهي قول أبي حنيفة ، وقال مالك ، وابن أبي ذويب : هي لصاحب النهر ثم رجع الثوري فقال كقول مالك • وكان أبو يوسف يجعلها لصاحب النهر ، وهو قول محمد بن الحسن •

(٤) في الاصل : القناطير •

البـاب السـابع عشـر

في الحريـم

الفقهاء يرون حريم[١] البئر البدىء[٢] خمس وعشرون ذراعا وحريم البئر العادية[٣] خمسون ذراعا ، وحريم بئر الزرع على ما قاله سعيد بن المسيب • ثلثمائة ذراع وحريم العين خمسمائة ذراع • وكان مالك بن انس[٤] ، لا يرى للحريم حدا محدودا • ويقول : «ان رجلا لو احتفر في داره بئرا ثم احتفر جار له بئرا في داره بعد الاول ، فغار ماء الاولى الى الثانية أمر صاحب الثانية بازالتها عن الموضع التي هي به» • وسفيان[٥] يقول : يحدث الرجل في حده ما شاء وان أضر ذلك بجاره ، لانه لا حريم للابار في الامصار ، وانما ذلك في البوادي والمفاوز • وقال أبو حنيفة : لا حريم في الامصار وبين المنازل للابار ، ولكن يحفر الرجل بئره بحيث لا يضر بجاره وان كان بين البئرين حائط فأضرت الثانية بالحائط • فان مالك وابن أبي ذويب ، وابن أبي سبرة قالوا : يزال البئر المضرة • وقال الثوري : يحفر في داره ما شاء • وقال أبو يوسف ، وبشر ، يمنع من الاضرار

(١) في س : ان حريم •

(٢) البدىء : معناها البئر الجديدة المبتدأ •

(٣) العادية : يعنى القديمة نسبة الى عاد •

(٤) انظر : مالك بن انس : الموطأ ص ٣٩٠ ، ابن سلام : الاموال ص ٤١٣ •

(٥) انظر : ابن سلام : الاموال ص ٤١٦ •

تقول شفراء لو صحوت عن الخمر لاصبحت مثري العدد

وقدم سبي قيسارية على عمر ، وكانوا أربعة آلاف رأس . فأنزلوا الجرف . ثم قسمهم عمر على يتامى الانصار ، وجعل بعضهم في الكتب والاعمال للمسلمين ، وكان من قتل بقيسارية من مقاتلة المشركين ثمانين ألفا ، وكتب عمر الى معاوية ، يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ففتح عسقلان صلحا بغير كيد[245] . وأخربت الروم عسقلان في أيام ابن الزبير . فلما ولي عبدالملك بن مروان بناها وحصنها ورم قيسارية وبنى بها بناء كثيرا ، وبنى مسجدها ، وبنى أيضا صور وعكا الخارجة وكانت هذه سبيلها . ولم تكن مدينة الرملة قديمة وانما كان موضعها رملة ، فولى الوليد بن عبدالملك سليمان بن عبدالملك جند فلسطين فنزل لـدّ ، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها . وكان أول ما بنى منها قصره ، والدار التي تعرف بدار الصباغين . وجعل في الدار صهريجا . ثم اختط المسجد الجامع وبناه ، وولى الخلافة قبل استتمامه . فبنى فيه بعد خلافته ، وأتمه عمر بن عبدالعزيز . ونقص من خطة سليمان ، وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا . وبنى الناس في الرملة بعد بنائه أياها المنازل بأذنه . واحتفر لاهل الرملة قناتهم التي تدعى بردة واحتفر بها آبارا . والنفقة عليها من مال السلطان محتسب بها في جماعات العمال الى هذا الوقت . لان المعتصم بالله كان يحل بها .

(245) جاء في فتوح البلدان (بعد كيد) ص ١٤٨ .

فتح قنسرين والعواصم

قالوا : سار أبو عبيدة بعد فراغه من أمر[246] اليرموك الى حمص ، فاستقراها ثم أتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد . فقاتله أهل مدينة[247] قنسرين . ثم لجأوا الى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل حمص ، وغلب المسلمون على أرضها وقراها ، وكان حاضر قنسرين لتنوخ منذ[248] أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في بيوت الشعر ، ثم ابتنوا المنازل ، فدعاهم أبو عبيدة الى الاسلام فأسلم بعضهم ، وأقام البعض على النصرانية ، فصالحهم على الجزية ، وكان أكثر من أقام على نصرانيته بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ويقال : ان جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة المهدي ، فكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين .

ثم سار أبو عبيدة يريد حلب . فبلغه ان أهل قنسرين نقضوا فرد اليهم السمط بن الاسود الكندي فحصرهم ثم فتحها . ووجد بها بقرا وغنما فقسم بعضها فيمن حضر ، وجعل الباقي في المغنم وكان حاضر طيء قديما . نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم . حين نزل الجبلين من نزل منهم . فلما ورد أبو عبيدة عليهم أسلم بعضهم . وصالح كثير منهم على الجزية . ثم أسلموا بعد ذلك بيسير الا من شذ منهم . وكان بقرب حلب حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية . ثم انهم أسلموا بعد ذلك وجرت بينهم وبين أهل حلب حرب أجلاهم فيها أهل حلب ، فانتقلوا الى قنسرين ، ثم أرادوا التغلب عليها فأجلاهم اهلها فتفرقوا في البلاد . وكان حيار بني القعقاع بلدا معروفا قبل الاسلام ، وبه كان مقيل المنذر بن ماء السماء ، فنزله بنو القعقاع بن

(246) في ت : ارض .

(247) لا توجد في ت .

(248) في ت : من


نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة
لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٢٠

ويقال ان كسرى ابرويز احصى جباية[a] مملكته فى سنة ثمانى عشرة من ملكه وانما كان فى يده ما ذكرناه وسمّينا اعماله من السواد وسائر النواحى دون اعمال المغرب لان حدّه كان الى هيت وكان ما يتّفده من المغرب فى ايدى الروم من العين سبع[b] مائة الف وعشرين الف مثقال يكون من الورق ستمائة الف الف درهم ۞

قال قدامة والنواحى عندى فى مثل ما كانت عليه فى ذلك الوقت لم يعدم ارضوها ولم يبد ساكنوها وانّما يجب ان يكون مع مدبّرها تقى[c] الله اوّلا ثم دراية وعدل وعفّة حتى تستقيم[d] الامور وينتظم التدبير ويأتى من المال ما يعجب[e] منه ويُعاجب ۞

الباب السابع

فى ذكر ثغور الاسلام والامم والاجبال[f] المطيفة بها

الامم والاجبال المخالفة الاسلام مكتنفة[g] له من جميع اطرافه ونهايات اعماله منهم * المتقارب من[h] دار مملكته ومنهم المتباعد عنها وكانت ملوك الطوائف الذين ملكهم ذو القرنين يؤدّون الاتاوة الى ملك الروم خمس مائة واحدى عشرة سنة الى ان جمع اردشير بن بابك[i] المملكة بعد مشقّة وطول مجاهدة فمنع حينئذ[i] الاتاوة التى كانت الفرس تؤدّيها الى الروم بعد مشقّة فينبغى أن لا[k] يكون المسلمون لصنوف اعدائهم اشدّ حذرا منهم للروم وقد جاءت بذلك آيات يخبر[i] بها حقيقة ما قلته والله الموفّق للمصلحة بقدرته، فلمّا كانت الروم على ما وصفت وجب ان نقدّم[l] الكلام فى الثغور المقابلة لبلدهم على

a) Cod. ناحية. b) S. p. Quomodo haec restitui debeant, non video. Patet auctorem voce مثقال voluisse aureum, sed 720,000 aurei et 600,000,000 dirhemi [illegible]lo modo respondent. Numerus 600,000,000 ex Ibn Khord. et Tabari constat. c) Cod. تقى. d) Cod. تستقيم. e) Cod. تعجب. f) Cod. hic et mox الاجبال. g) Cod. مكسفه. h) Lac. in cod. i) S. p. k) Conject. addidi. l) Cod. تقدّم.

الكلام فى غيرها فنقول ان هذه[a] الثغور منها برّية تلقاها[b] بلاد العدوّ وتقاربه من جهة البرّ ومنها بحريّة تلقاه وتواجهه من جهة البحر ومنها ما يجتمع فيه الامران وتقع[c] المغازى من اهله فى البرّ والبحر والثغور البحريّة على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلّها والمجتمع فيه الامران غزو البرّ والبحر الثغور المعروفة بالشامية فلنبدأ بذكرها وهى طرسوس واذنة[c] والمصيصة وعين زربة والكنيسة والهارونية وبياس ونقابلس[d] وارتفاعها نحو المائة الف دينار ينفق[e] فى مصالحها وسائر وجوه شانها وهى المراقب والحرس والفواتير والركاضة والموكّلين بالدروب والمخايض والحصون وغير ذلك مما جانسه من الامور والاحوال ويحتاج الى شحنتها من الجند والصعاليك ورواتب مغازيها الصوائف والشواتى فى البرّ والبحر فى السنة على التقريب مائتى الف دينار وعلى المبالغة وهى ان يتّسع[c] ثلثمائة الف دينار والذى يلقاها[f] من بلاد العدوّ ويتّصل بها اما من جهة البرّ فالقبادق[g] ويقرب[c] منها الناطليق ومن جهة البحر سلوقية[c] وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام وانّما سمّى كلّ واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمدّه فى اوقات النفير ثم ينفر اليه من اهل انطاكية والجومة والقورس، ثم يلى[c] هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة بالجزرية واوّل ما يحدّ الثغور الشاميّة منها مرعش ويليه ثغر الحدث[c] وكان يلى[c] هذه زبطرة فخربت ايّام المعتصم وكان له عند النهوض الى بلاد العدوّ حتى فتح عمورية الحديث المشهور فلمّا انتهى الى موضع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منها حصونا لتقوم مقامه وهى الحصن المعروف[h] بطبارجى والحصن المعروف بالحسينيّة والحصن المعروف ببنى الموس والحصن المعروف بابن رحوان[i] ثم يلى[c] هذه الحصون ثغر كيسوم ثم ثغر حصن منصور ثم

a) Cod. هذا. b) Cod. يلقاها et mox يلقاه. c) S. p. d) Nicopolis. e) Cod. ينفق. f) Cod. يلقاها. g) Cod. فالفندق. h) Cod. الحصون المعروفة. i) Sic.

ويقال ان كسرى ابرويز احصى جباية[a] مملكته فى سنة ثمانى عشرة من ملكه وانما كان فى يده ما ذكرناه وسمّينا اعماله من السواد وسائر النواحى دون اعمال المغرب لان حدّه كان اذ هيت وكان ما يتبيّنه من المغرب فى ايدى الروم من العين سبع[b] مائة الف وعشرين الف مثقال يكون من الورق ستمائة الف الف درهم ❊

قال قدامة والنواحى عندى فى مثل ما كانت عليه فى ذلك الوقت لم يعدم ارضوها ولم يبد ساكنوها وانّما يجب ان يكون مع مدبّرها تقى[c] الله اوّلا ثم دراية وعدل وعفّة حتى تستقيم[d] الامور وينتظم التدبير ويأتى من المال ما يعجب[e] منه *معاجب ❊

الباب السابع

فى ذكر ثغور الاسلام والامم والاجيال[f] المطيفة بها

الامم والاجيال المخالفة الاسلام مكتنفة[g] له من جميع اطرافه ونهايات اعماله منهم *المتقارب من[h] دار مملكته ومنهم المتباعد عنها وكانت ملوك الطوائف الذين ملكهم ذو القرنين يؤدّون الاتاوة الى ملك الروم خمس مائة واحدى عشرة سنة الى ان جمع اردشير بن بابك[i] المملكة بعد مشقّة وطول مجاهدة فمنع حينئذ الاتاوة التى كانت الفرس تؤدّيها الى الروم بعد مشقّة فينبغى ان لا[k] يكون المسلمون لصنوف اعدائهم اشدّ حذرا منهم للروم وقد جاءت بذلك آيات يظهر[i] بها حقيقة ما قلته والله الموفّق للمصلحة بقدرته، فلمّا كانت الروم على ما وصفت وجب ان نقدّم[l] الكلام فى الثغور المقابلة لبلدهم على

a) Cod. ناحية. b) S. p. Quomodo haec restitui debeant, non video. Patet auctorem voce مثقال voluisse aureum, sed 720,000 aurei et 600,000,000 dirhemi n[illegible]o modo respondent. Numerus 600,000,000 ex Ibn Khord. et Tabarî constat. c) Cod. يقى. d) Cod. يستقيم. e) Cod. يعجب. f) Cod. hic et mox الاجبال. g) Cod. مكسفة. h) Lac. in cod. i) S. p. k) Conject. addidi. l) Cod. نتقدّم.

الكلام فى غيرها فنقول ان هذه[a] الثغور منها بريّة تلقاها[b] بلاد العدوّ وتقاربه من جهة البرّ ومنها بحريّة تلقاه وتواجهه من جهة البحر ومنها ما يجتمع فيه الامران وتقع[c] المغازى من اهله فى البرّ والبحر والثغور البحريّة على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلّها والمجتمع فيه الامران غزو البرّ والبحر الثغور المعروفة بالشامية فلنبدأ بذكرها وهى طرسوس واذنة[c] والمصيصة وعين زربة والكنيسة والهارونية وبياس ونقابلس[d] وارتفاعها نحو المائة الف دينار ينفق[e] فى مصالحها وسائر وجوه شانها وهى المراقب والحرس والفواثير والركّاضة والموكّلين بالدروب والمخايض والحصون وغير ذلك ممّا جانسه من الامور والاحوال ويحتاج الى شحنتها من الجند والصعاليك وراتب مغازيها الصوائف والشواتى فى البرّ والبحر فى السنة على التقريب مائتى الف دينار وعلى المبالغة وهى ان يتّسع[c] ثلثمائة الف دينار والذى يلقاها[f] من بلاد العدوّ ويتّصل بها اما من جهة البرّ فالقبادق[g] ويقرب[c] منها الناطليق ومن جهة البحر سلوقية[c] وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام وانّما سمّى كلّ واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمدّه فى اوقات النفير ثم ينفر اليه من اهل انطاكية والجومة والقورس، ثم يلى[c] هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة بالجزرية واوّل ما يحاذ الثغور الشاميّة منها مرعش ويليه ثغر الحدث[c] وكان يلى[c] هذه زبطرة فخربت ايّام المعتصم وكان له عند النهوض الى بلاد العدوّ حتى فتح عمورية الحديث المشهور فلمّا انتهى الى موضع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منها حصونا لتقوم مقامه وهى الحصن المعروف[h] بطبارجى والحصن المعروف بالحسينيّة والحصن المعروف ببنى المومن والحصن المعروف بابن رحوان[i] ثم يلى[c] هذه الحصون ثغر كيسوم ثم ثغر حصن منصور ثم

a) Cod. هذا. b) Cod. يلقاها et mox يلقاه. c) S. p. d) Nikopolis (Νικόπολις). e) Cod. ينفق. f) Cod. يلقاها. g) Cod. فالقنادق. h) Cod. الحصون المعروفة. i) Sic.

ثغر شمشاط a ثم ثغر ملطية وهو الخارج b فى بلد العدوّ من
جميع هذه الحصون وكلّ واحد بينه وبين بلد العدوّ درب وعقبة
وثغر ملطية مع بلد العدوّ فى بقعة وارض واحدة وكان يواجه هذه
الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية فحدث فى هذا
5 الوقت بينهم وبين الروم والارمن الذين b فى جملة مليح الارمنىّ فى
بلد كان يسكنه c قوم يسمّون الستقه d وهم من الروم الّا انهم يخالفونهم
فى كثير من اديانهم وكان هؤلاء e مع المسلمين يعينونهم فى غزواتهم
ويتوفّر f على المسلمين المعونة بهم الى ان رحلوا دفعة واحدة عن هذا
الموضع باساءة اهل الثغور معاشرتهم g وقلّة اشراف المدبّرين على امرهم
10 فتفرّقوا فى البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن وابتنوا الحصون المنيعة
ثم صارت لهم العدّة الكثيفة والمعرّة الشديدة وارتفاع هذه الثغور
مع ملطية سبعون الف دينار يصرف منها فى مصالحها اربعون الف
دينار ويبقى ثلثون الف دينار ويحتاج لنفقة الاولياء والصعاليك على
التجزئة h مائة الف وعشرون الف دينار تنضاف i الى البقيّة وعلى k
15 المبالغة مائة وسبعون l الف دينار تنضاف اليها تتمّة b مائتى الف
دينار سوى نفقات المغازى فى اوقاتها وهذه الثغور هى الواسطة ومنها
كانت تقع b المغازى فان احتيج b الى الغزو منها كانت النفقة حسب
الغزاة وعواصم هذه الثغور دلوك ورعبان ومنبج m ويلى b هذه الثغور عن
يمينها ايضا وفى جهة الشمال الثغور المسمّاة بالبكريّة n وهى سميساط
20 وحانى b وملكين o وحصون منها جمح p ومنها حوران ومنها الكلس
وغيرها، ثم ثغر قاليقلا فى جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة الّا انه

a) Cod. سميساط. b) S. p. c) Cod. تسحه. d) Forte l. النياقلة a sing. نيقلاءى Ibn al-Fakîh ٧٧, 17. e) Lac. in cod. f) Cod. وسوفر. g) Cod. ومعاشرتهم. h) Cod. التجزيه. i) Cod. سصاف. k) Conj. Cod. النفقة على. l) Cod. وتسعون. m) Cod. ومسج. n) Cod. بالمكريه. o) Cod. s. p. Etiamnunc exstat a septentrione Hânîi: Melken in mappa Kiepert. p) Conj. Cod. s. p.

كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة، والذى يقابله a هذه
الثغور من اعمال الروم عمل الارمنياق b وبعض عمل الخالدية ويقرب
منها عمل افلاغونية c المتّصل ببلاد الخزر، وارتفاع هذه الثغور فى
السنة الف الف وثلثمائة الف درهم تحتاج d نفقتها فى مصالحها
5 وحصونها وارزاق شحنها الى هذا المقدار وزيادة الف الف وسبع e مائة
الف *درهم تتمّة f ثلثة آلاف الف درهم ۞
واما الثغور البحريّة وهى سواحل جند حمص انطرطوس وبلنياس g
واللاذقية وجبلة h والهريادة، وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس
وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون i، وسواحل جند
10 الاردن صور وعكا وبصور صناعة المراكب، وسواحل جند فلسطين
قيسارية وارسوف ويافا وعسقلان وغزة، وسواحل مصر رفح والفرما
والعريش، ومقدار ما يغزو k فى الغزاة من مراكب الثغور الشامية ما
يجتمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين e الى المائة والغزاة اذا
عزموا عليها فى البحر كوتب اصحاب مصر والشام فى العمل على ذلك
15 والتأهّب له يجتمع e بجزيرة قبرس ويسمّى ما يجتمع e منها الاسطول
كما يسمّى ما يجتمع من الجيش فى البرّ العسكر ومدبّر جميع امور
المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على
المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة الف دينار ۞
واذ قد ذكرنا امر الثغور الرومية واسبابها فلا بأس ان نذكر من
20 احوال الروم ما ينتفع l بعلمه فاوّل ذلك بترتيب جيوشهم وهو ان
البطريق يكون رئيسا على عشرة آلاف مع كلّ بطريق طومرخان وكلّ
طومرخ على خمسة آلاف ومع كلّ طومرخ خمسة درنجاريين m كلّ

a) Cod. تقبله. b) Cod. الارمنيات. Deinde addidi و. c) Cod. اولاعونيه. d) Cod. بحساج. e) S. p. f) Conject. supplevi. g) Cod. وبانيباس. h) Cod. وحيله. i) Jâk. عذنون. k) Cod. نعروا. l) Cod. سفع. m) Cod. طرنحان et mox طرحان et طرنحان.

ثغر شمشاط [a] ثم ثغر ملطية وهو الخارج [b] فى بلد العدوّ من
جميع هذه الحصون وكلّ واحد بينه وبين بلد العدوّ درب وعقبة
وثغر ملطية مع بلد العدوّ فى بقعة وارض واحدة وكان يواجه هذه
الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية فحدث فى هذا
5 الوقت بينهم وبين الروم والارمن الذين [b] فى جملة مليح الارمنىّ فى
بلد كان يسكنه [c] قوم يسمّون المالقة [d] وهم من الروم الّا انهم يخالفونهم
فى كثير من اديانهم وكان هؤلاء [e] مع المسلمين يعينونهم فى غزواتهم
ويتوفّر [f] على المسلمين المعونة بهم الى ان رحلوا دفعة واحدة عن هذا
الموضع باساءة اهل الثغور معاشرتهم [g] وقلّة اشراف المدبّرين على امرهم
10 فتفرّقوا فى البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن وابتنوا الحصون المنيعة
ثم صارت لهم العدّة الكثيفة والمعرّة الشديدة وارتفاع هذه الثغور
مع ملطية سبعون الف دينار يصرف منها فى مصالحها اربعون الف
دينار ويبقى ثلثون الف دينار ويحتاج لنفقة الاولياء والمعاليك على
التجزئة [h] مائة الف وعشرون الف دينار تنضاف [i] الى البقيّة وعلى [k]
15 المبالغة مائة وسبعون [l] الف دينار تنضاف اليها تتمّة [b] مائتى الف
دينار سوى نفقات المغازى فى اوقاتها وهذه الثغور هى الواسطة ومنها
كانت تقع [b] المغازى فان احتيج [b] الى الغزو منها كانت النفقة حسب
الغزاة وعواصم هذه الثغور دلوك ورعبان ومنبج [m] ويلى [b] هذه الثغور عن
يمينها ايضا وفى جهة الشمال الثغور المسمّاة بالبكريّة [n] وهى سميساط
20 وحانى [b] وملكين [o] وحصون منها جمح [p] ومنها حوران ومنها الكلس
وغيرها، ثم ثغر قاليقلا فى جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة الّا انه

a) Cod. سميساط. b) S. p. c) Cod. تسحه. d) Forte l. النياقلة
sing. نيقلاءى Ibn al-Fakih ٧٧, 17. e) Lac. in cod. f) Cod. ويتوفر.
g) Cod. ومعاشرتهم. h) Cod. التجزيه. i) Cod. بتصاف. k) Conj. Cod.
النفقة على. l) Cod. وتسعون. m) Cod. وممبج. n) Cod. بالمكريه.
o) Cod. s. p. Etiamnunc exstat a septentrione Hânii: Melken in
mappa Kiepert. p) Conj. Cod. s. p.

كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة، والذى يقابله [a] هذه
الثغور من اعمال الروم عمل الارمنياق [b] وبعض عمل الخالدية ويقرب
منها عمل افلاغونية [c] المتّصل ببلاد الخزر، وارتفاع هذه الثغور فى
السنة الف الف وثلثمائة الف درهم تحتاج [d] نفقتها فى مصالحها
5 وحصونها وارزاق شحنها الى هذا المقدار وزيادة الف الف وسبع [e] مائة
الف * درهم تتمّة [f] ثلثة آلاف الف درهم ☆

واما الثغور البحريّة وهى سواحل جند حمص انطرطوس وبلنياس [g]
واللاذقية وجبلة [h] والهريانة، وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس
وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون [i]، وسواحل جند
10 الاردن صور وعكا وبصور صناعة المراكب، وسواحل جند فلسطين
قيسارية وارسوف ويافا وعسقلان وغزة، وسواحل مصر رفح والفرما
والعريش، ومقدار ما يغزو [k] فى الغزاة من مراكب الثغور الشامية ما
يجتمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين [e] الى المائة والغزاة اذا
عزموا عليها فى البحر كوتب اصحاب مصر والشام فى العمل على ذلك
15 والتأهّب له يجتمع [e] بجزيرة قبرس ويسمّى ما يجتمع [e] منها الاسطول
كما يسمّى ما يجتمع من الجيش فى البرّ المعسكر والمدبّر لجميع امور
المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على
المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة الف دينار ☆

واذ قد ذكرنا امر الثغور الرومية واسبابها فلا بأس ان نذكر من
20 احوال الروم ما ينتفع [l] بعلمها فاوّل ذلك بترتيب جيوشهم وهو ان
البطريق يكون رئيسا على عشرة آلاف مع كلّ بطريق طومرخان وكلّ
طومرخ على خمسة الاف ومع كلّ طومرخ خمسة طرنجارين [m] كلّ

a) Cod. تقابله. b) Cod. الارمنيات. Deinde addidi و. c) Cod.
اولاعونيه. d) Cod. يحتاج. e) S. p. f) Conject. supplevi.
g) Cod. وبالنياس. h) Cod. وحيله. i) Jâk. عذنون. k) Cod. يغزوا.
l) Cod. ينفع. m) Cod. طرنجان et mox طرنجان et طرنجان.

ثغر شمشاط[a] ثم ثغر ملطية وهو الخارج[b] فى بلد العدوّ من جميع هذه الحصون وكلّ واحد بينه وبين بلد العدوّ درب وعقبة وثغر ملطية مع بلد العدوّ فى بقعة وارض واحدة وكان يواجه هذه الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنة عمل الخالدية فحدث فى هذا الوقت بينهم وبين الروم والارمن الذين[b] فى جملة مليح الارمنىّ فى بلد كان يسكنه[c] قوم يسمّون الماقعه[d] وهم من الروم الّا انهم يخالفونهم فى كثير من اديانهم وكان هؤلاء[e] مع المسلمين يعينونهم فى غزواتهم ويتوفّر[f] على المسلمين المعونة بهم الى ان رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع باساءة اهل الثغور معاشرتهم[g] وقلّة اشراف المدبّرين على امرهم فتفرّقوا فى البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن وابتنوا الحصون المنيعة ثم صارت لهم العدّة الكثيفة والمعرّة الشديدة، وارتفاع هذه الثغور مع ملطية سبعون الف دينار يصرف منها فى مصالحها اربعون الف دينار ويبقى ثلثون الف دينار ويحتاج لنفقة الاولياء والصعاليك على التجزئة[h] مائة الف وعشرون الف دينار تنضاف[i] الى البقيّة وعلى[k] المبالغة مائة وسبعون[l] الف دينار تنضاف اليها تتمّة[b] مائتى الف دينار سوى نفقات المغازى فى اوقاتها وهذه الثغور هى الواسطة ومنها كانت تقع[b] المغازى فان احتيج[b] الى الغزو منها كانت النفقة حسب الغزاة وعواصم هذه الثغور دلوك ورعبان ومنبج[m] ويلى[b] هذه الثغور عن يمينها ايضا وفى جهة الشمال الثغور المسمّاة بالبكرية[n] وهى سميساط وحانى[b] وملكين[o] وحصون منها جمح[p] ومنها حوران ومنها الكلس وغيرها، ثم ثغر قليقلا فى جهة الشمال عن هذه الثغور زيادة الّا انه

a) Cod. سميساط. b) S. p. c) Cod. تسحمه. d) Forte l. النياقلة ing. نيقلاءى Ibn al-Fakih ۷۷, 17. e) Lac. in cod. f) Cod. ويتوفر. g) Cod. ومعاشرتهم. h) Cod. التجزيه. i) Cod. تنضاف. k) Conj. Cod. النفقة على. l) Cod. وتسعون. m) Cod. ومنبج. n) Cod. بالبكريه. o) Cod. s. p. Etiamnunc exstat a septentrione Hânî: Melken in mappa Kiepert. p) Conj. Cod. s. p.

كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة، والذى يقابله[a] هذه الثغور من اعمال الروم عمل الارمنياق[b] وبعض عمل الخالدية ويقرب منها عمل افلاغونية[c] المتّصل ببلاد الخزر، وارتفاع هذه الثغور فى السنة الف الف وثلثمائة الف درهم تحتاج[d] نفقاتها فى مصالحها وحصونها وارزاق شحنها الى هذا المقدار وزيادة الف الف وسبع[e] مائة الف *درهم تتمّة[f] ثلثة آلاف الف درهم ❊

واما الثغور البحريّة وهى سواحل جند حمص انطرطوس وبلنياس[g] واللاذقية وجبلة[h] والهريذة، وسواحل جند دمشق عرقة طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون[i]، وسواحل جند الاردن صور وعكا وبها صناعة المراكب، وسواحل جند فلسطين قيسارية وارسوف ويافا وعسقلان وغزة، وسواحل مصر رفح والفرما والعريش، ومقدار ما يغزو[k] فى الغزاة من مراكب الثغور الشامية ما يجتمع اليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين[e] الى المائة والغزاة اذا عزموا عليها فى البحر كوتب اصحاب مصر والشام فى العمل على ذلك والتأهّب له يجتمع[e] بجزيرة قبرس ويسمّى ما يجتمع[e] منها الاسطول كما يسمّى ما يجتمع من الجيش فى البرّ المعسكر والمدبّر لجميع امور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية ومقدار النفقة على المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة الف دينار ❊

واذ قد ذكرنا امر الثغور الرومية واسبابها فلا بأس ان نذكر من احوال الروم ما ينتفع[l] بعلمها فاوّل ذلك بترتيب جيوشهم وهو ان البطريق يكون رئيسا على عشرة آلاف مع كلّ بطريق طومرخان وكلّ طومرخ على خمسة آلاف ومع كلّ طومرخ خمسة درنجارين[m] كلّ

a) Cod. تقابله. b) Cod. الارمنيات. Deinde addidi و. c) Cod. اولاعونيه. d) Cod. يحتاج. e) S. p. f) Conject. supplevi. g) Cod. وبالنياس. h) Cod. وحيله. i) Jâk. عذنون. k) Cod. يعزوا. l) Cod. ينفع. m) Cod. طرنحان et mox طرجان et طردحان.

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

تاريخ الموصل

تأليف
الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الأزدي
"ت ٣٣٤هـ - ٩٤٥م"

تحقيق
دكتور علي حبيبة
مدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب
الثالث عشر

القاهرة
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

وفيها غزا مسلمة مادور [١] من مَلَطْيَة وأناخ على قَيْسَرِيَّة فافتتحها عنوة .

وفيها وجه بُكَير [٢] بن ماهان أبا عكرمة – وتلقبه الشيعة : الصادق – واسمه زياد بن درهم . ومحمد بن خُنَيس فى عدة من الشيعة إلى خراسان يدعوهم إلى دولة بنى العباس . فاستخار منهم اثنى عشر رجلا [٣] . فسموهم النقباء منهم : سليمان بن كثير الخزاعى ، وقحطَبة بن شَبيب الطائى . وعيسى بن أعْيَن [٤] ، ومالك بن الْهَيْثَم الخُزاعيان / ولَاهِز [٥] بن قُرَيْظ . وموسى ابن كعب التميميان ، [وأبو داود] [٦] خالد بن إبراهيم الذُّهْلى ، والقاسم بن مجاشع التميمى ، وعِمران بن اسماعيل أبو النجم القرشى مولى آل أبى مُعيط ، وشبل أبو على الشيبانى ، وطلحة بن رُزَيق [٧] أبو منصور ، فوشى بهم إلى أسد بن عبد الله القَسْرى . فأخذ أبا عكرمة ومحمد بن خُنيس وجماعة من أصحابهم فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم .

٢٣

وفيها مات سالم بن عبد الله بن عمر . وصلى عليه هشام بن عبد الملك . وفيها مات القاسم ابن محمد بن أبى بكر ، وعطاء بن يزيد الليثى . وفيها ولد سفيان بن عُيَيْنَة [٨] .

وأمير الموصل فيها الحُرُّ بن يوسف .

وفيها حفر النهر المكشوف الذى يجىء [٩] وسط الموصل . وشرب منه أكثر أهلها . وكان سبب حفره فيها :

أخبرنى عبيد بن محمد عن عم أبيه عن الأشياخ ، وفيما حدثنى محمد بن ... عن أبيه عن جده قال : كان الحر جالسا فى داره المعروفة بالمنقوشة – قال عُبيد عن عم أبيه :

(١) لم يشر الطبرى فى تاريخه الى (مادور) هـــذه انظر ٢/١٤٩١ ، وانظر معجم البلدان لياقوت ٧/٥ ١٩ .

(٢) فى الأصل : « دكين » وهو تحريف انظر تاريخ الطبرى ٢/١٤٨٨ ، والكامل لابن الأثير ٥/٥١ .

(٣) فى الأصل : « اثنا عشر » .

(٤) اسمه فى تاريخ الطبرى : « عيسى بن عين » ٢/١٩٨٨ .

(٥) فى الأصل : « لاهن » والتصحيح من تاريخ الطبرى ٢/١٥٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٠٣ .

(٦) العبارة فى الأصل هكذا : « عمران بن اسماعيل ابو داود أبو البحر القرشى » والتصحيح من تاريخ الطبـــرى ٢/١٩٨٨ ، والكامل لابن الأثير ٥/١٤٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/١٨٩ .

(٧) فى الأصل : « زريق » ونص ابن الأثير فى الكامل على أنها بتقـــديم الراء على الزاى : ٥/١٤٢ .

(٨) قال أبوزكريا ص ٣٢٨ انه توفى سنة ١٩٧ هـ وأنه ولد سنة ١٠٩ هـ .

(٩) هنا بالهامش عبـــارة : « فراغه على يد الوليد بن تليد العبسى والى الموصل بعد الحــر ابن يوسف فى سنة احدى وعشرين ومائة » .

وإنما سميت منقوشة لأن الحُرَّ بناها فنقشها بألوان النقش والساج والفُسَيْفِس [١] . فكانت قصر الإمارة – وجمعنا فى الحديث – قالا بإسناديهما : فكان جالساً ينظر فى مناظر له . فرأى امرأة على عاتقها جرة . وقد جاءت من دجلة . وهى تحملها ساعة وتضعها ساعة . تستريح . فسأل عنها . فقيل : امرأة حامل جاءت بماء من دجلة وقد أجهدها حمله . فاستعظم ذلك . فكتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك وببُعد الماء على أهل البلد ، فكتب إليه يأمره أن يحفر نهرا فى وسط المدينة ، فابتدأ فى حفر النهر .

وفى هذه السنة ولَّى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحَبْحاب – مولى بنى سلول وهو جد الحباحبة الذين بالموصل أو جد بعضهم – مصر [٢] ، وعزل عنها يزيد بن أبى يزيد .

٢٤

وأقام فيها الحج للناس إبراهيم [بن هشام] [٣] بن إسماعيل المخزومى .

ودخلت سنة ثمان ومائة

فيها غزا أسد بن عبد الله القسرى عونا [٤] . فلقيه [خاقان] [٥] فى جمع كثير ، فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم هزم الله العدو .

وفيها زحف ابن خاقان إلى أذربيجان فحصر مدينة وَرْثان [٦] . ورماها بالمجانيق . فبلغ الخبر الحارث [٧] بن عمرو الطائى . فتوجه نحوه . فقطع الرس – وهو نهر فيه من فوق ورثان ، وبلغ ابن خاقان خبر الحارث فأتاه . فالتقوا . فهزم الله ابن خاقان وأصحابه . وقتل منهم خلقاً كثيرا . وقتل الحارث بن عمرو .

(١) فى الأصل : « الفسافس » وهو تحريف . والفسيفساء (بضم الفاء وفتح السين وسكون الياء وكسر الفاء) ألوان تؤلف من الخرز فتوضع فى الحيطان كأنها نقش مصور .

(٢) يقول ابن تغرى بردى فى النجـــوم الزاهرة ان الوالى على مصر فى هذه السنة كان الحر بن يوسف وان ابن الحبحاب كان متوليا للخراج ١/٢٥٨ .

(٣) هذه الزيادة من الصفحة التالية ومن ص ٢٩ ، ٥٢ ومن تاريخ الطبرى ٢/١٤٩١ .

(٤) قال الطبرى « غورين » ٢/١٤٩٣ ، وفى النجوم الزاهرة « قزوين » ١/٢٦٦ . وانظـــر الكامل لابن الأثير ٥/٥١ .

(٥) هذه الزيادة من تاريخ الطبرى ٢/١٤٩٢ والنجوم الزاهرة ١/٢٦٦ .

(٦) ورثان بلد هو آخر حدود أذربيجان ، انظر معجم البلدان لياقوت ٨/٤١٣ .

(٧) العبارة بالأصل هكذا : فبلغ الخبر الحارث فأتاه فالتقـــوا فهـــزم الله ابن خـــاقان ابن عمـــرو الطائى فتـــوجه نحوه .. وبلغ ابن خاقان خبر الحارث ، فأتاه فالتقوا فهزم الله ابن خاقان وأصحابه . وتبدو العبـــارة التى بين القوسين المعقوفين مكررة .

وفيها مات أبو العلاء يزيد بن عبد الله الحرمى (١)، وبكر بن عبد الله المدنى، وأبو المَليح الهُذلى، وأبو نَضْرة العبدى، وأبو حرب بن أبي الأسود الدُّؤلى، وخالد بن مَعْدان السُّلَمى.

وأمير الموصل الحُرّ بن يوسف؛ وقد جمع الصناع وأهل الهندسة لحفر النهر، واتخذ له الآلات، وجد فى حفره وعمله - على ما ذكروا -.

وأقام الحج للناس فى هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى وهو والى المدينة ومكة والطائف.

ودخلت سنة تسع ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم وفتح فيها حصناً (٢)

وفيها قتل مالك بن المنذر بن الجارود العبدى عمر (٣) بن يزيد بن عمرو الأُسَيْدى؛ وكان سبب ذلك أن خالد بن عبد الله القسرى شهد عمر (٦) بن يزيد عند يزيد بن عبد الملك يسىءُ من أمر يزيد بن المهلب، فقال يزيد بن عبد الملك: هذا رجل العراق (٤)؛ فأحفظ. أمرُه خالدا، فأمر مالك بن المنذر - وهو خليفته على البصرة - أن يُكرم عُمر ويقدّمه ثم يقبل عليه حتى يقتله، فشتم يوما مالك بن المنذر عبد الأعلى بن عبد الله بن (٥) عامر. فقال له عمر بن يزيد: تشتم عبد الأعلى! فأغلظ له مالك (٦) وأمر به فضرب بالسياط حتى مات.

(١) اسمه فى تهذيب التهذيب: « يزيد بن عبد الله بن الشخير (بسكون السين والخاء مع كسرهما): أبو العلاء البصرى » ١١/٣٤١، وكذلك فى الخلاصة ص ٣٧٢.

(٢) اسمه حصن « طيبه » انظر تاريخ الطبرى ٢/١٤٩٥.

(٣) فى الأصل «عمرو» ويقول أبوزكريا مرة « عمرو » ومرة « عمر » وهو فى تاريخ الطبرى « عمر » ٢/١٤٩٥.

(٤) عن أسباب الخصومة بين الخليفة يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب انظر الصفحات ٥ - ١٣، والكامل لابن الأثير ٥/٥٣ - ٥٤.

(٥) عبدالله بن عامر أمير أموى فاتح: انظر عنه طبقات ابن سعد ٥/٣٠، ونسب قريش ص ١٤٧.

(٦) فى الأصل «خالد» وهو تحريف انظر تاريخ الطبرى ٢/١٤٩٦، والكامل لابن الأثير ٥/٥٣.

وفيها مات مسلم بن صبْران (١) بإفريقية.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الخزر، وسبى بأذربيجان.

وعلى مصر (٢) عبيد الله بن الحَبْحَاب. وأمير الموصل الحر بن يوسف، وهو مجد فى حفر النهر وينفق عليه الأموال، ولا يحمل إلى هشام شيئاً.

وكان للحر بن يوسف ابن يقال له سَلَمَة، وكان فصيحاً شاعرا، فارق أباه وخرج إلى البدو وكان تبدّى بنواحى الثعْلَبية - من طريق مكة. حدثنى عبد الله بن على العدوى قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال: كان سَلَمة ابن الحُرّ شاعرا، وهو الذى يقول:

سأثْوِى بحرِّ الثعلبيّة ما ثوت ... حليلةُ منصور بها لا أريمُها (٣)

وأرحل عنها إن رحلَت وعندنا ... أيادٍ لها معْروفة لا أذيمها

وقد علمت بالغيب ألّا أودها ... إذا هى لم يكرُم علىّ كريمهَا

تَقَرُّ لعينى أن أراها بنعمة ... وإنْ كان لا يجدى علىَّ نعيمُها

وأقام الحج للناس إبراهيم بن هشام المخزومى؛ وذكر بعضهم أنه خطب بِمنىً من غد يوم النحر فقال: أنا أبو الوحيد، سلُونى فإنكم لا تسألون أعْلَم منى، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية واجبة هى؟ فلم يجبه.

ودخلت سنة عشر ومائة

فيها مات الحسن بن أبي الحسن البصرى وهو ابن سبع (٤) وثمانين سنة، وهو مولى الأنصار، وابن سيرين - من الأنصار أيضاً - وهو ابن إحدى (٥) وثمانين سنة، ووهب

(١) يقول ابن الأثير فى الكامل: ان بشر بن صفوان - عامل افريقية مات فى هذه السنة ٥/٥٤، وذكر الذهبى فى ميزان الاعتدال: مسلم بن صفوان - لا صبران - ولم يحدد سنة وفاته: ٣/١٦٦.

(٢) عن ولاية ابن الحبحاب على مصر انظر الولاة والقضاة للكندى الصفحات ٧٣ - ٧٧ وانظر ص ٣٠، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١/٢٥٨، ٢٦٦.

(٣) فى الأصل: « ماتوا بنحو التغلبية » والتصحيح من معجم البلدان لياقوت وفيه أنه كان يتعشق مولاة بالثعلبية كان لها زوج يقال له منصور) ٣/١٥، وانظر نسب قريش ص٨٧٢ وجمهرة الأنساب ص ١٠١.

(٤) فى الأصل « سبعة ».

(٥) فى الأصل: « وهو ابن أحد »

وخرج يزيد بن سِنَان مع زيد . فلما اجتمعوا عند سليمان قدَّموا حُصَيْنا المناظرة . فقال : حُصين : «أيها الأمير إن لنا ولهذا الغلام مثلين ، إن النصارى لا يصيِّرون شمَّاسا حتى يكون تلميذًا . ولا يكون قَسًّا حتى يكون شماساً(١) . ولا يصيرونه أُسْقُفا حتى يكون ملاطًا . ولا يكون أَزْدخلا حتى يكون فاعلا . وإن هذا الغلام – يعنى زيدا – يريد أن يكون أستاذا قبل أن يكون متعلما ، ونحن حملة العلم وأهل التقدم فيه ، وإن هذا نظر إلى رجل طلق امرأته ألْبَتَّة ففرق بينهما الوالى . فردها عليه بالجهل والخطأ وقلة المعرفة » . قال سليمان : «ما تقول يا ابن أبى أُنَيسة ؟ » قال زيد : أصلح الله الأمير أما قوله : إنهم أهل العلم والتقدم فيه فقد صدق ٣٦ إنهم لكذلك ؛ وأما قولهم : «إنى أفتيت بخطأ . وقلتُ ما لا يحل وما لا أعْلَم . فإنما أفتيت بقضية قضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن رأى الأمير – أكرمه الله – ألا يقبل تغليظهم على ، ولا يعجل علىَّ بعقوبة حتى يتبين فَعل مُنْعِما » . قال : فاعجب سليمان ما رأى من هَدْى(٢) زيد وسمته ثم قال : اكتب بقولى وقولهم إلى أمير المؤمنين هشام – إن رأيت ذلك – فإن كان القول كما قالوا كنتُ من وراءِ أمرك . فإن عفوت فأنت أهل لذلك . وإن كنتُ مصيباً أمضيت قولى . قال : أفعل ما سألت . وكتب سليمان بما قال الشيوخ وبما قال زيد وسماهم . ووصف زيدا بالسَّمت الجميل والهدى الحسن . قال : ووافقت هذه المسألة رأى هشام . فكتب بها هشام إلى أهل المدينة ومكة والبصرة والكوفة . فوافقوا زيدا – مع ما وافق من قول هشام – وكتب هشام إلى ابنه أن تقول ما قال زيد . فأثيبه بذكره . وقرب مجلسه وعرف فضله على غيره . فكان هذا أول ما عرف به زيد بن أبى أُنَيْسة(٣) .

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

فيها غزا مروان بن محمد أرض صاحب السرير الذهب . وافتتح قلاعه وخرب أرضه . ففر منه الملك ودخل عرمْشك(٤) وهو حصن فيه بيت الملك وفيه ملك السرير . واتبعه مروان إليه . فخرج هربا حتى أتى حصناً يقال له حرج(٥) وسرير الذهب . فأتاه

(١) انظر تاج العروس ٢/٥٥٥ ، ٤/١٧٣ ولعل هذه رتب دينية مسيحية .
(٢) الهدى : الطريقة والسيرة ، والسمت : حسن النحو فى مذهب الدين .
(٣) عن زيد هذا انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ، ١/١٢٥ ، وابن سعد ٧/١٨٠ ومشاهير علماء الأمصار ص ١٨٥ .
(٤) هى فى الكامل لابن الأثير « غوميك » ٥/٨٨ .
(٥) اسمه فى الكامل لابن الأثير « خيزج » ٥/٨٨ ، وكذلك فى معجم البلدان لياقوت ٣/٤٩٨ .

مروان عليه شتاء وصيفاً . فصالحه على ألف رأس فى كل سنة ومائة ألف [مُدّ](١) . وسار مروان فدخل أرض تومان فصالحه ملكها تومان ، ثم سار حتى دخل أرض دَمْكران فصالحه ملكها ، ثم سار حتى أتى حمرين(٢) فأبى ملكها أن يصالحه . فأقام بها مروان على حصنه شهرا يقاتله فأخرب بلاد حمرين ، ثم سأله حِمْرين الصلح فصالحه ، ثم سار مروان إلى أرض مَسْدان فافتتحها صلحاً ، ٣٧ ثم نزل مروان على بحيرين فصالحه طبرسان وقدلان(٣) . وفيها قتل البطَّال بأرض الروم(٤) . وفيها دخل هشام بن عبد الملك الرَّقَّة متقلِّدًا سيفًا . أخبرت بذلك عن شيوخ الرَّقة . وفيها توفى محمد بن يحيى الأنصارى ، وعامر بن عبد الله بن الزبير . وفيها ولد أبو عاصم الضحاك بن مَخْلد .

وعلى صلاة الموصل وأحداثها الوليد بن تليد .

وفيها فرغ من عمل النهر المكشوف وذكروا أنه أنفق عليه ثمانية آلاف(٥) ألف ألف درهم ، وجعل عليه ثمانية عشر حجرا تطحن ، وأنهم وزنوا الماء من فوهة النهر ، وطرحوا لكل رجل علامة قد عملوها – ويقال جوزة – وقعدوا فى زورق فى جوف النهر والعلامات تسير بين أيديهم حتى خرجوا إلى آخر النهر . فجاءت كل علامة – ويقال جوزة – إلى الرحا التى عملت لها حتى دخلت فى سِيب الرحا(٦)

وذكروا أن هشاماً وقف هذه الأرحاء على نفقة هذا النهر . وما يحدث فيه(٧) .

وأقام الحج للناس محمد بن هشام .

(١) هذه الزيادة من الكامل لابن الأثير ٥/٨٨ . وقال والمد مكيال يسع ١٩ صاعا ، وانظر النجوم الزاهرة ١/٢٨٦ .
(٢) فى الكامل لابن الأثير « حمزين » ٥/٨٨ . وقال : « وكل هذه الولايات على شاطىء البحر من أرمينية الى طبرستان » وانظر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٩٣ ، والأعلاق النفيسة لابن رستة ص ١٤٧ ، والفتوحات الاسلامية للسيد دحلان ١/١٥٤ .
(٣) فى الكامل لابن الأثير : « طبرسران وفيلان » ٥/٨٨ وانظر ص ٤٣
(٤) عبد الله البطال قائد من أمراء الحرب الشاميين انظر عنه مروج الذهب ٢/٣٥٣ ، والكامل لابن الأثير ٥/٩١ .
(٥) ربما كان تقدير ابن الأثير فى الكامل أقرب الى المعقول وهو ثمانية آلاف الف : ٥/٨٩ ، وربما كانت كلمة الف الأخيرة هنا زائدة ، وهنا بالهامش عبارة : « الابتداء فى سنة سبع ومائة والفراغ فى سنة احدى وعشرين ومائة » .
(٦) السيب : مجرى الماء انظر الكلمة بالمعاجم اللغوية .
(٧) يقول ابن حوقل فى « كتاب صورة الأرض » ص ٢١٩ : وبالموصل فى وسط دجلة مطاحن قائمة فى وسط الماء موثقه بالسلاسل الحديد فى كل واحدة منها أربعة أحجار تطحن ، وهى من الخشب والحديد وربما دخل فيها شىء من الساج » وانظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى ص ٣٠٩ .

الدِّينور - ولم تكن إليه فى ذلك الوقت - فسلَّمهم إلى عاملها وأشهَد عليه وأخذ كتابه بخطه بقبضهم ، وانصرف راجعاً إلى عسكره بأذربيجان ، فأقام شاتياً أو جامعاً ، ومتأهباً لمسيره إلى بابك .

فحدثنى محمد بن الحسن بن سالم قال : حدثنى عبد الله بن رُويم قال : سمعت أبى يقول : لما أنفذ محمد بن حميد الأسرى إلى المأمون أسدا ضوارى كان [١] فيمن حمل على بن مُرّ الطائى وبنو حِبّان [٢] ونظراؤهم من اليمن ، وكانت أذربيجان أو أكثرها فى يد اليمانية .

٣٢٦ وقلَّد المأمون الموصل / هارون بن أبى خالد وهو أخو أحمد بن أبى خالد وزير المأمون .

أخبرنى محمد بن المبارك عن على بن الحسين بن عبد الأعلى قال : قال المأمون يوماً لأحمد بن أبى خالد : « إنى كنت عزمت أن أستوزرك » فقال : يا أمير المؤمنين اجعل بينى وبين الغاية منزلة يتأملها صديقى ويرجوها لى ؛ ولا يقول عدوى : « قد بلغ الغاية وليس إلا الانحطاط » . فاستحسن ذلك المأمون واستوزره .

ومات أحمد بن أبى خالد فى هذه السنة أو فى سنة إحدى عشرة [٣] ، فحضر المأمون جنازته وصلى عليه ؛ ولما دُلِّىَ إلى حفرته ترحم عليه ثم قال : كان - والله - كما قال القائل :

أَخُو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا ... وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِى القَوْمِ بَاطِلُ

فأما هارون بن أبى خالد والى الموصل فكان حسن السيرة .

وأخبرنى إبراهيم بن أحمد بن فهد عن أبيه قال : ولى المأمون هارون بن أبى خالد الموصل ، فحدثنى عرس بن فهد قال : حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن محمد البرخاش - فيما أرى -

---

(١) فى الأصل : « وكان » .

(٢) فى الأصل : « بنى حيسان » ويقول القلقشندى فى نهاية الأرب ص ٢٢٥ « بنو حبان بطن من لخم من القحطانيه » .

(٣) فى الأصل : « احدى عشر » ، وعن أحمد بن أبى خالد انظر الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٠٥ ، وكتاب تاريخ بغداد لابن أبى طاهر طيفور ٢١٥/٦ - ٢٣٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٣/٢ .

عن أبيه قال : كان هارون بن أبى خالد إذا مر على الصبيان بالموصل سلَّم عليهم ؛ وحفر القناطر [١] وحفر القناطر التى تمر بها المياه إلى دجلة .

وفيها مات أبو عاصم الضحاك بن مَخْلَد ، وزكريا بن عدى ، وعبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعى .

وغلا السعر بمكة فبلغ مُدّ دقيق [٢] - فيما قيل - دينارين .

وحج بالناس فيها عبد الله بن عبيد [٣] الله بن العباس .

أخبرنى زيد بن عبد العزيز عن أبيه عن يحيى بن عبد الملك العبدى قال : كنا جماعة من أهل الموصل قافلين من مَلَطْيَة فوصلنا إلى ديار ربيعة وهارون بن أبى خالد واليها ووالى الموصل ، فقلنا ندخل إلى الأمير ونسلِّم عليه ونسأله مصالح بلدنا . فدخلنا عليه ؛ فبرك على ركبتيه إكراماً لنا وقال : سلوا حوائجكم / وأمر من يكتبها ؛ فأجابنا إلى كل ما التمسناه ؛ ٣٢٧ فنظر أبو صالح عبد الصمد بن أبى خَدَاش نوصلى إلى سبانه [٤] فقال : ما يصنع الأمير بهذا ؟ فقال : يا أبا صالح هذا رِبْىُ السلطان [٥] . فقال : « خذه ولا ترده » [٦] فقال : نأخذه فى وقت آخر .

ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

فيها قلد المأمون ابنه العباس الجزيرة ، وضم كُوَر الجبال إلى محمد بن حميد مضافاً إلى ما كان يتقلده من أذربيجان وإرمينية .

وولى [٧] أبا إسحق بن الرشيد الشام ومصر .

---

(١) ربما كان فى هذا تكرار ، وربما كان المعنى أنه حفر عددا من القناطر ومنها القناطر التى تمر بها المياه الى دجله .

(٢) المد مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يديه بهما انظر المعاجم اللغوية ؛ والخراج فى الدولة الاسلامية ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) فى الأصل : « عبد الله بن عبد الله » والتصحيح من تاريخ الطبرى ١٠٩٩/٣ ، والكامل لابن الأثير ١٣٨/٦ .

(٤) سبلت الشىء اذا أبحته .

(٥) هكذا فى الاصل ولعل المراد أنه شىء من فضول السلطان .

(٦) فى الاصل : « ولاتريده » ولعلها محرفة مما ذكر .

(٧) فى الاصل : « وولاه » .

ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين

فيها ابتاع المعتصم سُرَّ مَرَّى[1] – فيما قالوا – بخمسمائة ألف درهم من أصحاب دير كان هناك ، واشترى موضع البستان المعروف بالخاقانى بخمسة آلاف درهم .

قرأت فى بعض الكتب أن سُرَّمَرَّى كانت مدينة عظيمة عامرة ، كثيرة الأهل ، فخربت حتى صارت خربة ، وكان سبب خرابها أن أعراب ربيعة وغيرهم كانوا يغيرون على أهلها فرحلوا عنها .

وقرأت فى كتاب أن سُرَّمَرَّى أخذ اسمها من اسم سام بن نوح ، وذكروا أن رجلا من باهلة – الذين ابتاع المعتصم منهم – قيل له[2] : كيف صبركم على هذا الخراب وليس حوله عمارة ولا معاش ولا خضرة ؟ فقال : نحن نتوقع أن تبنى ههنا مدينة يكون فيها مربط الفرس بألف درهم » .

أخبرنى محمد بن المبارك عن أحمد بن خالد قال : قال لى المعتصم – فى سنة تسع عشرة – : يا أحمد تشترى لى بسُرَّمَنْ رَى موضعاً أبنى فيه مدينة . فإنى أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية[3] صيحة فيقتلوا غلمانى[4] . فأبنى هناك مدينة فأكون فوقهم . فإن رابنى منهم ريب أتيتهم فى البر والبحر حتى آتى عليهم » ، فكان لهذا السبب بناها .

351 وفيها ولى المعتصم أشناس مصر .

ومات فيها من محدثى الأمصار أبو نُعَيم الفضل بن دُكَيْن بالكوفة ، ومالك بن إسماعيل النَّهْدى ، وعَفَّان[5] بن مسلم الصَّفَّار . وعبد الله بن الزبير الحُمَيْدى[6] .

---

(١) سرمرى مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة : معجم البلدان ٥/١٢ .

(٢) فى الأصل : « فقال » .

(٣) الحربية محلة كبيرة بالجانب الغربى ببغداد تنسب الى حرب البلخى « والمراد سكان هذه المنطقة » انظر معجم البلدان ٣/٢٤٥ ، وتاج العروس ١/٢٠٧ ، وص ١٩٥ ، وانظر تاريخ الطبرى ٢/٩٩١ ، ٣/١١٧٩ .

(٤) فى الأصل : « فيقتلون » .

(٥) فى الأصل « عثان » والتصحيح من تهذيب التهذيب ٧/٢٣٠ والخلاصة ص ٢٢٧ .

(٦) فى الأصل : « الحمدى » والتصحيح من « جمهرة الأنساب » ص ١٠٨ ، وشذرات الذهب ٢/٤٥ ، وتهذيب التهذيب ٥/٢١٥ .

وفيها تحرك الزُّط[1] بنواحى البطائح فأنفذ إليهم المعتصم عُجيْفًا[2] . فأوقع بهم[3] .

وفيها مات محمد بن يزيد الرُّهاوى[3] .

وكان على حرب الموصل وخراجها رجل يقال له : منصور بن بَسّام ولست أدرى من قبل المعتصم كان أم من قبل المأمون .

حدثنى بعض أصحابنا قال : سمعت حسين بن كميت يحدث أن رجلا من ولد بسام يقال له منصور كان والياً على حرب الموصل وخراجها . وكان قد عسف أهل الموصل وأساء إليهم . فرأى رجل من أهل الموصل – يقال له عبدون الصَّداد – النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه ثلاث ليال يأمره أن يأتى منصور بن بسام هذا . ويقرأ عليه : « والفَجْرِ » إلى : إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[4] ، فأتاه عبدون إلى باب داره وقت الفجر فاستأذن عليه . فقال له الحاجب : ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ قال : « أمرٌ مهم » فاستأذن له على الأمير . فأذن . فلما رآه منصور قال : عَبْدَوَيْه[5] ! ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ قال : أعز الله الأمير . رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ثلاث ليال متواليات يأمرنى فيهن أن آتيك فأقرأ عليك : « والفجر » قال : « اقرأ يا عبدويه »[5] فقرأ عليه إلى : « إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » فقال : « أوه قطعت قلبى » ثم غشى فغشى رجلاه رأسه ووقع ميتاً .

والقاضى فى هذه السنة على بن طالب .

وفيها أشخص المعتصم أحمد بن حنبل ، حدثنى حنبل قال : سمعت أبى يقول : لما كان فى شهر رمضان سنة تسع عشرة ومائتين حُوِّل أبى[6] إلى دار إسحاق بن إبراهيم مقيداً .

---

(١) الزط : جيل من السند أو الهند أو السودان : انظر اللسان ٧/٣٠٨ ، والبطائح أرض واسعة بين واسط والبصرة : معجم البلدان ٢/٢٢٢ . وعن ثورة الزط انظر تاريخ الطبرى ٣/١١٦٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٤/٢٤٦ .

(٢) انظر ص ٤٠٨ .

(٣) انظر ص ٤٢٢ وتهذيب التهذيب ٩/٥٢٤ .

(٤) القرآن الكريم سورة ٨٩ الآيات ١–١٤

(٥) قال قبل ذلك ان اسمه عبدون .

(٦) لعل الأصح أن يقول : « حولت .. وجه الى .. يناظرنى » .

النشرات الإسلامية ٢٨/٣

البلاذري

أنساب الأشراف

العباس بن عبد المطلب وولده

تحقيق
الدكتور عبد العزيز الدوري

يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن
بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

حين فرغ من بدر: عليك العير فإنه ليس بينك وبينها كبير شيء، فناداه العباس: انها لا تصلح لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولمَ؟ قال: لأن الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك[1]. قال احمد بن ابراهيم: وفي حديث آخر مثله، فقال رسول الله: صدق عمي.

وحدثني احمد بن ابراهيم، حدثنا ابو داود الطيالسي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ذكوان عن صهيب مولى العباس قال: أرسلني العباس الى عثمان بن عفان أدعوه، فاتيته وهو يغدّي الناس، فلما فرغ أتاه فقال: افلح الوجه يا أبا الفضل، فقال: ووجهك يا أمير المؤمنين. ثم قال عثمان: أتاني رسولك وانا أغدّي الناس فما زدتُ حين غدّيتهم على ان أتيتك، وذكر كلاماً.

حدثنا عبيدالله بن عمر القواريري، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله عن نافع ولا أعلمه إلا عن ابن عمر، أن العباس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المبيت بمكة ليالي منى فأذِنَ له.

حدثني بعض اصحابنا عن الزبير بن بكار عن ساعدة بن عبيد الله عن داود ابن عطاء عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذي عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي[2]، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم ان عمي العباس حاطني بمكة من اهل الشرك وأخذ لي البيعة على الانصار ونصرني في الاسلام[3]. اللهم فاحفظه وحُطْهُ واحفظ ذريته من كل مكروه.

وحدثني هشام بن عمّار قال: سمعتُ الوليد بن مسلم يقول: قُرِئ علينا كتاب أبي جعفر امير المؤمنين يذكر فيه سابقة جده العباس فقال فيه: ومن ذلك انه جهز في جيش العسرة بثمانين الف درهم.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله، أن غلاماً للعباس بن عبد المطلب يقال له كلاب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بأطافٍ بعث بها اليه عمّه العباس. وكان رسول الله

(١) ترد هذه الرواية في تاريخ ابن عساكر (المخطوط) ج ٧، ص ٤٥٧ أ.
(٢) انظر ابن عساكر – تهذيب ج ٧، ص ٢٣٥.
(٣) يضيف ابن عساكر: مؤمناً مصدقاً بي.

صلى الله عليه وسلم قد شكا القيام على رجليه، وكان كلاب نجاراً مُجيداً، فأمره فعمل له مِنْبَرَهُ من أَثْلِ الغابة درجتين ومقعداً[1] وذلك قبل فتح مكة.

وحدثنا وهب بن بقية الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، اخبرنا أبو أمية [٥٣٣] بن يعلى عن سالم ابي النضر قال[2]: لما كثر المسلمون على عهد عمر ضاق بهم المسجد. فاشترى عمر ما حوله من الدور الا دار العباس وحُجَر امهات المؤمنين، فقال عمر للعباس: يا أبا الفضل إن المسجد قد ضاق وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل لأوسّع بها على المسلمين مسجدهم إلا دارك وحجر امهات المؤمنين. فأما حُجَر امهات المؤمنين فلا سبيل اليها، وأما دارك فاما ان تبيعنيها بما شئت من بيت المال. واما ان أخطك خطة حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين، وإما ان تتصدق بها على المسلمين فنوسّع بها مسجدهم، فقال العباس: لا ولا واحدة منها. فقال عمر: انت أعلم، اذهب فلن أعرض لك في دارك. قال العباس: أما اذا قلت هذا فإني قد تصدّقتُ بها على المسلمين، فخطّ له عمر داره التي هي له اليوم وبناها من مال المسلمين.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أسامة بن محمد بن أسامة ابن زيد عن ابيه عن دحية بن خليفة الكلبي[3] قال: أهديتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم زبيباً وتيناً من الشام فقال: اللهم أدخل عليّ احبّ أهلي اليك. فدخل العباس فقال: ها هنا يا عمّ، دونك فَكُلْ.

حدثني[4] عباس بن هشام عن ابيه عن جده عن ابي صالح عن ابن عباس قال: لما صار أمرُ السقاية والرفادة لبني عبد مناف بن قصي اقترعوا فخرج سهم هاشم فولي ذلك وقام به، فلما مات هاشم بغزّة قام بأمر السقاية والرفادة بعده بوصية منه المطلب بن عبد مناف أخوه، ثم لما مات المطلب قام بذلك عبد المطلب ابن هاشم ثم ابنه الزبير بن عبدالمطلب بن عبد مناف ثم أبو طالب بن عبد المطلب، ثم ان ابا طالب أمْعَر واختلّت حالُه فعجز عن القيام بأمر السقاية

(١) م: مقعدة.
(٢) أورد ابن سعد هذه الرواية بصورة اوفى، ج ٤، ق ١، ص ١٣–١٤.
(٣) ترد الرواية في ابن عساكر – تهذيب ج ٧، ص ٢٣٩.
(٤) م: وحدثني. وانظر رواية ابن سلام في تاريخ ابن عساكر (المخطوط) ج ٧، ص ٤٥٥ أ.

والرفادة فاستسلف من أخيه العباس بن عبد المطلب للنفقة على ذلك عشرة آلاف درهم . فلما كان العام المقبل سأله سلف خمسة عشر الف درهم، أو قال اربعة عشر الف درهم ، فقال له العباس : انك لن تقضيني ما لي عليك فأنا أعطيكَ ما سألتَ على انك ان لم تؤدِّ إليَّ مالي كله في قابل فأمرُ هذه المكرمة من السقاية والرفادة اليَّ دونك والمال لك . فأجابه الى ذلك ، فلما كان الموسم من العام المقبل ازداد ابو طالب عجزًا وضعفاً لقلة ذات يده فلم تمكنه[١] النفقة ولم يَقْضِ العباسَ ماله، فصارت السقاية والرفادة اليه. وكان للعباس كرم بالطائف يؤتى بزبيبه فينبذ في السقاية. فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اخذ مفتاح الكعبة وهمّ بدفعه الى العباس، فنزلت ﴿إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها﴾[٢] فأقرّ السقاية والرّفادة في يد العباس وأقرّ الحجابة في يد عثمان بن طلحة بن ابي طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي[٣]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة : ألا اني قد وضعت كل مأثرة ومكرمة كانت في الجاهلية تحت قدمي الا سدانة البيت وسقاية الحاج[٤].

وحدثني علي الاثرم عن ابي عبيدة قال : قام العباس بالسقاية والرفادة ، ثم قام بذلك عبد الله بن عباس ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم داود بن علي ثم سليمان بن علي ثم عيسى بن علي . فلما استخلف امير المؤمنين أبو جعفر[٥] قال : انكم تقلدون هذا الامر مواليكم فوالي أمير المؤمنين أحقّ بالقيام بـه ، فولّى السقاية ونفقاتِ البيت مولى له يقال له زَربى ، وجُعلت الرفادة من بيت المال.

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : دخل عثمان بن عفان على العباس رضي الله تعالى[٦] عنهما ، وكان العباس خالَ امه أروى بنت كُرَيز فقال : يـا خال أوصني . فقال : اوصيك بسلامة القلب ، وترك مُصَانَعة الرجال في الحق ، وحفظ اللسان ، فانك متى [٥٣٤] تفعلْ ذلك تُرضِ ربك وتصلُحْ لكَ رعيتك .

(١) ط : يمكنه .
(٢) سورة النساء (٤) ، آية ٥٨ .
(٣) انظر جمهرة النسب ج ١ ، لوحة ٦ .
(٤) انظر فنسنك – المعجم المفهرس ج ٢ ص ٤١٧ .
(٥) سقط « ابو جعفر » من م .
(٦) تعالى : ليست في ط .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة عن محمد بن علي بن عبد الله . ان العباس قال لعبد الله بن العباس : يا بنيّ ان الله قد بلَّغك شَرَفَ الدنيا فاطلب شرف الآخرة . واملك هواك واحرزْ لسانك إلاّ ممّا لَكَ .

حدثني عمر بن حماد بن أبي حنيفة عن محمد بن الفضيل بن غزوان عن زكريا ابن عطية عن أبيه قال: أخذ كعب الاحبار بيد العباس وقال : اختبئها لي عندك للشفاعة ، فقال : وهل لي شفاعة ؟ قال : نعم ليس احد من أفاضل أهل النبي يُسلم إلاّ كانت له شفاعة .

حدثنا الحسين بن علي بن الاسود ، حدثنا يحيى بن آدم عن أبي اسامة وعبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير قال : أخذ العباس بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وافاه السبعون من الانصار بالعقبة فجعل يأخذ لرسول الله[١] البيعة ويعتقدها عليهم ويشترط له . قال عروة : وذلك في غُرَّة الاسلام وأوله وليس يُعبدُ الله علانيةً .

حدثني علي بن حماد بن كثير ، حدثنا الخزامي[٢] عن محمد بن طلحة عن اسحاق بن ابراهيم الأنصاري عن أبيه قال : لما قدم صفوان بن أمية الجمحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : على من نزلت يا أبا وهب ؟ قال : على عمك العباس ، قال : نزلت على أشدّ قريش لقريش حُبّاً[٣] .

المدائني عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس[٤] قال : سمعتُ عمر بن الخطاب يقول : قريش رؤساء الناس وليس منهم احد يدخل في أمر إلا دخل معه فيه[٥] طائفة[٦]، فلما طعن عمر أمر صُهَيباً ان يصلي بالناس ويطعمهم ثلاثة أيام حتى يجتمعوا على رجل من الستّة ، فلما وُضعت

(١) يضيف م « صلى الله عليه وسلم .
(٢) ط : الجزامي . انظر ابن الاثير – اللباب ج ١ ، ص ٣٦٢ .
(٣) انظر ابن سعد ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٥ .
(٤) يرد هذا الخبر بهذا الاسناد وباسناد آخر في ابن سعد ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٩–٢٠ ، وفي ابن عساكر – تهذيب ج ٧ ، ص ٢٤٠ .
(٥) ط : الله .
(٦) يضيف ابن سعد : « فلم ادر ما تأويل قوله في ذا حتى طعن فلما احتضر امر ... » ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٩ .

يا معنُ كنت بداءة الكرمِ ... وغنى المُقِلِّ وطاردَ العدمِ
فسطا عليك الدهرُ مقتدرًا ... بصوائب من صرفه غُشُمِ
وأراك لم تترك لنا خلفًا ... يأوي إلى فضل ولا كرم
فعليك يا معن السلام فما ... أبقيت معتصَمًا لمعتصم

وأنشدني الفضل بن زياد من ولده لبعضهم :

كانت سحائب معن الخير تمطرنا ... فقد تولى فلا معنٌ ولا مطرُ
مَن لِلجفانِ اذا عزّ القِرى رذما ... وللطعان إذا ما استشعر الحصَرُ

وبلغني أن رجلاً مدح مَعْناً فقال[1] :

أتيتُكَ اذ لم يبقَ غيرك جابر ... ولا واهبٌ يعطي اللّهى والرغائبا

فقال معنٌ : يا أخا بني أسد ليس هذا بمديح انما المديح قول اخي بني تميم لمسمع بن مالك حين قال :

قلّدته عرى الامور نزار ... قبل ان يَهلِكَ[2] السُّراةُ البحورُ

باب

حدثني عبد الله بن مالك الكاتب قال : أصاب عيسى بن علي في بعض الليالي حر شديد فبُلّ له إزار فنام فيه . فلما أصبح قال له المنصور : يا عم كيف كنت في ليلتك من هذا الحر ؟ فقال : بللت إزارًا ونمت فيه فكنتُ بخير ونمتُ أطيب نوم . فقال : وأنا والله أمرت فبُلّ لي ثوبٌ فنمتُ فيه ثم لم أزل أروّح . ثم ان المنصور فكّر فأمر فأُتي بكرابيس غلاظ ثخان فبُلّت وجعلت على ثلاثة أعواد مثل السبائك ونام تحتها . ثم أخبر عيسى بن علي بما صنع واتخذ عيسى مثل ذلك . ثم قال عيسى : يا أمير المؤمنين لو اتخذت قبة ثم غشيت بمثل هذه الكرابيس

(١) انظر الخبر في الموشح للمرزباني ص ٢٣١ ؛ والبيت لحسين بن مطير الاسدي . انظر ديوانه ص ١٣٩ .
(٢) في الموشح : تهلك .

المبلولة وجعلت طاقات كان ذلك أنفى[1] للحر وأوسع في المبيت والمقيل . فقال المنصور : أو غير ذلك يا عم . يعمد الى هذا الخيش الذي يأتي فيه القند والأمتعة من مصر فيغسل وينظّف ثم يبل[2] وتغشى به القبة مخيطاً عليها فإنه أحبس لرطوبة الماء وأبطأ جفوفاً ، فأمر المنصور بذلك وتتبع الخيش فاشتري من التجار . وأمر فكتب الى مصر في اتخاذ شقاق الخيش ووجّه في ذلك رسولاً حمله فاستعمله ثم استعمله الناس . وكانت للمهدي في أيام أبيه قبة تنقل من مقيله إلى مبيته ومن مبيته الى مقيله . وكان أول من اتخذ له الخيش الأبيض المهدي في خلافته . قال : وكانت الخيزران أول من اتخذ السرايح .

وحدثني عبد الله بن مالك قال : كان أول من اتخذ الشمع الغلاظ التي فيها الأمناء الوليد بن يزيد ثم صالح بن علي بمصر ، وإنما كانت لبني أمية ومَن قبلَهم من الملوك بالشام سوى الوليد شمعٌ في الشمعة منها الرطلان والثلاثة الأرطال وكانت لها أتوار صغار في التور منها شوكة ترزّ الشمعة فيها أو[3] مسرجة عليها شوكة .

وحدثني المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية ، قال : كتب أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم[4] الى عمر بن عبد العزيز . وهو عامله على المدينة : إن من قبلي من الأمراء كان يجري عليهم رزق للشمع[5] ، فكتب اليه : انك طال ما مشيت في طرق المدينة [٦٤٩] بلا شمع يمشى به[6] بين يديك فأعرض عن هذا ولا تعاودني فيه . وحدثني أبو اليسع الانطاكي عن ابيه قال : كانت ملوك بني أمية تستصبح بالزيت في القناديل ويمشى بين أيديها بالشمع الطوال التي طول الواحدة منها ثلاثة أشبار وكان مَن دونهم يستعملون من الشمع الفتايل المثنيّ بعضها على بعض . فلما كان يزيد بن عبد الملك اتخذ له من الشمع الطوال ما فيه ستة أرطال أو أكثر من ذلك . ثم أسرف الوليد في استعمال الشمع في مجالسه .

(١) م : أنقى .
(٢) ط : تبل .
(٣) م : و .
(٤) ط ، د : حرم . انظر الذهبي - تراجم رجال روى عنهم ابن اسحق (ن. فيشر) ص ٨٩ وص ٩٠ ؛ وص ٩١ ؛ الطبري س ٢ ص ١١٩١ وس ٣ ص ١٣٤٦ وص ١٣٥٨ .
(٥) ط ، م : الشمع .
(٦) سقطت « به » من ط .

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم

دار احياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

ذكر فتح برقة والنوبة

قال ابن عبد الحكم : وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهري ـ وكان نافع أخا العاصي بن وائل لأمه ـ فدخلت خيولهم [١] أرض النوبة صوائف كصوائف [٢] الروم ، فلم يزل الأمر على ذلك حتى عُزل عمرو بن العاص عن مصر ، ووليها [٣] عبدُ الله ابن سعد بن أبي سَرْح ، وصالحهم ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين : على أن يؤدُّوا كلَّ سنة للمسلمين ثلاثمائة رأس وستين رأساً ، ولوالي البلد أربعين رأساً [٤] .

قال : وكان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ؛ فلما قتله داود عليه الصلاة والسلام خرج البربرُ متوجِّهين إلى المغرب ؛ حتى انتهوا إلى لُوبية ومَراقِيَة ـ وهما كورتان من كور مصر الغربيّة ممّا يشرب من السماء، ولا ينالهما النيل ـ فتفرّقوا هنالك : فتقدّمت زَنَاتة ومغيلة [٥] إلى المغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدّمت لُواته ، فسكنت أرضَ أنطابُلُس ؛ وهي برقة ؛ وتفرّقت في هذا المغرب ، وانتشروا فيه ، ونزلت هَوّارة مدينة لَبْدَة [٦] .

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برْقة : فصالح أهلَها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جِزْيَة ، على أن يبيعوا مَنْ أحبّوا من أبنائهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج إنّما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتُها .

ووجه عمرو بن العاص عُقْبةَ بن نافع : حتى بلغ زَوِيلة . فصار ما بين برقة زَوِيلة للمسلمين [٧] .

---

(١) ح ، ط : « خيلهم » .
(٢) الصائفة في الأصل غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج . وفي ح ، ط : « طوائف كطوائف » ، تحريف .
(٣) فتوح مصر : « وأمر » .
(٤) فتوح مصر ١٦٩ ، ١٧٠ .
(٥) كذا في فتوح مصر ، وفي الأصل : « مغيلة » ، وفي ح ، ط : « وعوية » .
(٦) بعدها في فتوح مصر : « ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ، وأقام الأفارق ـ وكانوا خدماً للروم ـ على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم » .
(٧) فتوح مصر ١٧٠ ، ١٧١ .

ذكر الجزية

قال ابن عبد الحكم : كان عمرو بن العاص يبعث إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالجزية بعد حبس مايحتاج إليه ؛ حدّثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب قال : كانت فريضة مصر لحفر خُلُجها وإقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفاً ، معهم الطُّور والمساحي والأداة ؛ يعتقبون ذلك، لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفاً [١] .

حدّثنا عبدُ الملك بن مسلمة ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : كتب عمر بن الخطاب أن يُختم في رقاب أهل الذمّة بالرّصاص ، ويُظهروا مناطقهم ويجزُّوا نواصيهم ، ويركبوا على الأُكُف [٢] عرْضاً، [ولا يضربُوا الجزية إلّا على من جرت عليه المواسي ، ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان] [٣] ، ولا يدَعُوهم يتشبّهون بالمسلمين في ملبوسهم [٤] .

حدّثنا عبد الملك ، عن الليث بن سعد ، قال : كانت وَيْبة عمر بن الخطاب في ولاية عمرو بن العاص ستّة أمداد [٥] .

قال ابنُ عبد الحكم : وكان عمرو بن العاص لمّا استوسق [٦] له الأمر أقرّ قِبْطها على جباية الروم ؛ وكانت جبايتهم بالتعديل : إذا عُمرت القرية ، وكثر أهلها زيد عليهم ، وإنْ قلّ أهلُها وخربت نُقصوا ، فيجتمع عُرَفاء كلّ قرية ورؤساؤها . فيتناظرون في

---

(١) فتوح مصر ١٥١ .
(٢) الإكاف : البردعة . وجمعه أكُف .
(٣) من فتوح مصر .
(٤) فتوح مصر ١٥١ .
(٥) في القاموس : « الويبة : ثنتان أو أربعة وعشرون مدا » وانظر فتوح مصر ١٥٣ .
(٦) استوسق له الأمر : اجتمع .

ذكر حفر خليج أمير المؤمنين

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عبد الله بن صالح وغيرُه ، عن اللّيث بن سعد ، أنّ النّاس بالمدينة أصابهم جَهْدٌ شديد فى خلافة عمر عام الرَّمادة (١) ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلامٌ عليك : أمّا بعدُ : فلَعَمْرِى ياعمرو ماتبالى إذاشبعتَ أنتَ وَمَن معك، أن أهلِكَ أنا وَمَنْ معى : فياغوثاه ، ثم ياغوثاه ! يردّد قوله .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من عبد الله عمرو بن العاص : أمّا بعد فيالبّيك ثم يالبّيك ! قد بعثتُ إليك بعيرٍ أوّلها عندك وآخرها عندى . والسلام عليك ورحمة الله .

فبعث إليه بعيرٍ عظيمة ، فكان أوّلُها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبعُ بعضها بعضا ، فلمّا قدمت على عمر وسّع بها على الناس (٢) .

وكتب إلى عمرو بن العاص يَقْدَم عليه هو وجماعة من أهل مصر ، [فقدموا عليه (٣)] ،

---

(١) قال صاحب اللسان : « عام الرمادة معروف ، سمى بذلك لأن الناس والأموال هلكوا فيه كثيرا . . . وقيل : هى أعوام جدب تتابعت على الناس فى أيام عمر بن الخطاب . وفى حديث عمر ، أنه أخر الصدقة عام الرمادة ، وكانت سنة جدب وقحط ، فلم يأخذها منهم تخفيفا عنهم » .

(٢) بعدها فى فتوح مصر : « ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا الطعام وينحروا البعير ، فيأكلوا لحمه ، ويأتدموا شحمه ، ويحتذوا جلده ، وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف وغيره ، فوسع الله عليه بذلك على الناس . فلما رأى عمر ذلك حمد الله وكتب . . . » .

(٣) من فتوح مصر .

فقال عمر : ياعمرو ! إن الله قد فتح على المسلمين مصر ، وهى كثيرة الخير والطعام ، وقد أُلقِىَ فى رُوعى — لما أحببتُ من الرِّفق بأهل الحرَمين ، والتوسعة عليهم (١) — أن أحفِر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر ، فهو أسهل لما نريد من حَمْل الطعام إلى المدينة ومكّة ؛ فإنّ حمله على الظهر يَبْعُد ولا نبلغ معه ما نريد : فانطلقْ أنت وأصحابك فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم .

فانطلق عمرو ، فأخبر [بذلك] (٢) مَنْ كان معه من أهل مصر فثقُل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوّف أن يدخل فى هذا ضررٌ على أهل مصر ، فنرى أن تعظِّم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له : هذا أمرٌ لا يعتدل ، ولا يكون، ولا نجد إليه سبيلاً .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر ، فضحك حين رآه ، وقال : والذى نفسى بيده لكأنّى أنظر إليك ياعمرو وإلى أصحابك حين أخبرتَهم بما أمرتُ به من حفر الخليج ، فثقل ذلك عليهم ، وقالوا : يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر ؛ فنرى بأن تعظِّم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول له : هذا لا يعتدل ، ولا نجد إليه سبيلا .

فعجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقتَ والله ياأمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت . فقال عمر : انطلق ياعمرو بعزيمة منّى حتى تجدّ فى ذلك،ولا يأتى عليك الحَوْل حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى . فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من الفَعَلة مابلغ منه ما أراد ، ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط ، الذى يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النِّيل إلى القُلْزم ؛ فلم يأت الحَوْل حتى فرغ ، وجرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكّة ، فنفع الله بذلك أهلَ الحرَمين ، وسُمِّىَ خليج أمير المؤمنين .

ثم لم يزل يُحْمَل فيه الطعام ، حتى حُمِل فيه بعد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ،

---

(١) بعدها فى فتوح : « حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين » .

(٢) من فتوح مصر .

ثم ضيّعه الولاة بعد ذلك ، فتُرك وغلب عليه الرمل ، فانقطع ، وصار منتهاه إلى ذَنَب التمساح من ناحية طحا القلزم [١] .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثني أخي عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا ابنُ وهب ، عن ابن لَهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن ـ قال : حسبته ، عن عُروة ـ أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه : [٢] قد عرفت الذى أصاب العرب [٢] ، وليس جند من الأجناد أرجى عندى من أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك . فإن استطعت أن تحتال لهم حِيلة حتى يُغيثهم الله ! فقال عمرو : [ما شئت يا أمير المؤمنين [٣]] ، قد عرفتُ أنّه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر ، انقطع ذلك الخليج واستدّ ، وتركته التّجار ، فإن شئت أن نحفره فننشىء فيه سُفُناً يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلتُه ! قال عمر : نعم ، فحفره عمرو ، وعالجه وجعل فيه السفن [٤] .

حدثنا أبى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نَجيح ، عن أبيه ، أنّ رجلا أتى عمرو بن العاص من قِبْط مصر ، قال : أرأيتك إن دللتُك على مكان تجرى فيه السفن ، حتى تنتهىَ إلى مكة والمدينة ، أتضع عنّى الجزية وعن أهل بيتى ؟ قال : نعم ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه أن افعل ؛ فلمّا قدمت السفن الحجاز خرج عمر حاجًّا أو معتمرا ، فقال للناس : سيروا بنا ننظر إلى السفن التى سيّرها الله إلينا من أرض فرعون [٥] .

قال ابنُ زُولاق : وليس بمصر خليج إسلامىّ غيره . قال : وكان حُجّاج البحر يركبون فيه من ساحل تِنّيس يسيرون فيه ، ثم ينتقلون بالقُلْزم إلى المراكب الكبار .

---

(١) فتوح مصر ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢ ـ ٢) فتوح مصر : « يا عمرو ، إن العرب قد تشاءمت بى ، وكادت أن تهلك على رجلى ، وقد عرفت الذى أصابها » .

(٣) من فتوح مصر .

(٤) فتوح مصر ١٦٤ .

(٥) فتوح مصر ١٦٦

ذكر انتقاض عهد الإسكندرية وسببه

وذلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عثمان بن صالح ، عن اللّيث بن سعد ، قال : عاش عُمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، قدم عليه فيها عمرو قَدْمتَيْن ، استخلف فى إحداهما زكريا بن جَهْم العبدرىّ [٢] على الجند ، ومجاهد ابن جُبير مولى بنى نوفل على الخَراج ، فسأله عمر : مَن استخلفت ؟ فذكر له مجاهد بن جبير ، فقال عمر : مولى ابنة [٣] غزوان ؟ قال : نعم ؛ إنه كاتب ، فقال عمر : إنّ القلم [٤] ليرفع صاحبه . واستخلف فى القَدْمة الثانية عبد الله بن عمر .

حدّثنا عن حيوة بن شريح ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام ، عن أبى رُقيّة قال : كان سبب نقض الإسكندرية العهد أنّ صاحب إخنا ، قدم على عمرو بن العاص ، فقال : أخبِرْنا ، ما على أحدنا من الجزية [٥] ؟ فقال عمرو [٦] : لو أعطيتَنى من الركن إلى السقف ما أخبرتك ؛ إنما أنتم خزانةٌ لنا ؛ إن كُثّر علينا كثّرنا عليكم ، وإن خُفّف عنّا خففنا عنكم . فغضب صاحب إخنا ، فخرج إلى الروم ، فقدم بهم ، فهزمهم الله ، وأسر النَّبَطِىّ ، فأتى به إلى عمرو فقال له الناس : اقتله ؛ قال : لا بل انطلق : فجئنا بجيش آخر [٧] .

---

(١) فتوح مصر ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) ط : « العبدى » ، وما أثبته من فتوح مصر .

(٣) ط : « بنى » ، وصوابه من فتوح مصر ، قال : « وبنت غزوان هذه أخت عتبة بن غزوان ، وقد شهد بدراً » .

(٤) ح ، ط : « العلم » ، وما أثبته من الأصل وفتوح مصر .

(٥) بعدها فى فتوح مصر : « فيصبر لها » .

(٦) بعدها فى فتوح مصر : « وهو يشير إلى ركن كنيسة » .

(٧) فتوح مصر ١٧٦ ، ١٧٧ .

جامع أحمد بن طولون *

هــذا الجـامع موضعه يعرف بجبل يشـكر ، قال ابن عبد الظـاهر : وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل : إن موسى عليه الصلاة والسلام ناجَى ربّه عليه بكلمات .

وابتدأ فى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع [١] ، وهى مدينة بناها مابين سفح الجبل حيث القلعة الآن ، وبين الـكبارة ومابين كوم الجارح وقناطر السباع : فهذه كانت القطائع [٢] .

وكان ابتداء بنائه فى سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ، وبلغت النفقة عليه فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار . وقيل : إنه قال : أريد أن أبنىَ بناء إن احترقتْ مصر بقىَ ، وإن غرقت بقىَ ، فقيل : تبنى بالجير والرّماد والآجرّ الأحمر ، ولا تجعل فيه أساطين رخام ، فإنه لا صبر له على النّار : فبنى هذا البناء . فلمّا كمل بناؤه أمر بأن يعمل دائرة منطقته عنبر معجون ليفوح ريحُها على المصلّين . وأشعر الناس بالصلاة فيه ، فلم يجتمع فيه أحدٌ ، وظنّوا أنه بناه من مال حرام ، فخطب

* المقريزى ٤ : ٣٦ ـ ٤٩ .

(١) المقريزى : « فى سنة ثلاث وستين ومائتين » .

(٢) قال ابن تغرى بردى : « القطائع كانت بمعنى الأطباق التى للمماليك السلطانية الآن ، وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها ؛ فـكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان ، وقطيعة الروم ، وقطيعة الفرش ؛ ونحو ذلك ، وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ؛ وهى بمنزلة الحارات اليوم ، وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع لكثرة مماليكه وعبيده ، فضاقت دار الإمارة عليه ، فركب إلى سفح الجبل ، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى ، واختط موضعها ، وبنى القصر والميدان ، ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتا ، واختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط ـ أعنى مصر القديمة ـ ثم بنيت القطائع ، وسميت كل قطيعة باسم من سكنها » . النجوم الزاهرة ٣ : ١٥ .

فيه ، وحلف أنه مابنَى هذا المسجد بشىء من ماله ، وإنّما بناه بكنز ظَفِر به ، وإن العشار الذى نصبه على منارته وجدَه فى الـكنز [١] .

فصلّى الناس فيه ، وسألوه أن يوسّع قبلته ، فذكر أن المهندسين اختلفوا فى تحرير قبلته ، فرأى فى المنام النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : يا أحمد ، ابن قِبْلَةَ هذا الجامع على هذا الموضع : وخطّ له فى الأرض صورة ما يُعمل . فلمّا كان الفجر مضى مسرعا إلى ذلك الموضع : فوجد صورة القبلة فى الأرض مصوّرة ، فبنى المحراب عليها ، ولا يسعه أن يوسّع فيه لأجل ذلك ، فعظُم شأن الجامع ، وسألوه أن يزيد فيه زيادة ، فزاد فيه .

قال الخطيب : ركب أحمد بن طولون يوماً يتصيّد بمصر ، فغاصت قوائم فرسه فى الرمال ، فأمر بكشف ذلك الموضع ، فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار ، فأنفقها فى أبواب البرّ والصّدقات ، وبنى منها الجامع ، وأنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وبنى المارستان ، وأنفق عليه ستّين ألف دينار .

وقال صاحب مرآة الزمان [٢] : قرأت فى تاريخ مصر أن ابن طولون كان لا يعبث قطّ ،

(١) المقريزى : « كان أحمد بن طولون يصلى الجمعة فى المسجد القديم اللاصق بالشرطة ، فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بنى العين . فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلاثمائة عمود ، فقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف والضياع الخراب ، فتحمل ذلك ؛ فأنكر ذلك ولم يختره ، وتعذب قلبه بالفكر فى أمره ، وبلغ النصرانىّ الذى تولى له بناء العين ، وكان قد غضب عليه وضربه ورماه فى المطبق ، فكتب إليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبلة . فأحضروه وقد طال شعره حتى نزل على وجهه ، فقال له : ويحك ! ما تقول فى بناء الجامع ؟ فقال : أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمودى القبلة ، فأمر أن تحضر له الجلود فأحضرت ، وصوره له ، فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار . فقال له : أنفق ، وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك ، فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه ، وهو جبل يشكر . فكان ينشر منه ويعمل الجير ، وبنى إلى أن فرغ من جميعه ، وبيضه وعلق فيه القناديل والسلاسل الحسان الطوال ، وفرش فيه الحصر ، وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء » .

(٢) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، لسبط ابن الجوزى ، فى التواريخ القديمة الإسلامية وأخبار الأمم الماضية ، رتبه على السنين إلى سنة ٦٥٤ ، وهى السنة التى مات فيها المؤلف .

جامع أحمد بن طولون *

هـــذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر ، قال ابن عبد الظاهر : وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل : إن موسى عليه الصلاة والسلام ناجَى ربّه عليه بكلمات .

وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع (١) ، وهي مدينة بناها ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن ، وبين الكبارة وما بين كوم الجارح وقناطر السباع ؛ فهذه كانت القطائع (٢) .

وكان ابتداء بنائه في سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ، وبلغت النفقة عليه في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار . وقيل : إنه قال : أريد أن أبنيَ بناء إن احترقتْ مصر بقيَ ، وإن غرقت بقيَ . فقيل : تبنى بالجير والرَّماد والآجرّ الأحمر ، ولا تجعل فيه أساطين رخام ، فإنه لا صبر له على النار : فبنى هذا البناء ، فلمّا كمل بناؤه أمر أن يعمل دائرة منطقته عنبر معجون يفوح ريحُها على المصلّين ، وأشعر الناس بالصلاة فيه ، فلم يجتمع فيه أحدٌ ، وظنوا أنه بناه من مال حرام ، فخطب

* المقريزي ٤ : ٣٦ — ٩٤ .

(١) المقريزي : « في سنة ثلاث وستين ومائتين » .

(٢) قال ابن تغرى بردى : « القطائع كانت بمعنى الأطباق التي للمماليك السلطانية الآن ، وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها ؛ فكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان ، وقطيعة الروم ، وقطيعة الفراش ؛ ونحو ذلك ، وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ؛ وهي بمنزلة الحارات اليوم ، وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع لكثرة مماليكه وعبيده ، فضاقت دار الإمارة عليه ، فركب إلى سفح الجبل ، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى ، واختط موضعها ، وبنى القصر والميدان ، ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتا ، واختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط — أعني مصر القديمة — ثم بنيت القطائع ، وسميت كل قطيعة باسم من سكنها » . النجوم الزاهرة ٣ : ١٥ .

فيه ، وحلف أنه ما بنى هذا المسجد بشيء من ماله ، وإنما بناه بكنز ظفر به ، وإن العشار الذي نصبه على منارته وجده في الكنز (١) .

فصلّى الناس فيه ، وسألوه أن يوسّع قبلته ، فذكر أن المهندسين اختلفوا في تحرير قبلته ، فرأى في المنام النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : يا أحمد ، ابنِ قِبْلَةَ هذا الجامع على هذا الموضع : وخطّ له في الأرض صورة ما يُعمل . فلمّا كان الفجر مضى مسرعا إلى ذلك الموضع : فوجد صورة القبلة في الأرض مصوّرة ، فبنى المحراب عليها ، ولا يسعه أن يوسّع فيه لأجل ذلك ، فعظُمَ شأن الجامع ، وسألوه أن يزيد فيه زيادة ، فزاد فيه .

قال الخطيب : ركب أحمد بن طولون يوماً يتصيّد بمصر ، فغاصت قوائم فرسه في الرمل ، فأمر بكشف ذلك الموضع ، فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار . فأنفقها في أبواب البرّ والصّدقات ، وبنى منها الجامع ، وأنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وبنى المارستان ، وأنفق عليه ستّين ألف دينار .

وقال صاحب مرآة الزمان (٢) : قرأت في تاريخ مصر أن ابن طولون كان لا يعبث قطّ ،

(١) المقريزي : « كان أحمد بن طولون يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون . ومنه بنى العين ، فلما أراد بناء الجامع قدّر له ثلاثمائة عمود ، فقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس في الأرياف والضياع الخراب ، فتحمل ذلك ؛ فأنكر ذلك ولم يختره . وتعذب قلبه بالفكر في أمره . وبلغ النصراني الذي تولى له بناء العين ، وكان قد غضب عليه وضربه ورماه في المطبق ، فكتب إليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودي القبلة ، فأحضروه وقد طال شعره حتى نزل على وجهه ، فقال له : ويحك ما تقول في بناء الجامع ؟ فقال : أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمودي القبلة ، فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت ، وصوره له ، فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له : أنفق ، وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك ، فوضع النصراني يده في البناء في الموضع الذي هو فيه ، وهو جبل يشكر ، فكان ينشر منه ويعمل الجير ، وبنى إلى أن فرغ من جميعه ، وبيضه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال ، وفرش فيه الحصر ، وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء » .

(٢) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، لسبط ابن الجوزي ، في التواريخ القديمة الإسلامية وأخبار الأمم الماضية ، رتبه على السنين إلى سنة ٦٥٤ ، وهي السنة التي مات فيها المؤلف .

المدرسة المؤيدية

انتهت عمارتها فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار ، واتفق بعد ذلك بسنة ميلُ المئذنة التى بنيت لها على البرج الشمالى بباب زَويلة ، وكان النّاظر على العمارة بهاء الدين بن البرجىّ ، فأنشد تقى الدين بن حجة فى ذلك أبياتا :

على البرجِ من بابَىْ زَويلةَ أُنشئت ... منارةُ بيتِ الله للعمَلِ المنجِى
فأخذَ بها البرجُ اللّعين أمالها ... ألا صرّحوا يا قومُ باللّعْنِ للبرجِ

وقال شعبان الآثارىّ :

عتبنا على ميــــــلِ المنار زويلةً ... وقلنا تركتِ الناس بالميل فى هَرْجِ
فقالت قرينى برج نحسٍ أمالنى ... فلا بارَك الرّحمن فى ذلك البرْجِ

قال الحافظ ابن حجر :

لجامـــــع مولانا المؤيد رونقٌ ... منارتُه بالحسن تزهو وبالزّينِ
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا ... فليس على جسمى أضرّ من العينِ

وقال العينىّ :

منارةٌ كعروس الحسن إذ جُليتْ ... وهدمها بقضــــــاء الله والقَدَرِ
قالوا أصيبتْ بعين قلت ذا غلطٌ ... ما أوجب الهــــدم إلا خسّة الحجرِ

وقال نجم الدين بن النبيه :

يقولون فى تلك المنــــار تواضعٌ ... وعينٌ وأقوالٌ وعنــدِى جليُّها
فلا البرجُ أخنى والحجارة لم تَعِبْ ... ولـكن عروسٌ أثقلتهــا حُلِيُّها

وقال أيضا :

بجـامع مولانا المؤيد أُنشئتْ ... عروس سَمت ماخلت قطّ مثالَها
ومذ علمت أن لانظيرَ لها انثنت ... وأعجبها والعجبُ عنّ أمالَها

رباط الآثار*

بالقرب من بركة الحَبَش[1] عَمره الصّاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين حنا[2] ، وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء أُخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ، اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهلَ يَنْبُع ؛ ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى هذا الرباط ، وهى به إلى اليوم يُتَبَرَّك[4] بها . ومات الصاحب تاج الدين فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة .

وللأديب جلال الدين بن خطيب داريّا فى الآثار بيتان :

ياعينُ إن بَعُدَ الحبيب ودارُهُ ... ونأتْ مرابعُه وشَطَّ مَزَارُهُ[5]
فلقد ظفرتِ من الزمان بطائلٍ ... إن لم تريْهِ فهــــذه آثارُه

(*) المقريزى ٤ : ٢٩٥ـ٢٩٧ .

(١) المقريزى : « مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق » .

(٢) هو تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن سليم بن حنا . ولد سنة ٦٤٠ ، وسمع من سبط السلفى ، وحدث ، وإليه انتهت رياسة عصره . وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة ، وبزة فاخرة . وزر سنة ٦٩٣ . وتوفى سنة ٧٠٧ . المقريزى ٤ : ٢٩٦ .

(٣) المقريزى : « وإنما قيل له رباط الآثار ؛ لأن فيه قطعة خشب وحديد ، يقال : إن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٤) قال المقريزى : « وأدركنا هذا الرباط بهجة ، وللناس فيه اجتماعات ، ولسكانه عدة منافع لمن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً ، فلما انحسر الماء من تجاهه ، وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس إليه ، وفيه إلى اليوم بقية » .

(٥) المقريزى ٤ : ٢٧٦ ، قال : وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن أيبك الصفدى ؛ فقال :

أكرِمْ بآثار النبىّ محمدٍ ... مَنْ زارَهُ استوفى السرورَ مزارُهُ =